بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الاتجاهات الشعرية فى القرن الخامس الهجرى فى المغرب العربى

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة فى الأدب والنقد

إعداد الطالب :
الضو إبراهيم الضو أحمد

إشراف الدكتور:
فاروق الطيب البشير

١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

آيــــة

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

سورة طه الآية (١١٤)

إهـــــداء

إلى روح والدي (رحمه الله) .

إلى والدتي الغاليـــة .

إلى إخواني وأخواتي .

إلى رفقاء دربي في مهنة التدريس .

إلى أهلي وأصدقائي وعشيرتي .

إلى كل من له عليّ فضل .

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا البحث .

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الشكر أولاً وأخيراً لله عز وجل القائل (ولئن شكرتم لأزيدنكم) ، والشكر له بأن جعلنا مسلمين ، وعلى نعمه التي لا تحصى ولا تعد ، كما أشكره لتوفيقه لنا لإنجاز هذا العمل .

ثم الشكر لأستاذي الجليل الدكتور فاروق الطيب البشير ، الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته التي كان لها الأثر الأكبر في إخراج البحث بهذه الصورة ، والتي أرجو أن تكون قد حققت إضافة جديدة إلى الأدب العربي .

والشكر موصول إلى جامعة أم درمان الإسلامية هذا الصرح العظيم ، والشكر إلى أهل اللغة العربية في كلية اللغة العربية التي نهلنا من معينها الذي لا ينضب ، والشكر إلى أسرة المكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية ، ومكتبة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية .

والشكر موصول إلى الإخوة الزملاء في كلية اللغة العربية بجامعة القرآن الكريم فرع كردفان – الأبيض ، والى كل صاحب فضل عليّ .

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين

الباحث

ملخص الدراسة

تناول هذا البحث الاتجاهات في القرن الخامس الهجري في المغرب العربي وقد قسمه الباحث إلى أربعة فصول سبقت بتمهيد عن صورة القرن الخامس السياسية والاجتماعية والفكرية

أما فصول البحث في الفصل الأول تناول الباحث الاتجاهات الاجتماعية وفي الثاني الاتجاهات الدينية وفي الثالث الاتجاهات الوجدانية أما الفصل الأخير فقد خصص للقضايا الشكلية .

وقد خلص الباحث في خاتمة الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات وأهم النتائج ما يلي :-

١- أن أهم ما يميز القرن الخامس في المغرب العربي قيام عدد من الدول المستقلة مثل الدولة الزيرية والدولة الحمادية والدولة المرابطية ، وقد تنافست هذه الدول فيما بينها حتى في مجال الشعر .

٢- تنوعت الفنون الشعرية وتعددت اتجاهاتها وأغراضها فكان منها الاجتماعي والديني والوجداني .

٣- كثر الشعراء في بعض المناطق وقلوا في أخري وكذا الشعر فلم يكن متساوياً في توزيعه على المناطق .

٤- كان لبلاط المعز بن باديس في مدينة القيروان دور كبير في نهضة الشعر وتطوره وتنوع أغراضه وذلك لاهتمام المعز بالشعر والشعراء .

٥- حافظ شعراء المغرب العربي في القرن الخامس علي طريقة القصيدة التقليدية من حيث الوزن والقافية ولم يخرج عن ذلك إلا نادراً .

٦- ومن الخصائص الأسلوبية الواضحة على شعر القرن الخامس اقتباس الشعراء من القرءان الكريم وتضمين شهرهم شيئا من أشعار غيرهم ومن الحكم والأمثال .

أما أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث :

١- دراسة الاتجاهات الشعرية لكل منطقة أو دولة لوحدها وذلك لكبر منطقة المغرب العربي وأتساع الفترة الزمنية .

٢- جمع الأشعار المتناثرة في ثنايا الكتب الأدبية والتاريخية وجعلها في مجموعات حسب اتجاهاتهم الشعرية .

٣- الشعراء الذين ليست لهم دواوين شعرية تجمع أشعارهم في دواوين خاصة بهم .

Abstract

This research has discussed there of poems in Arabic Morocco in the fifth century in four chapters.

There is pre presentation of the fifth century in political, welfare and cultural.

The first chapter is about welfare, the second chapter is about regional, the third chapter is about sentimental and the fourth one is about the shape suits of weltered in the fifth century .

This research has results and recommendations:

1. The fifth century in Arabic Morocco has many countries appeared there, ziria, Hamdia and Moralities . All these countries have competed in deferent areas specially in the cultured and joined the poets to their parer.
2. Diversity in arts and Mary directions with their targets in welfare regional and sentimental .
3. The direction of poetic in the fifth century were not equal in introducing of poets because of adding and vise versa in deferent targ ets .
4. The poets was not equal of derision in the areas; there wede poets and vise versa.
5. The parer of Elmoiz bin Badis has a big role in calories of poets with different tar gets because of Elmoiz serious about poetic and poets.
6. The poets in the filth century kept the tradion way of Arabic poems ad did’t go out but kept of poetic in rhyme and meter .

The final recommendations are :

1. The fifth century was long and many poets lived with different targets so it is better to study all the directions alone.
2. It is better to collect all the poetics of poets form different books cultural and historical in groups according to their direction.
3. collect the poetic of poets that have drain and put them in special drain.

مقــدمة

شهد القرن الخامس الهجري في المغرب العربي نهضة أدبية وفكرية كبرى وخاصة في نصفه الأول ،وقد أنتجت هذه النهضة شعراً كثيراً متعدد الاتجاهات والأغراض ، وأسهم في هذه النهضة عدد كبير من الأدباء والشعراء الذين عاشوا في القرن الخامس ،فكان لهم إنتاجهم الخاص ،أسوة برصفائهم الشعراء المشارقة يقف على رأس شعراء وأدباء القرن ابن رشيق القيرواني ، أكبر نقاد القرن بمؤلفه المتميز كتاب (العمدة في نقد الشعر) ، هذا فضلا عن كتابه (الأنموذج)الذي ترجم فيه لشعراء المعاصرين له ، فكان أفضل كتاب ترجم الشعراء القرن الخامس الهجري ومن الشعراء المشهورين المتميزين بين شعراء القرن ابن شرف القيرواني الذي ألف كتاب (أبكار الأفكار) وهو كتاب كما وصف بأنه في الأدب الإنشائي شعراً ونثراً ولكنه للأسف من الكتب التي فقدت .

ومن الشعراء المشهورين علي ابن عبد الغني الحصري القيرواني الضرير الذي كان مدرسه متفردة في دنيا الشعر وبإنتاجه الغزير الذي دلت عليه دواوينه الشعرية وخاصة ديوان (اقتراح القريح واجتراح الجريح) وهو ديوان في رثاء أبنه عبد الغني وله كذلك ديوان (المعشرات) وهو ديوان فريد في طريقة نظمه ،إذ أن كل قصيدة من قصائده تحتوي على عشرة أبيات فكل بيت في القصيدة يبدأ وينتهي بحرف واحد ، ومن الشعراء الذين كانت لهم مكانتهم بين أدباء القرن الخامس علي بن فضال والأمير تميم بن المعز و ابن أبي الرجال وابن القابلة السبتي وغيرهم .

ومن الأسباب التي أدت إلي تطور الشعر ونهضته في هذا القرن اهتمام ولاة الأمر بالشعر والشعراء ، وخاصة الأمير المعز بن باديس الصنهاجي الذي ضم بلاطه عدداً كبيرا من الشعراء زاد على الخمسين شاعراً، وقد ذكرهم الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة في كتابه (البلاط الأدبي للمعز بن باديس) ، ثم واصل الأمير تميم بن المعز مسيرة والده في ضم الشعراء إلى بلاطه ، كما اهتم بنو حماد أصحاب القلعة الحمادية في المغرب الأوسط بالشعر والشعراء فكان من

الشعراء الوافدين إليهم ابن حمديس الصقلي، وقد ساهم وفود عدد من الشعراء إلي المغرب في تطوير الشعر ونهضته حيث وفد نفر من الشعراء من صقلية والأندلس و من المشرق العربي ٠

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب جعلت الباحث يختار هذا الموضوع ، منها أن هذا القرن بدأت تتضح فيه الشخصية الأدبية الخاصة للمغرب العربي ، ومنها أن هذه المنطقة كانت أقل حظا من حيث عناية الباحثين والدارسين ، إذ لم يظفر فيها الأدب بدراسة علمية واسعة تحدد اتجاهاته الشعرية ، ومنها رغبة الباحث البحث في هذا الجزء الأصيل من الوطن العربي لما يتعرض له من محاولات أعداء الإسلام والأمة العربية لطمس هويته ، ثم الوقوف على آثار الشعراء الأدبية والتعرف على شخصياتهم من خلال ما كتبوه ٠

أهداف البحث :

يهدف الباحث من هذه الدراسة الوقوف على الاتجاهات الشعرية في القرن الخامس الهجري في المغرب العربي ، ثم تفصيل القول عن هذه الاتجاهات ، والأسباب التي أدت إلى ازدهارها ونموها وتطورها ٠

مشاكل البحث :

لا يخلو أي بحث من مصاعب ومشاكل تواجه الباحثين فيه ، ومن اكبر المصاعب والمشاكل التي واجهت الباحث في هذا البحث ندرة المصادر التي تناولت أدب العصر بالمكتبات السودانية الأمر الذي كلف الباحث ،أن يبحث عنها خارج السودان حيث كلف الأخ الدكتور /محمد ابو عبيدة عندما سافر الي مصر لأحضار عدد من المراجع ،والكتب المهمة التي تساعد الباحث في البحث ككتاب (أنموذج الزمان) ، وكذلك دواوين عدد من الشعراء ٠

ومن المصاعب تفرق مادة البحث في ثنايا المصادر والمراجع الكبرى ، وخاصة أن كثيراً منها يجمع بين الأدب والتاريخ ٠

منهج البحث :

اتبع الباحث المنهج التاريخي في دراسة القرن الخامس في صورته السياسية والاجتماعية والفكرية باعتبارها مؤثرات أساسية علي أدب العصر ، ثم اتبع المنهج التحليلي الوصفي الذي يعمل على إيراد النص الأدبي وتحليليه تحليلاً يبرز ما يحتوي عليه النص ٠

حدود البحث :

اقتصر البحث على دراسة الاتجاهات الشعرية في المغرب العربي فكان المغرب العربي حدوداً مكانية له ونعني به المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي أي المنطقة التي تضم حاليا (ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية) التي كانت تعرف سابقاً بالمغرب الأدنى (تونس) والأوسط (الجزائر) ،الأقصى (المملكة المغربية) .

أما الحدود الزمانية فكانت القرن الخامس الهجري أي المائة الخامسة لهجرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .

ولم يتجاوز البحث هذه الحدود إلا بمقدار ما تمليه الضرورة إذ أن هناك عدد من الشعراء ولدوا في القرن الرابع وماتوا في القرن الخامس ومنهم من ولد في الخامس وتوفى في السادس وهكذا .. كما أن هناك عدداً من الشعراء عاشوا شطراً من حياتهم في المغرب ، ثم هاجروا إلي مناطق أخرى وبجانب هؤلاء نجد عدداً من الشعراء وفدوا إلي المغرب .

الدراسات السابقة :

ليست هنالك دراسة شاملة تناولت أدب القرن الخامس في المغرب العربي ، ولعل الدراسة الوحيدة التي تناولت أدب القرن الخامس هي ما تناوله الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة في كتابه شعراء البلاط الأدبي للمعز بن باديس ،ولكن هذه الدراسة تناولت منطقة واحدة وهي مدينة القيروان وما حولها ، أي أنه تناول الشعراء الذين عاشوا في ظل دولة المعز بن باديس .

أما معظم الدراسات الأخرى فقد تناولت أدب القرن الخامس ولكن مع غيره من القرون الأخرى منها كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي الذي ألفه عبد الله كنون، وتاريخ الأدب في المغرب العربي لحنا الفاخوري .

وهنـاك بعـض الدراسـات التـي تناولـت أدب منطقـة مـن المنـاطق مثـل تـاريخ الأدب الجزائري الذي ألفه محمد بن عمرو الطمار، والوافي بـالأدب العربـي فـي المغرب الأقصـى لمحمد بن تاويت وغيرها.

مصادر البحث :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على مصادر ومراجع متعددة ، منها ما هو تاريخي ومنها ما هو أدبي ثم هناك المصادر الشعرية والنقدية ٠ وتأتي دواوين الشعراء في مقدمة المصادر وخاصة دواوين ابن رشيق ، وابن شرف ، ودواوين الحصري علي بن عبد الغني وغيرها ٠

وبجانب الدواوين هنالك الكتب التي تناولت شعراء القرن الخامس ممن ليس لهم دواويـن مثـل كتـاب أنمـوذج الزمـان فـي شـعراء القيـروان لابـن رشـيق القيروانـي ، وكتـاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني ٠

ومـن الكتـب المهمـة الأخـرى ، كتـاب الحلـل السندسية فـي الأخبـار التونسية للـوزير السراج ، وكتـاب الاستقصـاء لأخبـار دول المغـرب الأقصـى للناصـري ، وكتـاب المطـرب لابـن دحيـة ، وكتـاب قلائـد العقيـان للفتح بـن خاقـان وغيرهـا مـن الكتب التـي استفاد منهـا الباحث في بحثه ٠

ثم هناك كتب التراجم ومن أهمها فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، والأعلام للزركلي وغيرها ٠

أمـا المراجـع الحديثـة التـي استعان بهـا الباحـث منهـا كتـاب شـعراء الـبلاط الأدبـي للمعـز ابـن بـاديس للـدكتور عبـده عبـد العزيـز قليقيلـة ، وكتـاب الـوافي بـالأدب العربـي فـي المغرب الأقصي لمحمد بن تاويت وكتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون ، وتـاريخ الأدب العربـي ، عصـر الـدول الإمـارات للـدكتور شـوقي ضـيف وغيرهـا مـن المصادر والمراجع التي أفادت الباحث كثيراً٠

هيكل البحث :

قام الباحث بتقسيم البحث إلي أربعة فصول سبقت بتمهيد تحدث فيه الباحث عن صورة العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

في الفصل الأول تحدث الباحث عن الاتجاهات الاجتماعية وقسمه إلي أربعة مباحث كان المبحث الأول لشعر المدح والثاني للرثاء والثالث للهجاء والرابع لشعر الإخوانيات .

وفي الفصل الثاني تناول الباحث الاتجاهات الدينية حيث تحدث في المبحث الأول عن المدائح النبوية ثم جاء بعده شعر الزهد والتصوف وكان المبحث الثالث لشعر الوعظ أما المبحث الأخير كان لشعر الحكمة .

أما الفصل الثالث فقد أفرده الباحث للشعر الوجداني حيث خصص الباحث المبحث الأول لشعر الغزل والثاني لشعر الخمريات والمجون والثالث للشوق والحنين ، والرابع لشعر الشكوى أما المبحث الأخير فقد كان لشعر الفخر .

والفصل الأخير من هذه الدراسة خصصه الباحث للقضايا الشكلية واحتوى على خمسة مباحث كانت كالآتي :

في المبحث الأول تناول الباحث أبنية القصيدة وفي الثاني اللغة والأسلوب وفي الثالث الموسيقى والأوزان والقوافي وفي الرابع الصورة الفنية وفي الخامس لزوم ما لا يلزم .

ثم جاءت بعد ذلك خاتمة البحث ثم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث وأخيراً الفهارس .

تمهيد

صورة القرن الخامس

يعد القرن الخامس الهجري بالمغرب العربي من القرون المهمة في تاريخ هذه البلاد ففي ،هذا القرن أقام الصنهاجيون دولتهم بصورة رسمية بعد أن كانت تتبع للدولة الفاطمية، وفي هذا القرن هاجرت قبائل بني هلال وسليم إلي هذا الإقليم وفيه كذلك أسس المرابطون دولتهم كما شهد هذا العصر تطوراً في الناحية الأدبية إذ كثر فيه الشعراء الذين كان يمتلئ بهم بلاط المعز بن باديس ، وفي هذا القرن وجدت بعض المدن المغربية مكانة في دنيا الأدب والنقد مثل مدينة القيروان ٠ ولذا وجب علينا أن نقف قليلاً على صورة هذا القرن السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

أولاً: **صورة القرن السياسية** :

الصنهاجيون

أ- بنو زيري :

أصبحت بلاد المغرب العربي جزءاً من الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية وظلت تحت حكم الأمويين حتى سقوط دولتهم ١٣٢هـ - ٧٥٠م .

ولما قامت الدولة العباسية أصبح المغرب العربي جزءاً منها إلا أن بعد المغرب من مركز الخلافة العباسية أدى إلي قيام دويلات مستقلة فأنشأ الرستميون الخوارج الإباضية[١] دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) في سنة ١٤٤هـ - ٧٧٦م وفي تونس وشرق الجزائر أقام الأغالبة[٢] حكماً لهم منذ عام

---

(١) الرستميون : ينتسبون إلي عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الذي نجح في إقامة دولة للخوارج الإباضية في تاهرت بالجزائر ، وكان من فقهاء الإباضية بافريقية ، معروفا بالزهد والتواضع (معجم أدباء الجزائر ص – ١٤١) ٠

(٢) الأغالبة ينتسبون إلي إبراهيم بن الأغلب وقد ولاه الرشيد إفريقية للوقوف في وجه الأدارسة .

١٨٤هـ ولمدة قر ن من الزمان وفي فاس بالمغرب الأقصى أسس الأدارسة [(١)] دولتهم في سنة ١٧٢هـ[(٢)] .

ومن أهم الدول وأشهرها الدولة الفاطمية التي نشأت في عام ٢٩٧هـ-٩٠٩م حيث تمكن عبيد الله المهدي من تأسيس دولة شيعية عرفت بالدولة الفاطمية أو العبيدية ونصب نفسه خليفة عليها بمساعدة الداعية عبد الله الشيعي ، وقبيلة كتامة الصنهاجية ، واتخذ مدينة رقادة عاصمة له وفي عام ٣٠٠ هـ - ٩١٢م بدأ بناء مدينة المهدية ، [(٣)] ثم بني عامله على الزاب علي بن حمدون الزناتي مدينة (المسيلة) التي عرفت فيما بعد بالمحمدية في سنة ٣١٥هـ[(٤)]

توالى على حكم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب العربي أربعة من الخلفاء وهم عبيد الله المهدي الذي بويع بالخلافة في الواحد و العشرين من ربيع الأول ٢٩٧هـ ثم خلفه أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي ثم خلفه المنصور أبو طاهر إسماعيل وقد بويع بالخلافة سنة ٣٣٤هـ ، وكان آخر الحكام الفاطميين بالمغرب المعز أبوتميم معد وهو ابن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي وقد بويع ٣٤١هـ ويعتبر المعز أعظم الملوك الفاطميين قدراً وأجلهم خطراً وقد حكم وله من العمر نحو أربع وعشرين سنة [(٥)] . ولما استولى الفاطميون على مصر ٣٥٨هـ وبنوا بها مدينة القاهرة عملوا على نقل عاصمتهم إليها وكان المعز لدين الله الفاطمي قد أرسل قائده جوهر الصقلي لفتح مصر وقد فكر المعز لدين الله فيمن يخلفه في حكم المغرب فاختار بلكين بن زيري الصنهاجي [(٦)] .

---

(١) الأدارسة ينتسبون إلي إدريس بن عبد الله العلوي الذي سار إلي المغرب فراراً من بطش العباسيين وأسس دولة بالمغرب الأقصى .

(٢) موسوعة المغرب العربي - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي - ج (٢)مكتبة مدبولي - القاهرة - ط (١) ١٩٩٤م- ١٤١٤هـ- ص (١٣) .

(٣) في تاريخ المغرب والأندلس - أحمد مختار العبادي / بيروت ١٩٧٨م - ص (٢٩٧) .

(٤) تاريخ الأدب العربي (٩) - عصر الدول والإمارات - د. شوقي ضيف ، دار المعارف - ط(١) - ص (٢٢).

(٥) البلاط الأدبي للمعز - د. عبده عبدالعزيز قلقيلة - الناشر عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية - ص (٢) .

(٦) نفسه - ص (١٧).

يعد تعيين بلكين بن زيري الصنهاجي حاكماً للمغرب بدلاً عن الخليفة الفاطمي إيذاناً بقيام الدولة الصنهاجية[١] ، وكان تولى بلكين بن زيري سنة ٣٦١هـ واتخذ بلكين القيروان قاعدة لولايته، وظل وفياً للفاطميين يعترف لهم بالتبعية حتى مات سنة ٣٧٣هـ ثم خلفه ابنه المنصور الذي ظل حاكماً حتى ٣٨٦ه وقام مقامه ابنه باديس [٢] .

تمتع الصنهاجيون وخاصة في عهد باديس بمالم يتمتع به أسلافهم من قبل وصار إلي باديس تعيين الولاة والعمال في البلاد التي تخضع لحكمه ، فمن ذلك أنه ولى عمه حماد بن بلكين على (أشير) إحدى مدن المغرب ، ثم ما لبث حماد أن بني القلعة المعروفة بقلعة حماد ثم بدأ يستقل بنفسه شيئاً فشيئاً [٣] .

خلف باديس في الحكم ابنه المعز ،ومن الأعمال التي قام بها أنه قطع الدعوة للفاطميين ، وجعلها للعباسيين .وفي ذلك يقول ابن الأثير في كتابه (الكامل) " في هذه السنة أظهر المعز ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العباسية ،وخاطب القائم بأمر الله أمير المؤمنين ووردت عليه الخلع والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما يفتحه " [٤].

ولما أعلن المعز انفصاله عن الفاطميين قامت بينه وبين أبناء عمومته الحماديين فتن في الداخل وأشعل نارها الفاطميون[٥] .ويقول في ذلك ابنالأثير:(في هذه السنة أي ٤٣٢هـ خالف أولاد حماد على المعز بن باديس صاحب إفريقية ، وعادواإلي ماكانوا عليه من العصيان .

والخلاف فسار إليهم المعز وجمع العساكر وحشدها وقصد قلعتهم المعروفة بقلعة حماد وضيق عليهم ...)[٦] .

---

(١) الصنهاجيون نسبة إلي قبيلة صنهاجة المغربية وهي من أعظم قبائل المغرب .

(٢) ابن رشيق الناقد الشاعر – عبد الرؤوف مخلوف – المؤسسة المصرية للتأليف والنشر – ص(١٠)

(٣) نفسه – ص (١٠) .

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير – الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – مراجعة نخبة من العلماء ج (٨) – الطبعة الثالثة – ١٤٠٠-١٩٨٠م – ص (٣٩) .

(٥) ديوان ابن رشيق القيرواني – شرح د. صلاح الدين الهواري وهدى عودة – دار الجيل بيروت – ط (١) – ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م – ص (٢١) .

ثم عمل الفاطميون على تشجيع قبائل بني سليم وهلال وزغبة ورياح الذين كانوا ينزلون في صعيد مصر وكان ذلك في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي استدعى شيوخ هذه القبائل وعرض عليهم الهجرة إلي بلاد المغرب وقال لهم :" قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي)[١].

فزحفت هذه القبائل إلي المغرب كسيل جارف وبدأوا بأرض برقة وطرابلس فاستولوا عليها ثم تقدموا فاحتلوا مدينة قابس ،وحاول المعز بن باديس إيقافهم ولكنه عجز.

ولما كثرت غارات هذه القبائل على القيروان وعجز المعز عن ردهم أشار عليه أصحابه بالارتحال عن القيروان إلي المهدية وكان عليها ابنه تميم فقصدها في سنة ٤٤٩هـ [٢] .

وقد تحدث ابن الأثير عن هجرة هذه القبائل بقوله " في هذه السنة دخلت العرب إلي إفريقية، وسبب ذلك أن المعز بن باديس [٣] كان قد طلب القائم بأمر الله الخليفة العباسي، وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلوي يتهدده فأغلظ المعز في الجواب " ثم يواصل ابن الأثير حديثه فيقول : (وشرعوا- أي الفاطميين – في إرسال العرب إلي الغرب فأصلحوا بين زغبة ورياح وكانت بينهما حروب وحقود وأعطوهم مالاً ،وأمروهم بقصد القيروان ، وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخل العرب إلي إفريقية)[٤] .

---

(١) الكامل – ج (٨) – ص (٢٩) .

(٢) تاريخ الأدب العربي (٩) شوقي ضيف – ص (١٢٨).

(٣) نفسه – ص (١٢٩) .

(٤)المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي ، وكنيته أبو تميم ولقبه أولا شرف الدولة ، ولد بالمنصورية سنة ٣٩٩هـ ، وولي الملك سنة ٤٠٧هـ ، وسنه سبعة أعوام وشهران ، وتوفي سنة ٤٥٥هـ ، وعمره ثمان وخمسون سنة ، فكانت مملكته سبعا وأربعين سنة (البيان المغرب – ص٢٩٦) .

(١) الكامل – ج (٨) – ص (٥٥) .

ولما رحل المعز عن القيروان مكن العرب من دخولها فدخلوها وعاثوا فيه تخريباً وهدماً وإحراقاً ولحقت بالقيروان نكسة كبرى بسبب ذلك [1] .

ويقول حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام : (وقد خرجت قبائل هلال وسليم وزغبة ورياح وعدى والأثبج من مضاربهم بصعيد مصر سنة٤٤٠هـ .وانقضوا على إفريقية وأوقعوا بالمعز في موقعة (حيدران) [2] سنة ٤٤٣هـ ، ودخلوا القيروان وخربوها وأتوا على تراثها الزاهر وضعف ملك بني زيري بعد ذلك حتى لم يعد يتجاوز أسوار مدينة المهدية) [3] .

توفى المعز بعد ذلك في سنة ٤٤٩هـ وخلفه ابنه تميم وكان مولده بالمنصورية التي هي مقره منتصف رجب سنة اثنين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية في صفر سنة خمس وأربعين فأقام بها إلي أن وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب .[5]

ظل تميم بن المعز يحكم حتى سنة ٥٠١هـ وكان قد مكن له في الحكم عقله وحكمته وأدبه وكانت مدة حكمه ست وأربعون سنة وأشهر ثم قام بالأمر بعده ابنه تميم.

---

(٢) ابن رشيق الناقد الشاعر – ص (١٣).

(٣) تعتبر موقعة حيدران من المواقع الحاسمة إذ بعدها دخل الأعراب مدينة القيروان وخربوها وقضوا على حضارتها وحيدران اسم جبل على مقربة من القيروان وفيها يقول علي بن رزق الرياحي من شعراء الأعراب :

وإن ابن باديس لأحزم مالك   ولكن لعمري ما لديه رجال

ثلاثة آلاف لنا غلبت   ثلاثين ألفا إن ذا لنكال

(الحلل السندسية في الأخبار التونسية – تأليف محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج – ج (١) – ق (١) – تحقيق محمد الحبيب الهيلة – الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م – ص ٩٤٥).

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي – الجزء الرابع – حسن إبراهيم حسن – دار الجيل بيروت – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة (١٥) ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م – ص (٢٢٧).

(٥) الكامل – ج (٨) – ص (٩١) .

ب/ بنود حماد :

ذكر الباحث سابقاً – أن الصنهاجيين في عهد باديس تمتعوا بما لم يتمتع به أسلافهم من قبل إذ أصبح لباديس السلطة المطلقة ، وصار إليه تعيين الولاة والعمال في البلاد التي تخضع لحكمه ، فمن ذلك أنه ولى عمه حمادا على مدينة (أشير) إحدى مدن المغرب الأوسط ، فبنى حماد – بعد ذلك – القلعة التي نسبت إليه ، ثم بدأ حماد يستقل بنفسه شيئا فشيئا ، فكان هذا إيذانا بقيام الدولة الحمادية في المغرب الأوسط .

كان لحماد دور كبير في تثبيت أركان الدولة الصنهاجية عامة منذ ظهوره على مسرح الأحداث بعد موت أبيه ، وتسلم أخيه المنصور البلاد منذ سنة ٣٧٣ هـ – ٩٨٤ م [١] .

شارك حماد في كثير من الحروب التي خاضتها الدولة الصنهاجية ضد أعدائها ، ثم بدأت الخلافات بعد ذلك بينه وبين الشق الأول من الدولة الصنهاجية وهم بنو زيري .

أما عن بداية الدولة الحمادية فيرى الدكتور عبد الحليم عويس أن معظم المصادر تدل على أن سنة ٣٩٥ هـ هي البداية الصحيحة لقيام الدولة الحمادية.[٢]

أمضى حماد عشر سنوات كاملة (٣٩٥ – ٤٠٥ هـ) ، (١٠٠٤ – ١٠١٤ م) وهو يعمل على تحقيق شخصية دولته ، وبسط سيطرته على المغرب الأوسط ، وكانت أولى خطواته بناء القلعة ، التي كان يتردد بينها وبين (أشير) .[٣]

خلف حماداً ابنه القائد ، وهو ثاني ملوك الدولة الحمادية ، وقد ولي الملك بعد وفاة والده سنة ٤١٩ هـ ، وفي عهده زحف أمير فاس حمامة بن المعز نحو الدولة الحمادية سنة ٤٣٠ هـ – ١٠٣٨ م ، فكان بينه وبين القائد حروب انتصر فيها القائد . [٣]

---

(١) دولة بني حماد – الدكتور عبد الحليم عويس – دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط(٢) ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م ، ص (٥٤) .

(٢) نفسه – ص (٦٠) .

(٣) نفسه – ص (٦٤) .

(١) معجم أدباء الجزائر – من صدر الإسلام إلى العصر الحديث – عادل نويهض – مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر – بيروت – لبنان – ط (٢) ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م – ص(٢٥٨) .

(٢) البيان المغربي – لابن عذارى – ج (١) – ص (٣٩٧) .

وفي عهد القائد تعرضت القلعة لبعض الهزات ، وقد حاصرها المعز بن باديس لمدة عامين عندما اختلف معه سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) ثم تصالحا ، وانصرف المعز عنها . (٢)

كانت خطبة القائد في أول عهده للفاطميين ، فقطعها سنة ٤٣٢ هـ ، وجعلها للعباسيين ، وفي سنة ٤٣٩ هـ – أظهر الطاعة للفاطميين ، فأنعم عليه الخليفة العبيدي الفاطمي بلقب (شرف الدولة) ، ثم عاد إلى مبايعة العباسيين واستمر على ذلك إلى أن مات سنة ٤٤٦ هـ .(٣)

تولى الحكم بعد القائد بن حماد ابنه محسن ، واستمر حكمه حتى وفاته في سنة ٤٤٧هـ – ثم خلفه بلكين بن محمد بن حماد ثم جاء بعده الناصر بن علناس.

وفي عهد الناصر سنة ٤٥٧ هـ – تعرضت الدولة الحمادية لغارات قبائل بني هلال ، فزحفوا إليها وخربوا القلعة ونهبوها ، ودمروا مظاهر الحضارة فيها ، فرأى الناصر أن القلعة قد أصبحت مدينة منهوكة القوى مكشوفة للمغيرين فابتنى مدينة (بجاية) وانتقل إليها سنة ٤٦١ هـ – ١٠٦٩ م . (٤)

قام الناصر بن علناس ببعض الأعمال المهمة بعد بناء مدينة بجاية ، فأنشأ داراً للصناعة والأساطيل والمراكب ، وإنشاء السفن والحرابي حتى صارت بجاية

عين بلاد بني حماد ، ونسقها تنسيقا بديعا ، إذ استقل النهر القريب منها ، وأحاطه بكثيرمن البساتين والجنات ووضع عليه نوافير تستقي من النهر . (١)

---

(٣) معجم أدباء الجزائر – ص (٢٥٨) .

(٤) دولة بني حماد – ص (٩٨) .

(١) دولة بني حماد – ص (١٠٤) .

(٢) نفسه – ص (١٠٤) .

توفي الناصر سنة ٤٨١ هـ ، وخلفه المنصور بن الناصر ، وواصل مسيرة والده في الاهتمام بمدينة بجاية التي أصبحت ملجأ للهاربين من إفريقية بعد خراب مدينة القيروان وهزيمة المعز بن باديس أمام الهجمة الهلالية . [٢]

توفي الناصر بن علناس سنة ٤٩٨ هـ ، وخلفه ابنه باديس حتى سنة ٥٠٠هـ .[٣]

وفي عهد بجاية بلغت الدولة الحمادية أقصى اتساع لها ، ولا سيما من الناحية الشرقية ثم عقدت معاهدة سلام مع المرابطين سنة ٥٠٠ هـ . [٤]

---

(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – ج (١) – لابن عذارى – تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفسال – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – ص (٣٠٢) .

(٤) دولة بني حماد – ص (١٠٦).

المرابطـون

وفـي القسـم الغربـي مـن حـدود البحـث المكانيـة ، كانـت هنالـك عـدد مـن الإمـارات الصـغيرة التـي كانـت تتسـم بسـمات الـدول مثـل مغراوة بفـاس وإمـارة بنـي يفـرن بسـلا وبنـي حمود في سبتة وطنجة وإمارة سقوط البرغواطي في سبتة وطنجة كذلك [1].

ثم قامت بعد ذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري دولة المرابطين وهم كذلك ينتمون إلي قبيلة صنهاجة وقد استمر حكمهم للمغرب من سنة ٤٢٦-٥٤١هـ وكان حكماً قوياً حل محل الأسر المتنازعة التي خلفت دولة الأدارسة في حكم البلاد[2] .

ينتسب المرابطون – الذين كانوا يعرفون قبل ذلك بالملثمين – إلي قبيلة لمتونـة إحدى بطـون صـنهاجة أعظـم قبائـل البربـر ، وإليهـا ينتمـي عـدد كبيـر مـن القبائـل البربريـة الأخـرى أشهرها مسوفة ومسراتة ومداسـة وجدالـة ولمطـة وغيرها ، وكانـت لمتونـة تتولـى رئاسـة هـذه القبائل[3] .

يـرى ابـن الأثيـر أن ابتـداء المـرابطين كانـت سـنة ثمـان وأربعـين وأربعمائـة وهـم عـدة قبائل ينسبون إلي حمير أشهرها لمتونة وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبي بكر الصديق (رضـي الله عنـه) فسـيرهم إلـي الشـام وانتقلـوا إلـي مصـر ، ودخلـوا المغـرب مـع موسـى بـن النصير وتوجهوا مع طارق إلي طنجة ، فحبوا الإنفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها [4].

كانـت قبيلـة لمتونـة تتولـى رئاسـة سـائر القبائـل الصـهناجة ثـم ألـت الرئاسـة إلـي قبيلـة جدالـة علـى عهـد الأميـر يحيـي بـن إبـراهيم الجـدالي الـذي تـولى زعامـة صـنهاجة وقاتـل

---

(١) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصي – تأليف محمد بن تاويت – ج (١) – دار الثقافة – الدار البيضاء – ط (٢) – ١٩٩٨م – ص (٢٩) .

(٢) قـادة فـتح المغـرب العربـي – اللـواء ركـن محمـود شـيت خطـاب – ج (١+٢) – دار الفكـر – ط (٧) ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م – ص (١٨٠) .

(٣) التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين – د. حمدي عبد المنعم محمد حسين ١٩٩٧م – دار المعرفة الجامعية – ص (٣٧) .

(٤) الكامل – ج (٨) – ص (٧٤) .

أعداءها حتى سنة ٤٢٧هـ ١٠٣٥م ، ثم رحل بعد ذلك لأداء فريضة الحج فاستخلف ولده إبراهيم بن يحيي الجدالي [(١)] .

ولما عاد يحيي من رحلته نزل بالقيروان مركز الثقافة للمغرب العربي في تلك الفترة وكعبة القصاد من قاصية المغرب ، وفي القيروان حضر يحيي مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي آنذاك وأعجب الشيخ أبو عمران يحيي لما فيه من حب الخير وحرص على التعليم وتحدث إليه يحيي عن سوء الأحوال الاجتماعية في بلاده وجهل قبائله بأصول الدين وفروع الشريعة وطلب منه أن يرسل معه أحد طلبته ليعلم قومه أصول الفقه والشريعة الإسلامية ، فعرض الفقيه الأمر على طلبته غير أنه لم يجد من تلاميذه من استجاب إلي دعوته ، ولما لم يجد الشيخ أبو عمران بغيته بين تلاميذه أرسل يحيي إلي الشيخ واجاج بن بزلك اللمطي فقيه المالكية بالسوس الأقصى وكان فقيهاً صالحاً يقيم بمدينة نفيس فاختار الشيخ واجاج أفضل تلاميذه وأذكاهم وهو عبد الله بن يس [(٢)] .

ويقول صاحب الاستقصاء عن مقدم يحيي وعبد الله بن يس إلي لمتونة (ولما انتهى يحيى بن إبراهيم إلي بلاده ومعه الفقيه عبد الله بن يس تلقته قبائل جدالة ولمتونة وفرحوا بمقدمهما ، وتيمنوا بالفقيه عبد الله بن يس في إكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين ويسوسهم بآداب الشرع ، وألفاهم يتزوجون بأكثر من
أربع حرائر فقال لهم :(ليس هذا من السنة وإنما سنة الإسلام أن يجمع الإنسان بين أربع من نسوة حرائر فقط وله فيما شاء من ملك اليمن سعة)[(٣)] وجعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وكبحهم عن كثير من مألوفاتهم الفاسدة في ذلك فأطرحوه واستصعبوا علمه وتركوا الأخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكليف [(٤)] .

---

(١) التاريخ السياسي والحضاري – ص (٣٨) .

(٢) نفسه – ص (٣٩-٤٠) .

(٣) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى – الدولتان المرابطية والموحدية – ج (٢) –الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، تحقيق وتعليق أ. جعفر ناصري – محمد الناصري – مطبعة در الكتاب – الدار البيضاء – ١٩٥٤م – ص (١٧١) .

(١) الاستقصاء – ص (٧-٨) .

ولما أعرضوا عن ابن يس رأي أن يرحل عنهم ، ولكن الأمير تمسك به وأشار عليه بالانقطاع إلي العبادة في جزيرة نائية بعيداً عن هؤلاء البدو الجهلة [١]

انقطع عبد الله بن يس للعبادة وصحبة عدد من مريديه وابتنوا له رباطاً للصلاة والعبادة ولم يكد يمضي عليه ثلاثة أشهر حتى سمع به الناس وتوفدوا عليه فأخذ يعلمهم أمور الدين ثم يرسلهم إلي القبائل الأخرى لتعليمها ،وكان يطالبها العمل بأحكام الشريعة ولكنه لم يجد استجابة فأخذ يجمع أصحابه ودخل في معارك وحروب مع القبائل ،ونتيجة لهذه الحروب بادرت القبائل إلي مبايعة ابن يس بالطاعة فشرع في تعليم هذه القبائل القرآن وشرائع الإسلام ، وقد أقام ابن يس بيتاً للمال للإنفاق على الجيوش وشراء السلاح [٢].

ويقول صاحب الاستقصاء :(إن عبد الله بن يس قال ليحيي بن إبراهيم بعد أن طلب منه أن يذهب إلي هذه الجزيرة (أن هذا الرأي حسن فهلم بنا فلندخلها على اسم الله فدخلها ودخل معه سبعة نفر من جدالة وابنتي عبد الله رابطة هنالك وأقام أصحابة يعبدون لله مدة ثلاثة أشهر فتسامع الناس بهم وأنهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثر الواردون عليهم والتوابون لديهم فأخذ عبد لله بن يس يقرئهم القرآن ويستميلهم إلي الخير ويرغبهم في ثواب الله ...)[٣] .

ولما توفى يحيي بن إبراهيم الجدلي قدّم ابن ياسين مكانه إلي الأمير يحيي بن عمر للمتوني فكان من أهل الفضل كما كان منقاداً لإمامه عبد الله بن ياسين في أموره جميعا[٤].

ولما توفى يحيى بن إبراهيم اللمتوني ولي عبد الله بن يس مكانه أخاه أبا بكر بن إبراهيم وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين لغزو بلاد السوس والمصامدة فزحف إليها في جيش عظيم وجعل مقدمته بن عمه يوسف بن تاشقين اللمتوني . ثم سار أبو بكر لغزو بلاد السوس فغزا قبيلة جزولة وفتح مدينة ماسة وتاورودانت وكانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الشيعة البجلية الذين ينتمون إلي عبد الله البجلي الذي

(٢) التاريخ السياسي والحضاري – ص (٤٢) .

(٣) نفسه – ص (١١٨) .

(٤)الاستقصاء – ص (٨) .

(٥) التاريخ السياسي والحضاري – ص (٤٢) .

سار إلي بلاد السوس في أيام عبيد الله المهدي الفاطمي فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبوبكر بن عمر وانتصرا عليهم فعادوا إلي مذهب السنة والجماعة [١].

وفي سنة ٤٥٣هـ عاد أبو بكر بن عمر من مهمته في الصحراء التي استغرقت نحو سنتين وقد هاله ما رأي من ضخامة جيوش يوسف بن تاشفين[٢] وأدرك أنه لا قبل له بمناوأته فنزل له عن السلطة وسلم إليه أمر المغرب أمام شيوخ لمتونة وأمراء المصامدة والكتاب والشهود ثم أرسل إلي عماله منشوراً يتضمن هذه البيعة ويقرأ في المساجد فيتقدم الناس لبيعة الأمير الجديد [٣] .

ويعتبر يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي الدولة المرابطين وبزعامته استولى المرابطون على مدينة (فاس) وأسس مدينة (مراكش) ٤٥٤هـ [٤] . وجعلها عاصمة له ثم فتح مدينة تلمسان سنة ثمان وستين وأربعمائة [٥] .

ويقول ابن الأثير عن يوسف وكان يوسف رجلاً ديناً خيراً حازماً داهية مجرباً [٦] ويقول : في عهده خلص للمرابطين أمر المغرب الأقصى والأوسط سنة ٤٧٥هـ وبلغت حدود مملكته السودان ونهر النيجر وانتصر على المسيحيين في الأندلس ٤٧٩هـ كما أخضع لحكمه ملوك الطوائف في الأندلس سنة ٤٨٤هـ [٧].

---

(١) التاريخ السياسي والحضاري – ص (١١٨).

(٢) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي اللمتوني الحميري أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين سلطان المغرب الأقصى وباني مدينة مراكش ، وأول من دعي بأمير المسلمين ، ولد بصحراء المغرب وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر وبايعه أشياخ المرابطين وجال في المغرب بجيش كبير فقوي أمره واستولى على مدينة فاس وغزا الأندلس ثم استولى عليها فشمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس ، وتوفي بمراكش سنة ٥٠٠هـ ، وكان ميلاده سنة ٤١٠هـ (الأعلام – ج (٨) – الزركلي – ص ٢٢٢) .

(٣) نفسه – ص (١١٨) .

(٤) قادة فتح المغرب – ص (١٨٠) .

(٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي – ج (٤) – كتب التعليقات إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٧م – ص (٢٩).

(١) الكامل – ج (٨) – ص (٧٥) .

(٢) نفسه – ص (٧٥) .

يقول عبد الله كنون عن يوسف بن تاشفين :(توج يوسف حياته الحافلة بالصدق والإخلاص فأعلن انضواءه تحت لواء الخلافة الإسلامية وكتب إلي الخليفة العباسي أحمد المستظهر بالله يبايعه ويطلب منه تقليداً على من بيده من أعمل الأقاليم فأجابه لذلك وخاطبه بأمير المسلمين) [١] .

وفي سنة ٥٠٠هـ توفى يوسف بن تاشفين بعد أن عاش مائة سنة قضى في الملك٤٧ عاماً ، وتولى إمارة المسلمين بعده ابنه على بن يوسف فورث ملكاً عظيماً.

قامت دولة المرابطين على أساس ، ديني ومع ذلك فإن تلك الفترة التي بدأت بحكم يوسف بن تاشفين يمكن أن تعتبر فترة سياسية أكثر منها دينية ، ويعد يوسف أول ملك بربري حكم المغرب وكون جيشاً قوياً يتمثل فيه جميع القبائل المغربية [٢] .

ثانياً : صورة القرن الاجتماعية والاقتصادية :

سكن المغرب العربي عدد من الأجناس منذ قديم الزمان ، وأول من سكن المغرب العربي هم البربر وهم العنصر الأول الذي سكن المغرب العربي منذ أزمان بعيدة.

وينقسم البربر إلى طائفتين الأولى هي طائفة البربر الحضر ويعرفون بالبرانس وقد سكنوا النواحي الخصبة والسفوح المزروعة وهؤلاء يعملون بالزراعة والصناعة نتيجة لاتصالهم بحضارة القرطاجنيين واللاتينيين والبحر المتوسط ، وطائفة البربر البدو المعروفين بالبتر الذين يقيمون في الصحاري والواحات، ويعيشون على الرعي ويميلون إلى الإغارة على ما يجاورهم من نواحي العمران[٣] .

كانت بلاد المغرب العربي بعيدة عن الشعوب القديمة لا تتصل بها حتى نزلها الفينيقيون في القرن العاشر قبل الميلاد ، والفينيقيون شعب يحترف الملاحة نزلوا تونس وأسسوا قرطاجنة ومدناً أخرى مثل (عنابة) و (بونة) و(جيجل) وغيرها . وأخذوا يختلطون بالسكان في تلك المدن وينشرون حضارتهم الفينيقية ويعلمونهم الزراعة وغرس

---

(٣) النبوغ المغربي في الأدب العربي – عبد الله كنون الجزء الأول – ص (٦١).

(٤) تاريخ الإسلام – ص (١١٩) .

(١) تاريخ إفريقية والمغرب – للرقيق القيرواني – تقديم وتحقيق وتعليق – دكتور محمد زينهم محمد عزب– دار الفرجاني للنشر والتوزيع – ط (١) ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م – ص(١٩).

الأشجار وكانت قوافلهم تجوب الجنوب وتحمل منه الزنوج كما سمحوا لليهود منذ القرن الثالث قبل الميلاد بالنزول في مدنهم [١] .

وفي سنة ٤٣٩ق.م بدأ الصراع بين قرطاجنة وروما وانتهى باستيلاء روما على المدن الفينيقية في منطقة المغرب وخاصة تونس والجزائر وقد استوطن هذه المدن عدد كثير من الأسر الرومانية . كما جلب الرومان كثيراً من الزنوج للاستخدام في الزارعة والرعي [٢] .

وفي سنة ٤٣٩م جاءت جموع من الوندال الألمانية وظلوا بهذه المنطقة حتى أخرجهم منها البيزنطيون فأصبحت بالمغرب سلالات أخرى غير البربر وهي الفينيقيون والزنوج والهوت والوندال واليونان[٣] .

وبعد فتح العرب مصر سنة ٦٤١م توجهوا غرباً حيث المغرب العربي حاملين معهم الدين الإسلامي ، واختلطوا بالسكان كما اعتنق السكان الإسلام ، وأصبحوا

من المدافعين عنه ، وشاركوا في كثير من الفتوحات وخاصة فتح الأندلس [٤] .

وفي منتصف القرن الخامس الهجري هاجرت قبيلتا بني هلال وسليم إلي المغرب بعد أن سمح لهم الفاطميون بذلك للتخلص منهم أولاً وللإنتقام من المعز بن باديس ثانياً. فتدافعت جموع بني هلال وبطونها مثل الإثبج ، ورياح ، وعامر ، ومعقل وعدي ومن بني سليم دياب وزغبة وعوف ومرداس والطرود وكانواً بدواً رعاة غير متحضرين ، فنهبوا

---

(٢) تاريخ الأدب العربي (٩) – شوقي ضيف – ص (٥٠ –٥١) .

(٣) نفسه – ص (٥١).

(٤) نفسه – ص (٥٣) .

(١) تاريخ الأدب العربي (٩) – شوقي ضيف – ص (٥٢) .

وأتلفوا الزروع [١]. وساهمت قبائل بني سليم إسهاماً كبيراً في تعرب المنطقة وخاصة في منطقتي تونس والجزائر ، وإن كان تأثيرهما أقل في المغرب الأقصى [٢]

وعندما سقطت صقلية واشتد أذى النصارى للمسلمين في الأندلس هاجرت أعداد كبيرة من صقلية والأندلس الى شمال إفريقية واستوطنت المغرب وقد أثر هؤلاء النازحون كثيراً على الحياة الفكرية في المغرب العربي ولا شك أنهم شاركوا في حياته الاجتماعية [٣].

أثرت هذه العناصر المختلفة التي وفدت إلي منطقة المغرب في الحياة الاجتماعية واستفاد المغرب من نظمها وطرق معيشتها وزراعتها وصناعتها ، وكان كل من ينزل من هذه الأمم في بلاد المغرب ويستوطنها لا يلبث أن ينفصل عن موطنه ، ويذوب في مجتمعها [٤].

اعتمد سكان المغرب العربي في معيشتهم على الزراعة والرعي ثم اعتمدوا بعد ذلك على الصناعات اليدوية والملاحة وما أرتبط بها من الصيد في البحر ثم جاءت القرصنة بعد ذلك[٥] .

ومن الصناعات اليدوية التي اعتمدوا عليها الحدادة والنجارة واستخراج المعادن وتصنيعها وخاصة الحديد وكذلك الرصاص والزنك وكان ببعض المدن دار لصناعة السفن مثل بجاية ، وعنابة كما قامت صناعة السفن بمرسى الخرز[٦]. كما كان الحديد

---

(٢) الكامل – ج (٨) – ص (٥٥) .

(٣) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٥٣) .

(٤) تاريخ صقلية الإسلامية– دكتور عزيز احمد – نقله إلى العربية وقدم له د. أمين توفيق الطيبي – الدار العربية للكتاب – ١٣٨٩هـ – ١٩٨٠م – ص (٨٦).

(٥) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٥٣) .

(٦) نفسه – ص (٥٤) .

(١) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب– لأبي عبد الله البكري – نشر دي سلان – ص(٥٥) .

ينقل إلي مدينة فأس في شكل سبائك . ومن الصناعات التي كان يقوم بها المغاربة صناعة النسيج وعادة تقوم به النساء حيث كانت تكثر زراعة القطن .[1]

ونتيجة للتطور المعيشي تطورت الناحية العمرانية فشيدت عدد من المدن كالقيروان والمحمدية في السابق وفي عهد بني زيري أنشأوا مدينة (أشير) إلي الشمال الشرقي من تاهرت وبني بلكين مدينة الجزائر ومليانة والمدية وبني حماد قلعة ضخمة شمال المسيلة عاصمة لدولته ، وفي المغرب الأقصى بنى يوسف بن تاشفين مدينة مراكش .[2]

وقد كانت المدن المغربية في قمة الروعة والجمال فكان بكل مدينة مساجدها وقصورها وفنادقها وحماماتها ومارستاناتها التي أبدع في زخرفتها .[3]

عاش سكان المغرب العربي في عيشة رغدة في كثير من الأحيان وخاصة في ظل الدولة الصنهاجية التي كثرت فيها الأمتعة والسلع والثمار والفواكه حيث أتاح ذلك للسكان العيش السهل وقد تحدث عن ذلك ابن أبي دينار في كتابه المؤنس في وصفه لمدينة تونس التي تميزت كذلك ببساتينها وجنانها .[4]

كانت الحياة الاجتماعية في القيروان خاصة إبان حكم الصنهاجيين ، غاية في النشاط واتساع العمران وانتشر في أهل القيروان الترف والبزخ واستكان أهلها إلى الدعة والرفاهية ، وانتعشت أوجه النشاط التجاري فيها ،فأصبحت جسراً يربط المشرق بالمغرب ، وكثر رواد المدينة والوافدون عليها سواء للتجارة أو العلم وعمرت أسواقها وانتشرت في ضواحيها أماكن اللهو والطرب وسباق الخيل وبالغ الناس في اللباس رجالهم ونساؤهم .[5]

وفي المغرب الأقصى كثرت الخيرات والطيبات فكثر الأثرياء من الأفراد ومما يدل على الثراء ما وصلت إليه مدينة مراكش في عهد المرابطين .[6]

---

(٢) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب – ص (٥٤) .
(٣) التاريخ السياسي والحضاري – ص (٣٠٨-٣٨٩) .
(٤) تاريخ الأدب العربي (١٠)– شوقي ضيف – ص (٥٨) .
(٥) نفسه – ص (١٥١) .

(١) نور الطرف ونور الظرف (كتاب النورين) – لأبي اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – تحقيق ودراسة لينة عبد القدوس صالح – مؤسسة الرسالة – ط (١) ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – ص (١٩) .
(٢) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٣١٢) .

وكانت التجارة أبرز الأنشطة الاقتصادية في دول المغرب العربي ، ولقد ساعدت ظروف سياسية واقتصادية وجغرافية على ازدهارها ، كان لبلاد المغرب صلات تجارية مع غيرهم في الشرق والغرب والجنوب والشمال . يقول الإدريسي : (إن أهل مدينة إنكلارس بغانا كانوا يتجولون حتى ينتهوا في جهة المشرق إلى مصر وينصرفون إلى جهة المغرب فيصلون بلاد وارقلان) .(١)

وقد تأثرت الحياة الاقتصادية بالاضطرابات التي حدثت بعد مجيء قبائل بني هلال وسليم ، فبسببها انقطعت المواصلات بين الحواضر والبوادي ، وذهب الأمن الذي كان يتمتع به الفلاحون والتجار ، فضعفت الزراعة والتجارة .(٢)

وجدت المرأة مكانة كبيرة في المجتمع المغربي وإن قلت أحياناً هذه المكانة ، وقد كانت المرأة أحياناً تشارك في الجهاد مثلما فعل نساء القيروان عندما هاجمها عبد الواحد بن يزيد الهواري وعكاشة بن محصن الصفرية .(٣)

ومن النساء اللاتي اشتهرن بالحصافة والذكاء في ظل المرابطين النفزاوية زوج يوسف بن تاشفين وكانت تدير معه أمور السياسة والحكم وكان رأيها صائباً

وانتفع بها في تثبيت ملكه وحكمه (٤) .

اعتنق أهل المغرب العربي الدين الإسلامي بعد أن حمله العرب إليهم وأصبح دينهم الرسمي ، وأن كان هناك بعض المسيحيين واليهود ولكن الدين الرسمي هو الإسلام وكان المغرب خلال القرون الإسلامية الأولى يعتنق المذهب المالكي وقد ازدهر المذهب المالكي بعد أن أخذ المغاربة يرحلون كل عام لأداء فريضة الحج فكانوا يأخذون عن مالك ويقصدونه لأخذ الفقه وكتاب الموطأ ، ولما خلف مالك تلاميذه مثل عبد الرحمن بن

---

(٣) صفة بلاد المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (من كتاب نزهة المشتق في اختراق الآفاق) – للشريف الإدريسي – طبع ليدن – ١٨٦٣ م – ص (٨٣) .

(٤) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية – تأليف حسن حسني عبد الوهاب – الناشر مكتبة المنار– تونس – ١٩٦٤ م – ص (٤٤ – ٤٥) .

(٥) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (١٥٧) .

(١) تاريخ الأدب العربي (٩) – شوقي ضيف – ص (٣١٨) .

القاسم كانوا يرحلون إليه ويتتلمذون على أيديه فكان ذلك سبب ازدهار المذهب المالكي في المجتمع المغربي .

ثم أخذ بعد ذلك الخوارج ينشرون مذهبهم في بلاد المغرب وخاصة الصفرية وكذلك المعتزلة والظاهرية ، ثم قامت الدولة الفاطمية التي أخذت تنشر المذهب الشيعي الذي ظل سائداً حتى قطع المعز بن باديس الدعوة للفاطميين .وقد ذكر المؤرخون أن المعز اضطهد الشيعة وقتل منهم عدداً عظيماً ، وسميت هذه الحركة بحركة التطهير[١]

وفي ذلك يقول القاسم بن مروان الشاعر : [٢]

وسوف يقتلون بكل أرض كما قتلوا بأرض القيروان

وقال أحد الشعراء :

يا معز الدولة عش في رفعة وسرور واغتباط وجذل

أنت رضيت النبي المصطفى وعتيقا في الملاعين السفل

وجعلت القتل فيهم سنة بأقاصي الأرض في كل الدول

وقد وجدت الطرق الصوفية طريقها إلي المغرب العربي وأنتشرت فيه ، وخاصة الطريقة التجانية .

ثالثاً : **صورة القرن الفكرية** :

بعد أن استقرت الأمور السياسية للعرب في بلاد المغرب العربي بدءوا ينشرون الدين الإسلامي واللغة العربية وقد أقبل أهل البلاد الأصليين من البربر علي الدخول في الإسلام ، وبدءوا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الدين الإسلامي . وقد بذل الولاة في بداية الأمر وخاصة ولاة بني أمية جهداً كبيراً في ذلك وساعدهم الخلفاء بإرسال الفقهاء والعلماء ، ففي خلافة عمر بن عبد العزيز نجده يكلف عشرة من صفوة

---

(٢) البيان المغرب – ج (١) – ص (٢٧٤) .

(٣) تاريخ المغرب في العصر الإسلامي – د. السيد عبد العزيز سالم – الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر – الإسكندرية – بدون تاريخ – (٥٧٢) .

الفقهاء التابعين بالذهاب إلي إفريقية لاستكمال نشر الإسلام فيها وتعليم البربر شريعة الإسلام [١]

بدأ هؤلاء التابعون في تعليم البربر وأولادهم أصول وقواعد الدين الجديد ، ويبدو أن أهل افريقية أقبلوا على الإسلام بنفس راضية لما وجدوا من سماحة ،ومساواة وعدالة وتركوا ما يخالف عقيدة الإسلام .[٢]

وقد عمل العرب على نشر الدين الإسلامي واللغة في كثير من إجزاء المغرب العربي بدأ من ليبيا وحتى المغرب الأقصى ، فأقام الولاة عدداً من الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم لناشئة البربر وكانت تلك الكتاتيب تلحق بالمساجد أو تخصص لها غرفة بدخلها ثم أخذت تشيع حتى في الواحات والوديان [٣] .

ولقد كان لهذا الإقبال المبكر على القرآن الكريم أثره في نشر الثقافة العربية والإسلامية ففي ليبيا مثلاًكان الطلاب يفدون على حلقات العلماء في المساجد لينهلوا منها ،كما كان بعضهم يسافر إلي الحجاز ومصر الشام والعراق للتزود من العلوم الإسلامية واللغوية [٤] .

وفي القرن الخامس الهجري ازدهرت الحركة العلمية في النصف الأول منه ولكنها خمدت في النصف الثاني بسبب هجرة قبائل بني هلال وبني سليم .

ومن العلماء الذين استقروا في منطقة ليبيا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي الطرابلسي ، وهو عالم لغوي ونحوي ومن القراء المشهورين مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي المتوفى سنة ٤٤٢هـ .

ومن علماء ليبيا الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري أبو عبد لله الحسن بن عبد الرحمن الأجدابي المتوفي سنة ٤٣٢هـ[٥] وهو من علماء التاريخ المشهورين ، وفي طرابلس الحسن بن فرّاج المتوفي سنة ٥٢١هـ وعلي بن عبد الله بن مخلوف الطرابلسي[٦]

---

(١) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٧٧) .
(٢) فتح العرب بالمغرب – د. حسين مؤنس – القاهرة – ١٩٤٧ م – ص (٢٩٦) .
(٣) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٦٢) .
(٤) نفسه – ص (٦٢) .
(١) تاريخ الأدب العربي (٩) – شوقي ضيف – ص (٧٠) .
(٢) نفسه (١٠) – ص (٥٠) .

، وعن الحياة الفكرية في منطقة تونس في القرن الخامس الهجري فقد كان العهد الصهناحي ، أو الزيري في قسمة الأول عهد الازدهار في شتى المجالات فيه راجت التجارة وشيدت الحصون والقلاع وازدهرت ونشطت الحياة العلمية والأدبية وانتشرت المدارس وظهر عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء [١] .

نشأت في منطقة تونس (المغرب الأدنى) عدد من المراكز العلمية المشهورة وخاصة مدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع سنة ٦٧٠ م في وسط السهوب وراء الساحل التونسي وكانت القيروان في بداية الفتح الإسلامي القاعدة التي تنطلق منها الجيوش وفي عهد الاغالبة(٨٠٠-٩٠٩م) توسعت وازدهرت وكذلك في عهد الفاطميين [٢] .

وقد تطورت في عهد الصهناجيين وأتخذوها حاضرة لهم وعند مجئ الأعراب تركها المعز إلي المهدية .

تمتعت القيروان بالاستقلال الفكري ، ويظهر ذلك في الناحية المعمارية فقد كان لمئذنة جامعها أثرها البعيد لا في المغرب والأندلس بل في مصر كذلك [٣] ،وقد كانت القيروان مركز تأثير، وتأثر إذ كان يفد إليها عدد من العلماء والأدباء من المشرق والمغرب .

---

(٣) تاريخ الأدب في المغرب العربي – حنا الفاخوري – دار الجيل الجديد بيروت – ط (١) ١٤١٧-١٩٩٦م – ص (١٠٥).

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية في االمغرب والأندلس – د. محمد إبراهيم الفيومي – دار الجيل ، بيروت – ط (١) – ١٤١٧- ١٩٩٧م – ص (١٦ – ١٧) .

(١) القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية – د. محمد محمد زيتون – دار المنار – القاهرة – ط(٥) – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – ص (٤٦٤) .

وقد تحدث ياقوت عن القيروان في عهد المعز بن باديس وما وصلت إليه من تقدم وازدهار فقال : (وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء تشد إليها الرحال من كل فج ، لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم) .[1]

كان لجامع القيروان وهو الجامع الذي أسسه عقبة بن نافع وجامع الزيتونة في تونس وقد أسسه حسان بن النعمان دور كبير في النهضة الفكرية وقد تحول الجامعان فيما بعد إلي جامعتين تخرج فيهما عدد كبير من العلماء في مجال الدراسات اللغوية والعلوم الشرعية من دور العلم المهمة في هذه المنطقة بيت الحكمة الذي أسسه إبراهيم الثاني الأغلبي محاكاة لدار الحكمة التي أسسها هارون الرشيد ورعاها أبنه المأمون وقد ظلت هذه الدار خاصة بعلوم الأوائل مثل دار الحكمة البغدادية [2] .

ثم كان للمكتبات التي أنشئت في المغرب العربي دورها في النهضة الفكرية ومن أشهرها المكتبة العتيقة بجامع عقبة بالقيروان ومكتبة مدينة المهدية التي بناها عبيد الله المهدي . كما أسس المنصورة الفاطمي مكتبة في مدينة المنصورية وجلب إليها آلاف المخطوطات [3] .

وقد شهد القرن الخامس الهجري خاصة نصفه الأول ظهور عدد كبير من العلماء والأدباء فكان من العلماء القزاز محمد بن جعفر التميمي المتوفى سنة٤١٢هـ وابن رشيق القيرواني ، ومنهم عبد الله بن مسلم القيرواني النحوي المتوفى سنة ٤٨٨هـ وأبو إسحاق إبراهيم الحصري المتوفى سنة ٤١٢هـ وابن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠هـ [4] .

وفي مجال العلوم الشرعية نبغ عدد من العلماء منهم مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ وهو من علماء القراءات وكان يعاصره أحمد بن عمار المهدي المتوفى سنة٤٤٠هـ ومن علماء التفسير في القرن الخامس علي بن فضّال المتوفى سنة ٤٧٩هـ [5].

---

(٢) معجم الأدباء – ج (٧) – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – تأليف ياقوت الحموي – تحقيق د. إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ١٩٩٣ م – ص (٥٦) .

(٣) تاريخ الأدب العربي (٩) – شوقي ضيف – ص (١٧٢) .

(٤) نفسه – ص (١٧٣) .

(١) تاريخ الأدب العربي (٩) – شوقي ضيف – ص (١٨٢) .

(٢) نفسه (١٠) – ص (١٨٣-١٨٤) .

وازدهر علم التاريخ في هذا القرن فكان من العلماء الرقيق القيرواني صاحب ديوان الرسائل في عهد باديس الصنهاجي وابنه المعز وله كتاب مهم في تاريخ إفريقية والمغرب ، وابن رشيق القيرواني صاحب كتاب أنموذج الزمن في شعراء القيروان وقد توفى سنة٤٥٦هـ [١] . وفي مجال الشعركثر الشعراء حتى ألف فيهم ابن رشيق كتابه الأنموذج .

أما عن الحركة الفكرية في بلاد المغرب العربي الأوسط (الجزائر) فقد بدأت مبكراً كغيرها من بلاد المغرب العربي الأخرى ، فقد اهتم بنو حماد بالأدب والأدباء ، وعملوا على ضمهم لبلاطهم فكان من الشعراء الذين وفدوا إليهم ابن حمديس الصقلي مادح المنصور بن الناصر بن علناس .

ولقد كان لحلقات المساجد دور كبير في الحركة العلمية إذ كانت تلقى فيها الدروس في شتى العلوم مثل التفسير والفقه والتاريخ وعلوم اللغة العربية [٢] .

شهدت هذه المنطقة في القرن الخامس الهجري عدداً كبيراً من العلماء في ضروب المعرفة المختلفة منهم علي بن أبي الرجال ، وهو أول رياضي فلكي هاجر من بلدته تاهرت إلي القيروان وأصبح معلماً لحاكمها المعز بن باديس ثم وزيراً له ثم رئيساً لديوان الإنشاء حتى وفاته سنة ٤٢٦هـ .

أما عن الحياة الفكرية والثقافية في المغرب الأقصى في القرن الخامس الهجري وأوسطه خاصة فقد كان المغرب الأقصى ينعم بشي من الاستقرار والنظام وإن لم يخل من بعض الفتن والحروب بين الأقاليم حتى في الإقليم الواحد[٣] .

ولكنه بالرغم من هذا كله أصبح يضم بعض الإمارات التي تتسم بسمات الدول مثل مغراوة بفأس وإمارة بني يفرن بسلا وبني حمود في سبته وطنجة إمارة سقوط البرغواطي وابنه في سبتة وطنجة كذلك [٤] .

---

(٣) نفسه – ص (٢٠٠) .

(٤) نفسه (٩) – ص (٧٨ – ٧٩) .

(١) الوافي بالأدب العربي في المغرب العربي – ج (١) – محمد بن تاويت – دار الثقافة –الدار البيضاء – ط (٢) – ١٩٩٨م – ص (٢٩).

(٢) نفسه – ص (٢٩).

كان لهذه الإمارات صلات فيما بينها يطبعها النظام في الغالب فعرف بذلك المغرب أمناً داخلياً وسيادة لا ينازعه فيها منازع فكان هذا دافعاً قوياً لهجرة الأندلسيين إلي المغرب الذي نال نصيباً من حضارتهم وثقافتهم ثم هاجر إليه عدد من القيروانيين بعد هجرة الأعراب إليهم وكان منهم الحصري الضرير ، ثم هجرات الصقليين عندما تعرضت جزيرتهم للغزو النورماندي فكان ممن هاجر إلي المغرب من صقلية ابن حمديس الصقلي [١] .

قامت بعد ذلك دولة المرابطين ووحدت أجزاءاً كبيرة من المغرب الأقصى تحت قيادتها فكانت دولة قوية هرع إليها عدد كبير من كتاب الأندلس وشعراؤه فنعم المغرب الأقصى بعهده الزاهر وقطف ثمار الثقافة الإسلامية وهي يانعة الأزهار طيبة الثمار . فكان ممن وفد إليها الحصري وابن حمديس ، كما أسلفنا كم نفى إليها المعتمد بن عبّاد [٢] .

اهتم المرابطون بالعلم الديني فدولة المرابطين دولة جهاد وكفاح خاصة في عهد يوسف بن تاشفين وقبله عبد الله بن يس وقد كنت نزعة ابن ياسين إلي علم الفقه والدين أقوى منها إلي علم آخر لأنه كان عالماً ديناً فغلب هذ الميل على الدولة ومن ثم تقييمها للفقهاء فكانت وظائف الدولة من نصيب رجال الشريعة فيما عدا ذلك فإن العلماء كانوا قائمين بنشاطهم الفكري لا يعترضهم معترض [٣] .

يقول عبد الله كنون في كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي : (لقد كان أساس دعوة المرابطين العلم وعليه قامت دولتهم وإن رحلة يحيي بن إبراهيم الجدالي التي تمخضت عن دخول عبد الله بن يس إلي الصحراء لأعظم دليل على ذلك [٤] .

ومن العلماء المشهورين في مجال علوم اللغة في عهد المرابطين في القرن الخامس أبو الحسن بن طريف السبتي ومروان بن سمجون الطنجي فضلا عن الأدباء والعلماء

---

(٣) نفسه – ص (٢٩).

(٤) نفسه – ص (٢٩ –٣٠).

(١) قادة فتح المغرب ص (١٨٣).

(٢) النبوغ المغربي في الأدب العربي – ج (١) – ص (٦٧–٦٨) .

الذين نبغوا في هذا العصر مثل ابن زنباع ويحيى بن الزيتوني وعبد العزيز السوسي ، وابن القابلة السبتي وغيرهم .[1] .

ووفد إلي المغرب الشاعر القيرواني على بن عبد الغني الحصري الذي يقول عنه شوقي ضيف وتكونت حوله سريعاً ندوة أدبية [2] .

وهكذا كان عصر المرابطين من العصور الذهبية في المغرب الأقصى وفيه انتشرت النهضة الفكرية وفي هذا العصر عرف المغرب صناعة الورق أيام يوسف بن تاشفين ... ، واحترف عدد من الناس النساخة . يقول عنهم صاحب كتاب الوراقة المغربية محمود المنوفي : (فلا شك أن عددهم ليس بالقليل غير أن المعروف منهم لا يتعدى الخمسة منهم عبد الملك بن عبد العزيز بن وليد اللخمي الشاطبي الأصل نزيل فاس ونسخ في فاس كتاب الاستذكار لابن عبد البر ، وفرغ منه في رجب عام ٤٩٨هـ [3] .

وأصبحت مدينة مراكش التي بناها يوسف بن تاشفين سنة (٤٥٤هـ) حاضرة المغرب إذ ذاك ، وأصبح بلاطها منتدى الشعراء والأدباء والحكماء[4] مما يدل على تطور الأدب وازدهاره في هذا القرن .

---

(٣) نفسه – ص (٧٧) .

(٤) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٣٧٧) .

(٥) تاريخ الوراقة المغربية – محمد المنوني – جامعة محمد الخامس – المملكة المغربية ١٩٩١م – طبع مؤسسة كونرد أدناور – ص (٢١-٢٢) .

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي – حنا الفاخوري – دار الجيل – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – ص (٩٩٤) .

الفصل الأول

الاتجاهات الاجتماعية

المبحث الاول: اتجاه المدح

المبحث الثانى: اتجاه الرثاء

المبحث الثالث: اتجاه الهجاء

المبحث الرابع : اتجاه الاخوانيات

المبحث الأول

اتجـاه المـدح

فن المدح من أكثر الأغراض الشعرية انتشاراً في الأدب العربي، وهو فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب مقام السجل الأدبي لجوانب من حياتنا التاريخية ، إذ رسم نواح عديدة من أعمال الملوك ، وسياسة الوزراء ، وشجاعة القواد وثقافة العلماء فأوضح بعض الخفايا ، وكشف بعض الزوايا ، وأضاف إلى التاريخ – صادقاً أو كاذباً – ما لم يذكره التاريخ .(١)

وشعر المديح من أكثر الأبواب انتشاراً وشيوعاً بين شعراء العربية ، ولعل السبب في ذلك يرجع في اغلب الأحيان إلى انه وسيلة كسب لدى أكثر الشعراء ، إذ يحاولون بهذا المدح إن ينالوا عطايا وجوائز الحكام والأمراء ، وغيرهم ممن يمدحونهم لذا كان لابد من الإجادة والتحسين للقصائد حتى ينال الشاعر قدرا من الجوائز . (٢)

جاء في معجم تهذيب اللغة للأزهري عن المدحة اسم المدح : (المدح نقيض الهجاء . وهو حسن الثناء يقال مدحه مدحة واحدة ، و المدحة اسم المدح والجميع مدائح) (٣).

يقول ابن رشيق عن سبيل الشاعر في المدح : (وسبيل الشاعر – إذا مدح ملكا – إن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وان يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقية،غير مبتذلة سوقية،ويتجنب – مع ذلك – التقصير والتجاوز الطويل).(٤)

---

(١) المديح – بقلم سامي الدهان – دار المعارف – القاهرة – ط٢ – بدون تاريخ ص (٥).

(٢) نفسه ص (٥) .

(٣) معجم تهذيب اللغة – لأبي منصور الهروي الأزهري – تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي – المطبعة المصرية ١٩٧٠ م

(٤) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده – ج (٢) – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – ص (١٢٨) .

وقد تناول شعراء القرن الخامس في المغرب المدح في شعرهم ، وأكثروا منه ولعل ما أعانهم على ذلك وجود عدد من الملوك كان ببلاطهم عدد من الشعراء قصدوهم ، وجاءوا إليهم ولم يبخلوا عليهم بعطاياهم وجوائزهم ،ومن أشهر ملوك هذه الفترة الذين نالوا حظاً وافراً من شعر المديح ، المعز بن باديس وابنه تميم في القيروان أولاً ثم في المهدية ، ثم هناك أبناء عمومتهم أصحاب القلعة الحمادية الذين قصدهم عدد من الشعراء ومدحوهم بأشعارهم ، ثم كان المرابطون الذين قاموا دولة فتية في الغرب الأقصى وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين .

ونال المعز بن باديس النصيب الأكبر من مدح الشعراء إذ ضم بلاطه عددا من الشعراء .

يقول ابن رشيق القيرواني[١] مادحاً المعز بن باديس ومهنئاً له بعقده الإمارة لولده الأمير أبي منصور نزار سنة ٤٢٢هـ – ١٠٥١ م :[٢]

عن مثل فضلك تنطق الشعراء	**وبمثل فخرك تفخر الأمراء**
وأرى الثرى والماء حولك حملا	**ما لا يقوم له الثرى والماء[٣]**
لم يبق من طرف العراق وغيره	**شيء يروق العين منه رواء[٤]**
حتى كأن الشرق أعمل بفكره	**في إن حوته يمينك البيضاء[٥]**

وابن رشيق في أبياته السابقة يقلد المتنبي ، ويجرى في مضماره ، ويرى المعز قد جمع في نفسه مكارم الأخلاق فلذلك الشعراء يتغنون بفضله ، والأمراء يفخرون بفخره ،

---

(١) هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني الأزدي ، ولد سنة ٣٩٠هـ في مدينة المسيلة ، وفيها قرأ القرءان الكريم والشعر وبعض علوم عصره ، وتعلم الصياغة من أبيه وهو صغير ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى القيروان وكانت حاضرة العلم والأدب فمدح ملكها المعز بن باديس ، وأمضى أربعين سنة ما بين قصره وحلقات العلم في المسجد فعرف بالقيرواني ، ثم انتقل إلى المهدية بعد هجوم بني هلال على القيروان ثم إلى صقلية ، وأقام بها إلى أن مات بمازر سنة ٤٥٦هـ ، له عدد من المؤلفات منها العمدة ، وأنموذج الزمان ، وقراضة الذهب .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٢٧ – ٢٨) .

(٣) الثرى : التراب الندي ، وقيل هو التراب الذي إذا بل لم يصر طينا لازبا .

(٤) طرف : جمع طرفة ، وهو كل شيء استحدثته فأعجبك ، الرواء : المنظر الحسن .

(٥) أعمل فكره : شحذه ، اليمين البيضاء : الكثيرة العطاء .

ويري أن التراب والماء من حوله حملا ما لا يستطيعان حمله ، ثم يقول وكأن الشرق شحذ فكره ، فأتى بهذه المصنوعات الطريفة لتكون ملك يمينك الكثيرة العطاء .

ويمدحه في قصيدة أخرى يقول في جزء منها :[١]

ذمت لعينك أعين الغزلان قمر أقر لحسنه القمران [٢]

ومشت ولا والله ما حقف النقا مما أرتك ولا قضيب البإن[٣]

وثن الملاحة غير أن ديانتي تأبى علي عبادة الأوثإن[٤]

يابن الأعزة من أكابر حمير وسلالة الأملاك من قحطان

من كل أبلج أمر بلسانه يضع السيوف مواضع التيجان[٥]

وحللت من علياء صبرة موضعا أكرم به من موضع ومكان

زادت بناه علي الخورنق بسطة وحوت أعز حمي من النعمان [٦]

وغدا ابن ذي يزن بسفل دونه هحما نزلن به على غمدان [٧]

وابن رشيق في أبياته السابقة يبدأ كعادة بعض الشعراء بالغزل ، ثم ينتقل بعد ذلك إلي مدح المعز ، فهو يمتدح نسبه ، فالمعز من أكابر الحميريين ، وذلك من القول الذي يرى أن صنهاجة من حمير ، والمعز من سلالة ملوك قحطان ، والمعز سليل قوم واضحي النسب والسيرة يضعون السيوف موضع التيجان ، أي هم أهل حرب وشجاعة وليسوا من أهل المظاهر الخداعة ، ثم يمتدح الموضع الذي حل به المعز ، فهو في (صبرة) أشرف المواضع وأعلاها ، وهو يسمو بقصره على قصور الفرس ،ويجعل حماه

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٥٥ – ١٥٦) .

(٢) القمران : الشمس والقمر .

(٣) الحقف : ما استطال واعوج من الرمل ، والجمع أحقاف وحقوف ، النقا : الكثيب من الرمل ، البان : شجر سبط القوام لين تشبه به الحسان في الطول واللين ، واحده بانة .

(٤) الوثن : التمثال يعبد سواء أكان من خشب أم حجر أم نحاس أم غير ذلك .

(٥) أبلج : بلج الإنسان بلجا بعد ما بين حاجبيه فهو أبلج ، وهي بلجاء .

(٦) صبرة : موضع بالقرب من القيروان ، الخورنق : قصر من قصور الفرس .

(٧) غمدان : قصر باليمن .

أكثر منعة وعزة من حمي الملك النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ثم هو يفوق أهل الزمان شجاعة ، فسيف بن ذي يزن ملك اليمن على مكانته في البطولة لا يدانيه .

ومن القصائد التي مدح بها ابن رشيق المعز هذه القصيدة وبها دخل في جملة المعز ، ونسب إلي خدمته ، فلزم الديوان ، وأخذ الصلة والحملان :[١]

لدن الرماح لما يسقي أسنتها   من مهجة القيل أو من ثغرة البطل[٢]

لو أثمرت من دم الأعداء سمر قنا   لأورقت عنده سمر القنا الذبل[٣]

إذا توجه في أولى كتائبه   لم تفرق العين بين السهل والجبل

فالجيش ينفض حوليه أسنته   نفض العقاب جناحيه من البلل

يأتي الأمور على رفق وفي دعة   عجلان كالفلك الدوار في مهل

فابن رشيق يمدح المعز – دائماً – بالشجاعة والبطولة فهو يصف سلاحه ولا يخفى علينا ما بالبيت الثاني من روعة وجمال فلو كانت الرماح السمر تثمر من دماء الأعداء لأثمرت رماح المعز وفي البيت الثالث يبالغ الشاعر في وصف جيش المعز وعدته وعتاده فيصبح السهل كالجبل والجبل كالسهل .

وكأن الشاعر قد نظر في بيته الرابع إلى بيت أبى صخر الهزلي :[٤]

وإني لتعروني لذكراك هزة   كما انتفض العصفور بلله القطر

أو إلى بيت المتنبي : [٥]

يهز الجيش حولك جانبيه   كما نفضت جناحيها العقاب

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٢٧) .

(٢) اللدن : اللين ، وقناة لدنة لينة ، القيل : من ملوك اليمن في الجاهلية والجمع أقوال وأقيال ، الثغرة : الثلمة ، نقرة النحر .

(٣) الذبل : الحادة .

(٤) شذور الذهب في معرفة كلام العرب – لابن هشام الأنصاري – أعده محمد إبراهيم سليم – دار الطلائع – ص (٢٠٠) .

(٥) ديوان المتنبي – لأبي الطيب أحمد بن الحسين – الزهراء للإعلام العربي – ص (٢٨٧) .

وكما مدح ابن رشيق المعز بن باديس مدح – كذلك – ابنه الأمير تميم[١] وذلك كقوله : [٢]

أصح وأقوي ما سمعناه في الندي　　من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا　　عن البحر عن كف الأمير تميم

ومن الشعراء الذين مدحوا المعز بن باديس الشاعر إسماعيل بن إبراهيم بن الخازن[٣] المكنى بأبي طاهر ، وفيه يقول : [٤]

رفيع العماد وري الزناد　　عظيم الرماد هنى القرا

وأندى بنانا من الزاخرات　　ففيض البحور لديها حسا

وأرزن حلما من الراسيات　　إذا ما ذووا الحلم حلو الحبي

وأنور وجها من النيرين　　إذا الخطب في مضمحل دجا

وله أيضا في مدح المعز :[٥]

وله ذؤابة حمير وسناؤها　　وسنام يعرب الرفيع العالي

ويحل من قحطان أعلى ذروة　　يعيا محاولها وليس بال

مازال يبتاع العلا متغاليا　　إن العلا – وأبيك – علق عال

أضحت به الدنيا عروسا تجتلي　　وتبلجت عن زهرة الآمال

وإذا تراءى للعيون بدا لها　　سعد السعود وطالع الإقبال

بذ الملوك جلاله ومهابة　　وعلا على النظراء والأشكال

---

(١) هو تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي ، ولد بالمنصورية يوم الاثنين ثالث عشر رجب الغر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، ووفاته رجب سنة إحدى وخمسمائة (الخريدة – ص ١٤٢) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١٤٣) .

(٣) هو إبراهيم بن إسماعيل بن الخازن ويكنى بأبي طاهر ، موطنه زويلة ، له شعر جيد وطئ الأكناف سهل المخارج ، تقدم في علم الغريب وطلبه وعلو سماعه (الأنموذج – ص ٧١).

(٤) أنموذج الزمان في شعراء القيروان – جمعه وحققه . محمد العروسي المطوي – بشير البكوش – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط (١) ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م – ص (٧٢) .

(٥) نفسه – ص (٧٢) .

فالشاعر يذكر أصل الممدوح ، وهو المعز بن باديس ، ثم يذكر نسبته إلي حمير شأنه في ذلك شأن ابن رشيق والذي تحدث - كذلك – عن نسبة المعز إلى حمير ثم يصف الممدوح بأنه سنام يعرب لما له من مكانه عالية فهو يبتاع العلا باذلاً أغلى الأثمان لأن العلا غالى الثمن . ثم إن الممدوح يفوق الملوك والنظراء جلاله ومهابة .

ومن الشعراء الآخرين الذين مدحوا المعز بن باديس ، الشاعر ابن شرف القيرواني وهو واحد من أشهر شعراء البلاط الأدبي للمعز بن باديس ، وقد حاز إعجاب المعز هو وابن رشيق وحظيا بعظيم عنايته وكبير اهتمامه ، وكانا مقدمين عنده على سائر من في حضرته وقد مدح ابن شرف المعز كما مدحه ابن رشيق ، فمن ذلك قوله عندما ولى المعز أبا بكر احمد بن أبى زيد قضاء القيروان :[(١)]

لله من يوم أغر سعيد   متميز من عصره معدود

كان القضاء إراثة فرددته   شورى ففاز بحقه المردود

يا فضلها من سيرة عمرية   هي للعباد رضى وللمعبود

ولا يخفى ما بالبيت الأخير من تشبيه ما فعله المعز واقتفاه لسيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

ولابن شرف في مدح المعز :[(٢)]

فلو رأى من مضى ما شدته لهجا   أولاد جفنة بعد المدح حسان

وهل لهم غير أيام مقدمة   وكل حي له حين وأيان

تقدموك بما لم يسبقوك به   كما تقدم شهر الصوم شعبان

لم يلهك العز عن أهل الخمول على   إن الغني شاغل والعز فتان

لما رأى الله بقيانا على ظمأ   أغاثنا بك إن الله رحمان

أصلحت بيني وبين الدهر بعد وغى   شمطاء فاصطلحت عبس وذبيان[(٣)]

---

(١) ديوان ابن شرف القيرواني – أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني – تحقيق د. حسن ذكري حسن – نشر مكتبة الكليات الأزهرية – بدون تاريخ – ص (٤٩) .

(٢) نفسه – ص (١٠٤ – ١٠٥) .

(٣) الوغى : الحرب ، الشمطاء : العجوز ، والمراد هنا الحرب الطويلة التي استمرت زهاء الأربعين عاما بين عبس وذبيان .

وصرت في عدة تزري بعدته وصار حولي للأقران أقران

حتى استطلت عليه في مهابته كما استطال على النعمان غسان[١]

لما غزت حرمي سود الحوادث في جيش النجاشي والأيام تختان

كنت ابن ذي يزن لم تبن عدته تلك الجموع ولم تحصنه غمدان

قلدت منك يدي نصر ومقدرة في بعض نصرته كسرى وساسان

ونلاحظ أن ابن شرف في مدحه للمعز في أبياته السابقة يستلهم حوادث التاريخ ، لأن من مضى لو رأى ما شاده المعز لهجا أولاد جفنة وهم رهط من الغساسنة هاجروا من بعد تصدع سد مأرب واستقروا بالشام وحكموا إمارة الغساسنة التي كانت تجاور الروم ، وقد وفد إليهم حسان بن ثابت في الجاهلية ومدحهم بشعره ومن اشهر ما قاله فيهم قصيدته التي منها قوله : [٢]

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم يقول ابن شرف إن المعز قد أصلح بينه وبين الدهر بعد حرب طاحنة ثم يشبه هذا الصلح بالصلح الذي تم بين عبس وذبيان بسبب تلك الحرب التي استمرت زهاء الأربعين عاما حتى قضت على الأخضر واليابس ، وكان لهرم بن سنان والحارث بن عوف دور كبير في إيقاف هذه الحرب ،والصلح بين القبيلتين ، وقد خلد الشاعر زهير ابن أبي سلمي فعلهما في معلقته المشهورة كما في قوله :[٣]

---

(١) النعمان : ملك من ملوك المناذرة الذين مدحهم حسان بن ثابت ، غسان : اسم ما نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ويقال غسان اسم قبيلة .

(٢) ديوان حسان بن ثابت – تحقيق د. سيد حنفي حسنين – دار المعارف – القاهرة – بدون تاريخ – ص(١٢٢) .

(٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى – تقديم وشرح وتعليق د. محمد محمود – دار الفكر اللبناني – بيروت – طبعة ١٩٩٥م – ص (١٠٩ – ١١٠) .

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله   رجال بنوه من قريش وجرهم[١]

يمينا لنعم السيدان وجدتما   على كل حال من سحيل ومبرم[٢]

تداركتما عبسا وذبيان بعدما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[٣]

ثم إن ابن شرف يرى أن المعز قد جعله في عدة جعلته يتطاول عليه كما تطاول الغساسنة على النعمان بن المنذر ملك المناذرة بالحيرة وهو يشير لتلك الحروب التي دارت بين المناذرة والغساسنة .

ثم يشبه المعز بسيف بن ذي يزن أحد ملوك اليمن القدماء ومحررها من الأحباش بعد أن احتلوها ردحاً من الزمان ، وحاولوا خلال حكمهم لليمن غزو مكة وهدم الكعبة.

وإذا كان المعز بن باديس قد نال النصيب الأكبر من المدح في مملكته فهنالك شعراء مدحوا شخصيات أخرى ،مثل الأبيات التي قالها الشاعر يعلي بن إبراهيم الاربسي[٤] في مدح القزاز الشاعر .

وقد أورد ياقوت هذه الأبيات عندما ترجم للقزاز وعلق عليها ياقوت بقوله : (كان القزاز معجبا بهذه الكلمة ويقول ما مدحت بأحب إلي منها .والأبيات هي[٥]):[٦]

نسجت شعاعا بيننا فكأننا   منها جميعا تحت ثوب مذهب

فمزجتها من فيه حين شربتها   ولثمته لرضاب ثغر أشنب

في ليلة للدهر كانت غرة   يرنوا إليها الخطب كالمتعجب

فت الأنام بها كما فت الورىسبقا محمد بالفخار الأغلب

---

(١) جرهم : قبيلة عربية تزوج منها إسماعيل عليه السلام ، فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته عليه السلام.

(٢) السحيل : المفتول على قوة واحدة ، المبرم : المفتول على قوتين أو أكثر ثم يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوي .

(٣) التدارك : التلافي ، التفاني : التشارك في الفناء ، منشم : امرأة تبيع العطر اشترى منها قوم من جفنة عطرا وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر فقتلوا عن آخرهم (شرح المعلقات السبع – للزوزني – دار الجيل بيروت – لبنان– بدون تاريخ – ص ١٠٦) .

(٤) من شعراء القيروان ، ومن شعراء البلاط الأدبي للمعز بن باديس ، فأصله من مدينة الاربس ، وتأدب بالقيروان ، مليح الكلام حسن النظام لألفاظه حلاوة وعليها طلاوة ، يذهب في الفلسفة في شعره ويغرب في عبارته .

(٥) معجم الأدباء – ياقوت الحموي – ج (١٨) – مطبوعات دار المأمون – مصر ١٩٣٦ م – ص (١٠٦–١٠٧)

(٦) نفسه – ص (١٠٦) .

أبدا على طرف اللسان جوابه فكأنما هو دفعة من صيب

يغدو مساجله بعزة صافح ويروح معترفا بذلة مذنب

فالأبعد النائي عليه في الذيفتر كالداني إليه الأقرب

ومن الشعراء الذين مدحوا ملوك بني زيري وبني حماد الشاعر الصقلي ابن حمديس الذي وفد إلى إفريقية بعد أن هاجر من صقلية إلى الأندلس ثم من الأندلس كانت وجهته إفريقية وأقام ابن حمديس ما يزيد على نصف عمره بإفريقية متنقلا بين أغمات وسلا والمهدية وبجاية وبونة وتاجنة وقابس وصفاقس وميروقة وسبته يمدح ليعيش .[١]

ومن ملوك بني حماد الذين مدحهم ابن حمديس المنصور بن الناصر بن علناس[٢] إذ يقول فيه:[٣]

أعليت بين النجم والدبران قصرا بناه من السعادة بان

فضح الخورنق والسدير بحسنه وسما بقمته على الإيوان

فإذا نظرت إلى مراتب ملكه وبدت إليك شواهد البرهان

أوجبت للمنصور سابقة العلى وعدلت عن كسرى أنوشروان

في الأبيات السابقة يمدح ابن حمديس المنصور، ويتحدث عن القصر الذي بناه المنصور ، وكان المنصور مغرما بالمباني إذ بنى عددا من القصور هي قصر

(١) ديوان ابن حمديس – صححه وقدم له احسان عباس – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ – ص (١٢).

(٢) هو المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد الأمير ، صنهاجي من رجال العمران ، نشأ في إمارة أبيه بقصر بجاية ، وبعد وفاة أبيه (٤٨١هـ) تولى بجاية وقصر حماد وبنى قصورا ، وزحف بجيش عظيم إلى تلمسان فقاتله المرابطون (٤٩٦هـ) وانتهى أمره معهم بالصلح ، وتوفي سنة ٤٩٨هـ (الأعلام – ج (١) ص–٣٥٠)

(٣) ديوان ابن حمديس – ص (٤٩٤ – ٤٩٥) .

الملك والمنار واللؤلؤة ، وكان بنو حماد قد اهتموا بفن العمارة وخاصة بناء القصور . [١]
وقد فاق هذا القصر الخورنق والسدير كما أنه سما على إيوان كسرى وهو – أي القصر – أوجب للمنصور سابقة العلى .

ويقول ابن حمديس في خاتمة قصيدة يصف داراً بناها المنصور بن علناس ويمدح فيها المنصور [٢] :

يا مالك الأرض الذي أضحى له   ملك السماء على العداة نصيرا

كم من قصور للملوك تقدمت   واستوجبت لقصورك التأخيرا

فعمرتها وملكت كل رئاسة   منها ودمرت العدا تدميرا

ثم يقول في قصيدة ثالثة له في مدح المنصور بن علناس وقد بدأها بالحديث عن الخمر يقول في مطلعها:[٣]

أمدام عن حباب تبتسم   أم عقيق فوقه در نظم

أعلى الهم بعثنا كأسنا   أم بنجم الأفق شيطان رجم

ويستمر الشاعر في وصف الخمر ثم يتخلص بعد ذلك إلى مدح المنصور فيقول:

فأدر للروح أختا والزرا   جين بنتا وسرور النفس أم[٤]

فهي مفتاح للذات لنا   ويد المنصور مفتاح الكرم

حل قصر المجد منه ملك   بدئ المجد به ثم ختم

يحتبي في الدست منه أسد   وهلال وسحاب وعلم

يترك النقمة في جانبه   وإذا عاقب في الله انتقم

وإذا قال : نعم ،وهي له   عادة أسبغ بالبذل النعم

ذو أياد بأياد وصلت   كتوالي ديم بعد ديم

وهكذا استمر في مدحه للمنصور بهذه القصيدة التي تبدوا ألفاظها سهلة ومعانيها واضحة .

---

(١) دولة بني حماد – ص (١٧٦) .

(٢) ديوان ابن حمديس – ص (٥٤٩) .

(٣) نفسه – ص (٤٣٩ – ٤٤٠) .

(٤) الزراجين : جمع زرجون وهو قضيب الكرم .

ومن الشعراء الذين مدحوا الناصر بن علناس[1] الشاعر ابن الفكاه أبي القاسم عبد الخالق القرشي القيرواني الذي يقول في الناصر مبتدأ بالغزل : [2]

قالت سعاد وقد زمت ركائبنا　　　مهلا عليك فأنت الرائح الغادي![3]

فقلت تالله لا أنفك ذا سفر　　　تجري بي الفلك أو يحدو بي الحادي

حتى أقبل ترب العز منتصرا　　　بالناصر بن علناس بن حماد!

ومن الشعراء الذين مدحوا المرابطين ابن القابلة السبتي وقد ذكر له ابن بسام في الذخيرة بعض الأبيات في مدح قائد المرابطين يقول فيها : [4]

تركتهم نهب الفلاة ووحشها شعورهم شعث وأوجههم غبر

تظل سباع الطير عاكفة بهم　　　على جثث قد سل أنفسها الذعر

وقد عوضتهم من قبور حواصلاً　　　فيا من رأى ميتا يطير به قبر

فالشاعر يقول إن أرواحهم لم تسلها السيوف ، وإنما سلها الذعر من الممدوح وجيشه قبل السيوف ، ثم يقول إن الطير عاكفة على أجسادهم تأكلهم أكلا لما ، وكأنما لم يعد التراب قبورهم ، بل أصبحت قبورهم حواصل الطير .

ويقول علي بن عبد الغني الحصري عن المرابطين [5] :

---

(١) هو الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي أمير شجاع عمراني من بني حماد كان من سكان قلعتهم ، واستنكر عتو قريبه بلكين بن محمد فتصدى له وقتله ، وتولى القلعة ، فبنى بالقرب منها عددا من القصور ، واتسعت مملكته وبايعه أهل القيروان سنة ٤٦٠هـ ، وبنى مدينة بجاية ، وسماها الناصرية وتوفي بها سنة ٤٨١هـ (الأعلام – ج (٧) – ص ٣٤٩) .

(٢) أعمال الأعلام– ق (٣) – للوزير لسان الدين بن الخطيب – تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي وآخر – الدار البيضاء – المغرب – ص (٩٦) .

(٣) زمت : شدت بالزمام استعدادا للرحيل .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني – تحقيق سالم مصطفى البدري – ج (٤) – منشورات دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م – ص (٢٢٨) .

(٥) أعمال الأعلام – ص (٢٤٨) .

بنو الحرب غذتهم لبان ثديها وما استعذبوا منهن إلا العلاقما[١]

يحثون للهيجاء جردا سلاهباوينضون في البيداء بزلا صلادما[٢]

وان طعنوا بالسمهرية خلتهم ضراغم تغري بالقلوب أراقما[٣]

وان كر منهم ذو لثام معمم غدا لفم الهيجاء بالسيف لاثما[٤]

فالحصري يقول عن المرابطين : إنهم بنو الحرب رضعوا لبان ثديها ، مستعذبين منها العلاقم ، وأشدها مرارة كناية عن حسن بلائهم في الحروب الضارية ، وإنهم ليحثون لها خيلاً جرداً مقدمة ، ويضنون في البوادي إبلاً متينة صلبة ، وانك لترى الرماح في أيديهم يدسونها في قلوب أعدائهم وإنك ترى الملثم منهم إذا صمم وكر كأنما يريد أن يقبل الحرب بسيفه .

ومن الملاحظ علي النماذج السابقة أن الشعراء ساروا على نمط الشعراء السابقين في المشرق العربي ، وذلك في وصف الممدوحين بصفات الشجاعة والكرم ، ثم يتحدثون عن أعمالهم التي قاموا بها ان كانت في مجال الحروب ، أو في مجالات أخرى كما رأينا عند ابن حمديس إذ أنه تكلم عن القصور التي بناها المنصور بن علناس ، وذلك من خلال مدحه له ، كما نجد الشعراء أحيانا يبدءون قصائدهم بالمدح مباشرة، وأحيانا يبدؤون بالغزل أو وصف الخمر أو غير ذلك .

وقد مدح عبد الجليل بن وهبون[٥] بعد موقعة الزلاقة المعتمد بن عباد ،ويوسف بن تاشفين بقصيدة يقول في مدح يوسف : [٦]

فثار إلى الطعان حليف صدق تثور به الحفيظة والذمام

---

(١) بنو الحرب : كناية عن قوتهم وشدتهم وبأسهم ، العلاقم : جمع علقم وهو الشديد المرارة .

(٢) جردا : قوية ، سلامي : طويلة ، ينضون : يهزلون ، بزلا : إبلا ناضجة متينة ، صلادم : صلبة .

(٣) السمهرية : جمع سمهري وهو الرمح ، ضراغم : أسد ، أراقم : جمع أرقم أخبث الحيات والأفاعي .

(٤) ذو لثام : كان المرابطون يضعون لثاما على وجوههم فسموا الملثمين ، لاثما : مقبلا .

(٥) هو عبد الجليل بن وهبون من أهل مدينة مرسية بالأندلس بدا حياته موظفا في بلاط المعتمد بن عباد باشبيلية ثم سمع المعتمد بعض أبيات من شعره فأعجب بها وكافأه عليها وجعله من جملة شعرائه وامتاز شعره بجانب الوصف والمديح بطابع فلسفي وعندما ملك يوسف بن تاشفين الأندلس كان من جملة الشعراء الذين مدحوه . (أعمال الأعلام – ق ٣ – ص ٢٤٧) .

(٦) أعمال الأعلام – ص (٢٤٨) .

فيوسف يوسف إذ انت منه كبا بزلا وما لكما نظام

نهجت لسيله نهجا فوفى	**وفي أذانه الطامي عرام**
فهيل به كثيب الكفر هيلا	**وكان رفيقه منه ركام**
عديد لا يشارفه حساب	**ولا يحوي جماعته زمام**
تألفت الوحوش عليه شتى	**فما نقص الشراب ولا الطعام**
فان ينج اللعين فلا كحر	**ولكن مثل ما ينجوا اللئام**

ويقول ابن زنباع[١] متحدثا عن المرابطين وشجاعتهم وحروبهم : [٢]

سل الحرب عنهم والسيوف جداول تدفق والأرماح رقط تنضنض[٣]

وبالأرض من وقع الجياد – تمدد ولكنه – فيما تروم تقبض

بالأفق للنقع المثار سحائب	**مواخض لكن بالصواعق تمخض[٤]**
وقد سهكت تحت الحديد من الصدا	**جسوم بما علت من المسك ترحض[٥]**
وأشرفت البيض الرقاق على الطلى	**لتكرع فيها والرؤوس تخفض[٦]**
فلست ترى إلا دماء مراقة	**تخاض إلى أكباد قوم تخضخض[٧]**

يقول ابن زنباع : سل الحرب عن شجاعة المرابطين وبأسهم ، والسيوف في أيديهم كأنها جداول تتدفق بالدماء ، والرماح تلوكها ، وتسيل رقطا ملطخة بها ، والأرض تحت حوافر خيولهم كأنها تتمدد ، وهي في الواقع تطوى طياً ، وبالأفق للغبار المثار سحائب حوامل صواعق مهلكة من الأسلحة والعتاد الحربي ، وقد تغيرت أجسام الأبطال تحت الحديد من

---

(١) هو أبو الحسن بن زنباع الطنجي ممن نبغ في الطب والعلاج ، وكان إلى ذلك من أعلام الأدب البارزين (النبوغ المغربي – ص ٧٧) .

(٢) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصي – ص (٤٠ – ٤١) .

(٣) رقط : جمع أرقط : ما كان بلونه بقع مثل النمر ، تنضنض : تلوك ،

(٤) النقع : غبار الحرب ، مواخض : حوامل ، تمخض : تحمل .

(٥) سهك الشيء : تغيرت رائحته ، علت: الشرب الثاني بعد النهل ، ترخص : تغسل .

(٦) البيض الرقاق : السيوف ، الطلى : الأعناق ، كرع : شرب .

(٧) مراقة : سائلة ، تخاض : تقتحم ، تخضخض : تخوض في أكباده .

الصدأ بما تغسل به من المسك مراراً ، وفي أيديهم السيوف ، وقد سلت على أعناق الأعداء كأنما تريد أن ترتوي منها بينما تهوى الرؤوس إلى الحضيض ، فلست ترى إلا أنهاراً من الدماء تقتحم إلى أكباد الأعداء .

وقال ابن شرف[١] يمدح شيخه أبا الحسن بن أبي الرجال[٢] : [٣]

جاور عليا ولا تحفل بحادثة   إذا ادرعت فلا تسال عن الأسل[٤]

اسم حكاه المسمى في الفعال وقد   حاز العليين من قول ومن عمل

فالسيد الماجد الحر الكريم له   كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

زان العلى وسواه شانها وكذا   الشمس حالان في الميزان والحمل[٥]

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد   ملء المسامع والأفواه والمقل

وعلق حنا الفاخوري على هذه الأبيات بقوله : (هذا الشاعر الذي عرفناه شاعر الورد والخمر والكأس نراه هنا رفيق أبي تمام والمتنبي في الجزالة وروعة المدح ، وابتكار المعاني ، والتصرف بشتى أنواع الزخارف البيانية والبديعية في سهولة وطبيعة وسلالة ، فما أروع التشبيه وأغناه في البيت الثالث ، وما أجمل السبك في البيت الأخير حيث استعمل الشاعر أسلوب الطي والنشر البديعي وكان أسلوبه أسلوب الأداء الذي لا يقل روعة عن أسلوب شاعر المعتصم في بغداد . [٦]

(١) ديوان ابن شرف – ص (٨٥) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي الأجدابي القيرواني ، شاعر وكاتب وناقد ، ولد بالقيروان سنة ٣٩٠هـ ، وتوفي باشبيلية أو بطليطلة سنة ٤٦٠هـ ، والبعض يرى أنه توفي سنة ٤٦٢هـ ، من مؤلفاته كتاب أبكار الأفكار .

(٥) هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني الكاتب ورئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية ، أصله من عرب الفتح ، بلغ درجة رفيعة من الأدب وصناعة الشعر ، ومن آثاره أرجوزة في الفلك ، توفي سنة ٤٢٦هـ .

(٤) ادرع بالدرع وتدرع بها : لبسها ، الأسل : نبات سميت به الرماح لطول أغصانه ودقته .

(٥) الميزان والحمل : برجان من الأبراج الفلكية المشهورة .

(٦) تاريخ الأدب في المغرب العربي – حنا الفاخوري – دار الجيل – بيروت – ط (١) ١٤٧١ هـ – ١٩٩٦ م – ص (١١٦).

المبحث الثاني

اتجاه الرثاء

الرثاء من الموضوعات البارزة في أدبنا العربي ، إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم وسبقوهم إلى الدار الآخرة ، وهو بكاء يتعمق في القدم منذ وجد الإنسان ووجد أمامه المصير المحزن مصير الموت والفناء الذي لابد أن يصير إليه الإنسان ، فيصبح أثراً بعد عين وكأن لم يكن مذكوراً . [١]

ولكل أمة مراثيها ، والأمة العربية تحتفظ بتراث ضخم من المراثي ، وهي تأخذ عندها ألواناً ثلاثة هي : الندب والتأبين والعزاء ، أما الندب فهو بكاء الأهل والأقارب حيث يعصف بهم الموت فيئن الشاعر ويتفجع إذ يشعر بلطمة مروعة تصوب إلى قلبه فقد أصابه القدر في ابنه ، أو في بنته ، أو في أخيه . أما التأبين فهو رثاء الشخص حيا ، أو ميتاً ثم اقتصر على الموتى ، وليس في التأبين نواحاً ، أو نشيجاً على هذا النحو بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص ، إذ يخر نجم في سماء المجتمع فيشيد به الشعراء منوهين بمنزلته السياسية أو الأدبية أو العلمية ،وكأنهم يريدون أن يصوروا خسارة الناس فيه ومن هنا كان التأبين ضرباً من التعاطف ، أو التعاون الاجتماعي ، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عن حزن الجماعة ، وما فقدته في هذا الفرد المهم من أفرادها . [٢]

أما العزاء فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية التي يصورها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة ، وقد ينتهي به التفكير الي معان فلسفية عميقة . [٣]

يقول حازم القرطاجني عن الرثاء : (يجب أن يكون بألفاظ سهلة مألوفة ، وأن يكون شاجي الأقاويل مبكي المعاني ، مثير للتباريح وأن يكون بألفاظ سهلة في

---

(١) الرثاء – د . شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ط (٢)– ١٩٥٥م – ص (٥) .

(٢) نفسه – ص (٦)

(٣) نفسه – ص (٦) .

وزن متناسب ملذوذ) . [١]

وإذا تتبعنا شعر الرثاء في المغرب العربي في القرن الخامس الهجري نجد أن الشعراء لم يقفوا عند رثاء الأفراد ، بل اتسعت دائرة الرثاء لتشمل رثاء المدن والديار والممالك والقلاع .

أولاً : رثاء الأشخاص :

فن الرثاء عند شعراء المغرب العربي لا يختلف كثيرا عن فن الرثاء عند المشارقة من حيث شكله ومضمونه . إذ كانوا يستهلون مراثيهم بحكم سطحية ساذجة لا عمق فيها ، ولا فلسفة وهي كثيرا ما تدور حول شكوى الدهر والتحذير من الدنيا .

ويقف علي بن عبد الغني الحصري[٢] على رأس شعراء الرثاء في هذه الفترة فقد سكب الدموع ، وأكثر العبرات الساخنة على ابنه عبد الغني ، وخصص في رثاه ديوانا أسماه اقتراح القريح واجتراح الجريح ، ولم تكد تخل قصيدة من وصف دموعه المهراقة ، ومآقيه الملتهبة ، ومن ذلك قوله : [٣]

يا قرة العين ما وفتك بكا   إذا بكت والدموع أمواه

فمن لدامي الجفون دامعها   مذ صده الدهر عنك أصداه

لا يستطيع الأسى فيأسوه   ولا يطيع النهى فينهاه

فأرواه من مدامعه   كأنما استمطرته أرواه

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٨٦ م – ص (٣) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني ، عربي قرشي يتصل نسبه بفهر بن مالك بن النضر بن كنانة أحد أجداد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والحصري نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها أو إلى قرية كانت بالقرب من القيروان ، ولد في حدود سنة ٤١٥هـ ، وتوفي بطنجة سنة ٤٨٨هـ ، وهاجر إلى الأندلس والتقى بعدد من ملوكها ، كان شاعرا موهوبا له عدد من الدواوين الشعرية أشهرها اقتراح القريح واجتراح الجريح ، وديوان المعشرات وغيرها .

(٣) ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح – أبو الحسن الحصري القيرواني – تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني الحاج يحيى – مطبعة المنار ومكتبتها – تونس – ١٩٦٣م – ص (٤٣٣-٤٣٤) .

ومن الشعراء الذين قالوا شعرا في الرثاء ابن رشيق ومن مراثيه هذه المرثية التي قالها عندما توفي أحد العلماء ، وهو أبو اسحق بن إبراهيم بن حسن المعافيري سنة ٤٤٣ هـ ، فقال ابن رشيق راثيا له:[١]

ليس الذي صحب الزمان بباقي والخلق كلهم إلى الخلاق

يااللرزية في أبي اسحق ذهب الزمان بأنفس الأعلاق[٢]

ثم ينتقل بعد هذا المطلع إلى تعداد بعض الصور البيانية في محاولة شعرية للرفع من شأن الميت فيقول [٣] :

ذهب الزمان بخاشع متبتل تبكي العيون عليه باستحقاق

ذهب الزمان ببدر تم لم يدعمنه التقى إلا هلال محاق

وحوت جنوب اللحد بحرا ذاخرا ترك البحار الخضر وهي سواق

صرنا إلى الحال التي من اجلها كنا نعد الدمع في الآماق

وعلق الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة علي الأبيات بقوله : والشطرتان (تبكي العيون عليه باستحقاق) و (كنا نعد الدمع في الآماق) لا تقويان على النقد ، فـ (باستحقاق) كلمة غير شعرية ، وهي تشكك في حزن الباكين على موتاهم ، وفي استحقاق الموتى لهذا الحزن . و(كنا نعد الدمع في الآماق) تدعو إلى الضحك في موقف لا يحتمل الضحك إذ كيف يعد الناس دموعهم انتظاراً لموت عزيز غال ؟ [٤]

ثم يختم ابن رشيق مرثيته بقوله [٥] :

فاليوم أغلق كل فهم بابه لما فقدنا فاتح الإغلاق

مالقيروان أذقت ثكلك وحدها قد ذاق ثكلك سائر الآفاق

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١١٢) .

(٢) الرزية : المصيبة ، الأعلاق : جمع علق وهي النفيس من كل شيء يتعلق به القلب .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (١١٤) .

(٤) البلاط الأدبي – ص (٢٣٠) .

(٥) ديوان ابن رشيق – ص (١١٤) .

فيرى الشاعر أن بفقد المرثي أغلقت كل أبواب الفهم ، واستعصى على الناس فتحها ، ويرى أن مرارة الثكل لم تصب القيروان وحدها ، وإنما أصابت البلدان جميعها.

ولما توفي المعز بن باديس رثاه ابن رشيق القيرواني ، وكيف لا يرثيه وهو ولي نعمته ومن جملة شعراء بلاطه ، ولعظم المصيبة نجد هذه القصيدة تصدر عن نفس مكلومة يملؤها الأسى والحزن لهذا الفقد العظيم ، وقد بدأها بهذا المطلع الذي يدل على حكمة معروفة وهي أن كل شيء في النهاية إلى زوال ، فيقول [١] :

لكل حي وان طال المدى هلك لأعز مملكة يبقى ولا ملك
لحادث منه في أفواهنا خرس عن الحديث وفي أسماعنا سكك[٢]
يهاب حاكيه صدقا أن يبوح به فكيف ظنك بالحاكين لو أفكوا[٣]
أودى المعز الذي كانت بموضعه وباسمه جنبات الأرض تمتسك[٤]
فالصوت في صحن ذاك القصر مرتفع والستر عن باب ذاك البهو منهتك
ولى المعز على أعقابه فرمى أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى في خزائنه هام الملوك وما أدراك ما ملكوا[٥]
ما كان إلا حساما سله قدرعلى الذين بغوا في الأرض وانهمكوا
كأنه لم يخض للموت بحر وغى خضر البحار إذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة فقد أرعبت باسمه إبريزها السكك[٦]
روح المعز وروح الشمس قد قبضا فانظر بأي ضياء يصعد الفلك
فهل يزول حداد الليل عن أفق وهل يكون لصبح بعده ضحك

---

(١)ديوان ابن رشيق – ص (١١٦ – ١١٧) .
(٢) السكك : الصمم ، وهو انسداد في الأذن .
(٣) الإفك : الكذب .
(٤) أودى : أهلك .
(٥) هام الملوك : جباههم .
(٦) الإبريز : الذهب .

ويعلق الدكتور عبده عبد العزيز بقوله : (والتجربة الشعرية هنا قد بلغت قمتها من حيث الإحساس بالرزء وعظم الفاجعة ،وفي القصيدة أبيات معان معجبة والحق أن القصيدة كلها معجبة) . [١]

وقال ابن رشيق يرثي قاضي بلدة المحمدية طاهر بن عبد الله ، وقد بلغته وفاته بالقيروان ، وقد كان القاضي أستاذا لابن رشيق ولذلك اهتزت نفسه للمصاب الجلل ، وجادت شاعريته بهذه المرثية [٢] :

العفر في فم ذاك الصارخ الناعي ولا أجيبت بخير دعوة الداعي[٣]

فقد نعى ملء أفواه وأفئدة وقد نعى ملء أبصار وأسماع

أما لئن صح ما جاء البريد به ليكثرن من الباكين أشياعي

يا شؤم طائر أخبار مبرحة يطير قلبي لها من بين أضلاعي

مازلت افزع من يأس إلى طمع حتى تربع يأسي فوق أطماعي

فاليوم انفق كنز العمر اجمعه لما مضى واجد الدنيا بإجماعي

توفى الطاهر القاضي فوا أسفا إن لم يوف تباريحي وأوجاعي

فللديانة فيه لبس ثاكلة وللقضاء عليه قلب ملتاع

فالأبيات السابقة يبدو عليها صدق العاطفة، فالشاعر يتألم لموت شيخه ، وأستاذه ويتمنى وضع التراب في فم ناعيه لإسكاته ، ويرجو ألا تجاب دعوة من يدعو الناس إلى جنازته ، ثم إن صح ما جاء به الناعي فسوف يكثر الباكون عليه من أصحاب ومؤيدين ثم يقول انه مازال يتنقل بين اليأس والرجاء ، حتى دهمه اليأس وتربع فوق آماله وأحلامه ، ثم يقول في هذا اليوم أهدر عمري كله أسفاً على إنسان هو فريد عصره وواحد زمانه بإجماع الناس . ويرى أن تباريحه وأوجاعه لوفاته مقصرة عن الوفاء لصنعه ثم يقول أخيراً إن الشريعة ثكلت بموته فلبست ثوب الحداد ونكب القضاء بوفاته فاحترق قلبه .

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٣٢ – ٢٣٣) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٩٨) .

(٣) العفر : التراب .

ويظهر على هذه الأبيات ثقافة الشاعر العلمية والدينية ، وخاصة في استخدامه لكلمات (الداعي) و (أشياعي) و (بإجماعي) فهي كلمات مذهبية وفقهية .

ومن نماذج شعر الرثاء في هذه الفترة ما قاله الحسن بن محمد التميمي القاضي التاهرتي المعروف بابن الربيب[(١)] ، وفي هذا النموذج يرثي المنصور بن محمد بن أبي العرب يقول : [(٢)]

يا قبر لا تظلم عليه فطالما جلى بغرته دجى الإظلام

أعجب بقبر قيس شبر قد حوى ليثا وبحر ندى وبدر تمام

ويقول إسماعيل بن إبراهيم القيرواني الزويلي في رثاء جدة المعز فاطمة أم ملال[(٣)] التي توفيت سنة ٤١١هـ : [(٤)]

سقا الله ذاك الرمس جودا كجوده وسح على ضامي معاهده العهد

تبوأ خوف الموت أحصن قلعة ممنعة كالسد أو دونها السد

مكللة خلقا طما يزدري الذرى إذا استشرفت تيماء والأبلق الفرد

تناغى السحاب المكفهر ودونها زحاليق لا يستطيعها الرجل النجد

وحصنها بالمشرفية والقنا ومن دونها الجمع العرمرم والحشد

وأثبتها خيلا ورجلا وحنكة فلم تحمها تلك المقانب والجند

---

(١) أصله من مدينة تاهرت ، وطلب العلم بالقيروان وكان أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي معنيا به محبا له ، فبلغ النهاية في الأدب وعلم الخبر والنسب وله في ذلك تأليف مشهور ، وكان خبيرا باللغة شاعرا مقدما قوي الكلام توفي بالقيروان سنة عشرين وأربعمائة وقد جاوز الخمسين وتولى القضاء (الأنموذج – ص ٩٤– ٩٥) ، وقيل توفي سنة ٤٣٠هـ .

(٢) الأنموذج – ص (٩٧) .

(٣) أم ملال هي جدة المعز بن باديس ، وقد أشرفت على تربيته بعد وفاة والده ، وأشرفت على تسيير أمور الدولة عندما كان المعز صغيرا ، وتمكنت من توحيد صفوف قواده ، وملاحقة أعدائه .

(٤) الأنموذج – ص (٧٤) .

ومن أمثلة شعر الرثاء ما رثى به أبو الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري أباه،وقد قال هذه الأبيات قبل جوازه إلى الأندلس وبها ودع قبر أبيه: (١)

أبي نير الأيام بعدك أظلما   وبنيان مجدي يوم مت تهدما

وجسمي الذي أبلاه فقدك إن أكن   رحلت به فالقلب عندك خيما

وقى الله عيني من تعمد وقفة   بقبرك فاستسقى له وترحما

وقال سلام ، والثواب جزاء من   ألم على قبر الغريب فسلما

وأخذ من ترابه فقال : (٢)

رحلت وهاهنا مثوى الحبيب فمن يبكيك يا قبر الغريب ؟

سأحمل من ترابك في رحالي لكي أغنى به من كل طيب

ونقف على أنموذج آخر من شعر الرثاء وهو للشاعر أبي يحي بن على الشقراطسي القرشي(٣) ، وفي النموذج التالي يرثي شيخا له يسمى أبو محمد بن أبي زيد : (٤)

خطب ألم فعم السهل والجبلا   وحادث جل ينسى الحادث الجللا

ناع نعى ابن أبي زيد فقلت له   أشمسنا كسفت أم بدرنا أفلا

أم ماجت الأرض أم رجت بساكنها   أم الحمام بعبد الله قد نزلا

رزية عظمت أتراحها أفلا   ابكي وهل سلوة والبدر قد أفلا

كل البسيطة بسط الحزن قد بسطت   وقبره بسنا أنواره ابتهلا

لا تعجبوا من شجي في تولهه   بل أعجبوا لخلي البال كيف خلا

يا عين سحي دما فالدمع فاض لما   أصابني وهمي : سحا ومنهملا

ومن شعراء الرثاء الذين ذكرهم ابن رشيق في الأنموذج حسن بن محمد بن هيثمون المكنى بأبي طالب الدلائي الجهني ، وقد قال عنه ابن رشيق ، كان مشهورا بالمحبة

---

(١)ديوان المتفرقات – أبو الحسن الحصري القيرواني – تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني الحاج يحيى – مطبعة المنار ومكتبتها – تونس ١٩٦٣م – ص (١٢٩) .

(٢) نفسه – ص (١٢٩) .

(٣) هو أبو يحيى علي بن زكريا الشقراطسي ، فقيه مالكي ونسب إلى حصن شقراطس في الجنوب التونسي ، توفي سنة ٤٢٩هـ .

(٤) البلاط الأدبي – ص (١٢٩ – ١٣٠) .

والكلام عليها ، والوفاء فيها ، موصوفا بالصيانة والعفة ، منسوبا إلى طلب العلم ، وصحبة الشيوخ الجلة من أهله كالحساني وأبي الحسن الدباغ وابن محمد التبان فكان موسوما بكل خير ، ثم دخل في عداوة الفقهاء وعزل عن إمامة المسجد ولزم داره وذلك لأنه قال : [١]

اجعل العلم يا فتى لك قيدا **واتق الله لا تخنه رويدا**

لا تكن مثل معشر فقهاء **جعلوا العلم للدراهم صيدا**

طلبوه فصيروه معاشا **ثم كادوا به البرية كيدا**

وله هذه الأبيات التي قالها بعد أن فقد نيفا وأربعين من أحبته غرقا – فلم ير له شعر بعد ذلك إلا في رثائهم تفجعاً عليهم ووفاء لهم . ومن ذلك قوله : [٢]

أودعته بطن الثرى وتركته **في رمسه الموت ما لا ينكر**

قدمته ولو أنني أنصفته **ما كنت عنه ساعة أتأخر**

ويعلق ابن رشيق على هذين البيتين بقوله : (فهذه أنفاس مشتعلة عن نفس مشتغلة قد دلت على ما في الصدر دلالة الشواظ على الجمر) . [٣]

ومن ذلك قوله :

نأى بسروري وصبري معا **وأبقى فؤادي عليه صديقا**

ومات فمات سروري به **وصنت حياتي فمتنا جميعا**

أصابته عين من الحادثات **أصاب العمى ناظريها سريعا**

ويقول ابن رشيق : (مما يزيدك على هذا التفجع والتوجع الذي يقطع القلوب حسرات ، ويذهب العبرات عبرات ...).

(١) الأنموذج – ص (٩٩) .

(٢) نفسه – ص (١٠٠) .

(٣) نفسه – ص (١٠٠) .

وعندما وفي يوسف بن تاشفين كان لوفاته وقع عظيم في المغرب والأندلس ، ورثاه جماعة من شعراء العصر منهم أبو بكر بن سوار ، وقد أنشد على قبره مرثية مؤثرة جاء فيها : [١]

ملك الملوك وما تركت لعامل	**عملا من التقوى يشارك فيه**
يا يوسف ما أنت إلا يوسف	**والكل يعقوب بما تطويه**
اسمع أمير المؤمنين وناصر الـ	**دين الذي بنفوسنا نفديه**
جوزيت خيرا من رعيتنك التي	**لم ترض فيها غير ما يرضيه**
وصل الجهاد إلى الجهاد موفقا	**حتم القضاء بكل ما تقضيه**
ويجيء ما دبرته كمجيئه	**فكأن كل مغيب تدريه**
متواضعا لله مظهر دينه	**في كل ما يبديه ويخفيه**

ويرى الباحث أن شعراء المغرب العربي في القرن الخامس الهجري تناولوا فن الرثاء ، وأكثروا منه ، فالعاطفة هي العاطفة ، ولكن رثاء الأشخاص لم يبلغ فيه شعراء المغرب مكانة شعراء المشرق ، فهنالك قصائد خالدة في فن الرثاء كمرثية ابن الرومي في ابنه ، ومرثية أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي ، ولكن شعراء المغرب قد أبدعوا في نوع آخر من الرثاء ، وهو رثاء المدن .

(١) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – تأليف محمد عبد الله عنان – القسم الأول – عصر المرابطين وبداية الموحدين – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ط (١) ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م – ص (٥٤) .

ثانياً : رثاء المدن :

ازدهر فن رثاء المدن في المغرب العربي في القرن الخامس الهجري نتيجة للفتن والمصائب التي ألمت بهذه المنطقة ، وخاصة ما أصاب مدينة القيروان ، ففي منتصف القرن هاجرت قبائل بنى هلال وبنى سليم إلى منطقة المغرب العربي بإيعاز من الفاطميين في مصر ، ثم دخلوا في حروب مع الزيرين وهزموا المعز ابن باديس واضطروه إلى ترك القيروان إلى المهدية ، فدخل الأعراب القيروان فخربوها ، ودمروا حضارتها ، ومن ثم حظيت القيروان بنصيب وافر من شعر رثاء المدن ، وقد رثى الشعراء القيروان وبكوها بكاءا شديدا ، ويقف على رأس الشعراء شعراؤها المشهورون كابن رشيق وابن شرف وعلي الحصري .

يقول ابن رشيق راثيا القيروان ويصف حالها عندما كان أهلها ينعمون بالأمن والاستقرار ، وما كانوا عليه من تعاون لإظهار تعاليم الشريعة الإسلامية وأحكامها ، ويذكر حرصهم على تقوى الله في السر والعلن : (١)

كم كان فيها من كرام سادة — بيض الوجوه شوامخ الإيمان

متعاونين على الديانة والتقى — لله في الإسرار والإعلان

وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا — سنن الحديث ومشكل القرآن

علماء أن ساءلتهم كشفوا العمى — بفقاهة وفصاحة وبيان(٢)

هجروا المضاجع قانتين لربهم — طلبا لخير معرس ومغان(٣)

وهكذا يستمر الشاعر في الحديث عن هؤلاء العلماء ثم يتلخص بعد ذلك إلي رثاء القيروان ، ويتحدث عن تفوقها على غيرها من البلاد فيقول : (٤)

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٥٦ – ١٥٧) .

(٢) الفقاهة أو الفقه : الفهم والفطنة ، الفصاحة : البيان وسلامة الألفاظ من الإيهام ، البيان : الحجة .

(٣) المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل ، المضاجع : جمع مضجع وهي مكا ن الضجوع ، المغنى : المنزل الذي غني بأهله ، والجمع مغان .

(٤) نفسه – ص (١٩٧، ١٦٠) .

كانت تعد القيروان بهم إذا　　　عد المنابر زهرة البلدان

وزهت على مصر وحق لها كما　　　تزهو بهم وغدت على بغدان

حسنت فلما أن تكامل حسنها　　　وسما لها كل طرف ران[1]

وتجمعت فيها الفضائل كلها　　　وغدت محل الأمن والإيمان

نظرت لها الأيام نظرة كاشح　　　ترنو بنظرة كاشح معيان[2]

حتى إذا الأقدار حم وقوعها　　　ودنا القضاء لمدة وأوان[3]

أهدت لها فتنا كليل مظلم　　　وأرادها كالناطح العيدان

بمصائب من فادع وأشائب　　　ممن تجمع من بني دهمان[4]

فتكوا بأمة أحمد أتراهم　　　أمنوا عقاب الله في رمضان

ثم يتحدث بعد ذلك عما أصاب أهل القيروان فيقول : [5]

يستصرخون فلا يغاث صريخهم　　　حتى إذا سئموا من الإرنان[6]

بادوا نفوسهم فلما أنفذوا　　　ما جمعوا من صامت وصوان[7]

واستخلصوا من جوهر وملابس　　　وطرائف وذخائر وأوان[8]

خرجوا حفاة عائذين بربهم　　　من خوفهم ومصائب الألوان[9]

هربوا بكل وليدة وفطيمة　　　وبكل أرملة وكل حصان[10]

---

(١) رنا : أدام النظر مع سكون الطرف ، وهي من الرنو .

(٢) الكاشح : العدو المبغض ، المعيان : العيون الشديد الإصابة بالعين .

(٣) حم الأمر حما : قضي .

(٤) فادع : كان به فدع وهو عوج في المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها ، الأشائب : جمع أشابة الأخلاط من الناس ، بنو دهمان : بطن من هزيل وربما أراد ببني دهمان هنا السودلن .

(٥) ديوان ابن رشيق – ص (١٦٢ – ١٦٣) .

(٦) الإرنان : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند البكاء يقال أرنت المرأة في نوحها والحمامة في سجعها والقوس في إنباضها

(٧) الصامت من المال : الذهب والفضة ، الصوان : ما يصان به .

(٨) استخلص الشيء وأخلصه : اختاره ، الطرائف : النفائس من كل شيء .

(٩) عاذ : التجأ .

(١٠) الحصان : العفيفة المتزوجة وهي حاصنة وحصناء ، وأصل الإحصان المنع .

ويكل بكر كالمهاة عزيزة　　تسبى العقول بطرفها الفتان[1]

خود مبتلة الوشاح كأنها　　قمر يلوح على قضيب البان[2]

والمسجد المعمور جامع عقبة　　خرب المعاطن مظلم الأركان

قفر فما تغشاه بعد جماعة　　لصلاة خمس لا ولا لأذان

بيت به عبد الإله وبطلت　　بعد الغلو عبادة الأوثان

وبعد حديثه عما أصاب القيروان وأهلها وهروبهم منها يتحدث عما أصاب مسجد عقبة بن نافع الذي أصبح خرباً مظلم الأركان لم تعد تغشاه الجماعة ولم يعد يسمع فيه الأذان بعد أن كان يعبد فيه الله سبحانه وتعالى ثم يتحدث عن عظم المصيبة فيقول : [3]

أعظم بتلك مصيبة ماتنجلي　　حسراتها أو ينقضي الملوان[4]

لو أن ثهلانا أصيب بعشرها　　لتدكدكت منها ذرا ثهلان[5]

حزنت لها كور العراق بأسرها　　وقرى الشآم ومصر والخرسان[6]

وتزعزعت لمصابها وتنكدت　　أسفا بلاد الهند والسندان

وعفا من الأقطار بعد خلائها　　مابين أندلس إلى حلوان

وأرى النجوم طلعن غير زواهر　　في افقهن واظلم القمران[7]

وأرى الجبال الشم أمست خشعا　　لمصابها وتزعزع الثقلان

إذاً فقد عظمت هذه المصيبة التي ألمت بالقيروان ، إن حسراتها لن تنقضي حتى ينقضي الليل والنهار ، ولا يخفى علينا المبالغة في البيت (لو أن ثهلاناً) والشاعر يرى أن هذا الجبل لو أصيب بعشر ما أصيبت به القيروان لتصدع وانهارت أعاليه وأصبحت

---

(١) البكر : العذراء ، والمهاة : البر الوحشي تشبه به المرأة في جمال عينيها .

(٢) خود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق والجمع خود وخودات ، مبتلة : تامة الخلق .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (١٦٦) .

(٤) الملوان : الليل والنهار .

(٥) ثهلان : اسم جبل ، تدكدكت : تحطمت وانهارت .

(٦) كور : جمع كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال .

(٧) القمران : الشمس والقمران .

وسفوحه سواء وجبل ثهلان كثيرا ما استخدمه الشعراء في مثل هذا الموقف ، كما يقول أبو البقاء صالح بن شريف الرندي : [1]

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له　　　هوى له احد وانهد ثهلان

ثم يرى الشاعر أن عظم المصيبة احزن بلاد العراق والشام ومصر وخرسان بل امتد إلى بلاد الهند والسند ، ثم عفى وأزال وأمحى مابين الأندلس وحلوان ثم إن النجوم طلعت مكتئبات ، واسود القمران وهما الشمس والقمر وزالت لمصابها الجبال الشامخة ، واهتز الثقلان الإنس والجن وكل ذلك لما أصاب مدينة القيروان من دمار وخراب. وفى خاتمة القصيدة يتساءل الشاعر هل تعود القيروان إلى سابق عهدها عندما كانت تنعم بالأمن والاستقرار فيقول : [2]

أترى الليالي بعد ما صنعت بنا　　　تقضي لنا بتواصل وتدان

ونعيد أرض القيروان كعهدها　　　فيما مضى من سالف الأزمان

من بعد ما سلبت نضائر حسنها　　　الأيام واختلفت بها فئتان

وغدت كأن لم تغن قط ولم تكن　　　حرما عزيز النصر غير مهان

أمست وقد لعب الزمان بأهلها　　　وتقطعت بهم عرا الأقران

فتفرقوا أيدي سبا وتشتتوا　　　بعد اجتماعهم على الأوطان

وفى البيت الأخير يشبه الشاعر ما أصاب أهل القيروان بما أصاب أهل مدينة سبأ بعد تصدع سد مأرب ، فتفرقوا في الأرض ، وتشتتوا حتى أصبح يضرب بهم المثل في التفرق والتشتت ويقال : (تفرقوا أيدي سبأ) .[3]

---

(١) الأدب العربي في الأندلس – د. عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ط(٢) ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م – ص (٣٢٦) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١٦٥ – ١٦٦) .

(٣) كتاب مجمع الأمثال – للميداني – تحقيق محمد علي قاسم – مكتبة دار المعارف – بيروت – لبنان – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٩م ص (٧٦) .

أما الشاعر ابن شرف القيرواني فهو – أيضاً – ممن رثى القيروان بعد ما أصابها الخراب والدمار فيقول واصفا ما حل بالقيروان وأصاب أهلها على يد الأعراب : [١]

جسوم على حكم العيون صحاح	**وفى طي أحناء الضلوع جراح**
إذا كان للأحباب رسل فرسلنا	**بروق إلى أحبابنا ورياح**
ومن دون تلك الرسل اخضر زاخر	**أجاج ومهجور الفجاج فياح**[٢]
وللسهم دون القيروان تسهم	**وما شوكه إلا ظبى ورماح**[٣]
وقرة قد قرت هناك عيونها	**وزغبة ريشت زغبها ورياح**[٤]
كأن لم يكن لي أمس في عرصاتها	**من العيش جد طيب ومزاح**
يخيلها زور الكرى لي في الدجى	**فارغب في ألا يلوح صباح**
كسيت قناع الشيب قبل أوانه	**وجسمي عليه للشباب وشاح**
ويارب وجه فيه للعين منزه	**أمانع عيني منه وهو مباح**
واهجره وهو اقتراحي من الورى	**وقد تهجر الامواه وهي قراح**[٥]

وقد قال ابن شرف هذه الأبيات بعد أن غادر إفريقية إلى صقلية أولاً ثم إلى الأندلس ثانياً ، وفى الأندلس عاش متنقلاً بين ملوك الطوائف ، فذهب إلى المرية وأمرها (لابن جهور) ، كما مدح (ابن صمادح) و (ابن عباد) و (ابن ذي النون) و (ابن هود) و (ابن الأفطس) . [٦]

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٤٦ – ٤٧) .

(٢) أخضر زاخر : البحر وزاخر سريع الموج عاليه ، أجاج : مالح .

(٣) الظبى السيوف .

(٤) زغبة ورياح : قبيلتان من الجزيرة العربية عبروا البحر الأحمر إلى مصر حيث استقروا بالصعيد المصري ثم أرسلهم الفاطميون للانتقام من المعز بن باديس فهزموه في عدد من المواقع وخربوا مدينة القيروان سنة ٤٤٩هـ .

(٥) أمواه : جمع ماء ، قراح : الماء الخالص الذي لا يشوبه شيء .

(٦) من حكام ملوك الطوائف بالأندلس .

ولابن شرف كثير من الأشعار قالها في الأندلس تدل على إحساسه بالاغتراب والضياع نتيجة لما تعرض له أهل القيروان في الأندلس وظل طوال اغترابه يتذكر وطنه ويتغنى بحبه ، ويرثى القيروان وما أصابها من قبل الأعراب .

ويقول في قصيدة أخرى يصف خراب القيروان على يد الأعراب : [١]

كأن الديار الخاليات عرائس ... كواسد قد أزرت بهن الضرائر [٢]

وتنكر بقياها الأسرة حسرا ... عواطل لا تفشى لهن السرائر [٣]

إذا اقبل الليل البهيم تمكنت ... بها وحشة منها القلوب نوافر

ترى سيئات القيروان تعاظمت ... فجلت عن الغفران والله غافر

تراها أصيبت بالكبائر وحدها ... ألم تك قدما في البلاد الكبائر [٤]

ترحل عنها قاطنوها فلا ترى ... سوى سائر أو قاطن وهو سائر

تكشفت الأستار عنهم وربما ... أقيمت ستور دونهم وستائر

إذا جاذبت أستارها تبتغى بها ... لأقدامها سترا تبدت غدائر [٥]

تبيت على فرش الحصى وغطاؤها ... دوارس أسمال زوار حقائر

فيا ليت شعري القيروان مواطني ... أعائدة فيها الليالي القصائر؟

وياروحتي بالقيروان وبكرتي ... أراجعة روحاتها والبواكر ؟[٦]

كأن لم تكن أيامنا فيك طلقة ... وأوجه أيام السرور سوافر

كان لم يكن كل ولا كان بعضه ... سيمضى به عصر ويمضى المعاصر

ويقول ابن شرف – كذلك – راثياً القيروان ويتحدث عما أصابها وما لحق بأهلها : [١]

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٦١) .

(٢) الضرائر : جمع ضرة وهي إمرأة الزوج .

(٣) السرائر : جمع سريرة وهي كالسر معناها الكتمان والإخفاء ، عواطل : جمع عاطل وهي المرأة المجردة من الزينة .

(٤) الكبائر : جمع كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا .

(٥) الغدائر : الذوائب .

(٦) الروحة : السير ليلا للعودة ، وعكسها البكرة .

بعد خطوب خطبت مهجتي وكان وشك البين إمهارها

ذا كبد أفلاذها حولها قسمت الغربة أعشارها

أطفالها ما سمعت بالفلا قط فعادت الفلا دارها

ولا رأت أبصارها شاطئا ثم لجت باللج أبصارها

وكانت الأستار آفاقها فعادت الآفاق أستارها

ولم تكن تعلو سريرا علا إلا إذا وافق مقدارها

ثم علت فوق عتور الخطا ترمى به في الأرض أحجارها

ولم تكن تلحظها مقلة لو كحلت بالشمس أشفارها

فأصبحت لا تتقي لحظة إلا بأن تجمع أطمارها

ويعتبر ابن شرف القيرواني أكثر الشعراء رثاءاً للقيروان والحديث عما أصابها ، وبديوانه عدد كبير من القصائد التي تدل على هذا القول ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن ابن شرف قد لقي معاناة شديدة بعد تركه للقيروان ، وخاصة في الأندلس رغم الحفاوة والترحيب اللذين وجدهما عند ملوك الطوائف في الأندلس ، وكذلك المعاناة التي شاهدها قد حلت بأهل القيروان في الأندلس كما في قصيدته التي يتحدث [1]فيها عما وقع له ولأهله في أثناء هجرتهم إلى الأندلس والتي يقول في مطلعها [2]

كأني وأفراخي إذ الليل جنا وبات الكرى يجفو جفونا ويطرق

وشاهد – كذلك – ما حدث لجالية القيروان بمدينة سوسة ، وما أصاب هذه الجالية من إذلال ومهانة إثر رحيلهم بعد نكبة القيروان .

فيقول في مطلع هذه القصيدة : [2]

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٦٥) .

(٢) نفسه – ص (٧٨) .

(١) ديوان ابن شرف – ص (٨٩) .

(٢) ديوان المتفرقات – ص (١٢٦) .

(٣) نفسه – ص (١٢٥) .

آه للقيروان أنة شجو   عن فواد بجاحم الحزن يصلى

ومن الشعراء الذين رثوا القيروان بعد أن حل بها الدمار والخراب ، على بن عبد الغنى الحصري ، الذي يقول في جزء من قصيدة عما أصاب القيروان : [٢]

ألا سقى الله أرض القيروان حياً   كأنه عبراتي المستهلات

فإنها لذة الجنات تربتها   مسكية وحصاها جوهريات

إلا تكن في رباها روضة أنف   فإنما أوجه الأحباب روضات

أو لا يكن نهر عذب يسيل بها   فإن أنهارها أيد كريمات

لايشمتن بنا الأعداء إن رزئت   إن الكسوف له في الشمس أوقات

ولم يزل قابض الدنيا وباسطها   فيما يشاء له محو وإثبات

والقصيدة طويلة تحدث فيها الشاعر عما أصاب القيروان وقد بدأها بحكمة تدل على تحسره وحنينه وشوقه وبكائه على القيروان ومطلعها قوله : [٣]

موت الكرام حياة في مواطنهم   فان هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا

ومن الشعراء الذين رثوا مدينة القيروان أبى الحسن عبد الكريم بن فضال[٤] الذي قال في رثاء القيروان : [٥]

كيف يا قيروان حالك لما   نثر البين سلكك المنظوما

كنت أم البلاد شرقا وغربا   فمحا الدهر وشيك المرموقا

نحن أبناؤها ولكن عققنا   بعد أن لم نطق بها أن نقيما

دمن كانت البروج وكنا   أقمرا في قبابها ونجوما

والشاعر ابن فضال يتحسر لما أصاب القيروان فيوجه السؤال إليها مشخصاً لها ، وسائلاً لها عن حالها بعد نثر البين عقدها المنظوم ، ولعله يعنى بذلك شعراء البلاط الأدبي للمعز بن باديس الذين كانوا بمثابة العقد ، ولكنهم اليوم تفرقوا وأصبح كل واحد

---

(٤) هو عبد الكريم بن فضال أبو الحسن القيرواني المعروف بالحلواني ، ذكره ابن بسام في الذخيرة واستشهد له بشيء من شعره .

(٥) الذخيرة – ج (٤) – ص (١٧٤) .

منهم في مكان فمنهم من هاجر إلى صقلية ، ومنهم من هاجر إلى الأندلس ، ومنهم من توجه شرقا إلى مصر والشام والعراق .

ولعل الملاحظ علي النماذج السابقة أن القيروان رثاها عدد كبير من الشعراء وللواحد منهم عدد كبير من القصائد وذلك راجع إلى أن ما نزل بالقيروان كان تدميراً لحضارة زاهرة وتخريبا لعمران واقتلاعا لملك وطمساً لثقافة .

والشعر في رثاء القيروان يمتاز في – معظمه – بالوحدة العضوية وصدق التجربة كما رأينا من النماذج السابقة ويقول عنه الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة : (إنه أصدق شعر عند شعراء البلاط الأدبي) .[١]

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٣٥) .

المبحث الثالث

اتجــاه الهــجــاء

وهو من الأغراض الشعرية القديمة في الأدب العربي ، نشأ مع المديح على الرغم من انه نقيضه فهو يلبس المهجو الصفات التي يمكن أن يهجى بها ، وقد تطور فن الهجاء بتطور الأدب ، واشتهر به عدد من الشعراء كالشاعر الحطيئة ، ثم تطور أكثر في العصر العباسي وعرف به عدد من الشعراء أمثال بشار بن برد ، ودعبل بن على الخزعي ، وحماد عجرد وغيرهم من شعراء العصرالعباسي .

وإذا نظرنا إلى شعر الهجاء في المغرب العربي في هذا القرن ،فهو لم يصل إلى المكانة التي وصل إليها في المشرق العربي ، ولعل ذلك راجع إلى أن شعراء المغرب العربي كانوا متمسكين بدينهم ، أكثر من شعراء المشرق أمثال بشار بن برد وحماد عجرد وغيرهم ، أو لعلهم اتبعوا ناقدهم ، وشاعرهم الأكبر عبد الكريم النهشلي في هذه الأبيات التي ذكرها في كتابه اختيار الممتع في علم الشعر وعمله والذي توفى في بداية القرن الخامس سنة ٤٠٥هـ والأبيات هي : (١)

ولست بهاج في القرى أهل منزل ... على زادهم ابكي وأبكى البواكيا

فإما كرام موسرون أتيتهم ... فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا

وإما كرام معسرون عذرتهم ... وإما لئام فادخرت حيائيا

---

(١)اختيار الممتع في علم الشعر وعمله لأبي عبد الكريم بن إبراهيم – تحقيق د. محمود شاكر القطان – ج(١+٢) – طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة – ط (٢) – ٢٠٠٦م – ص (١٤) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٩٥ – ٩٦) .

وقد ذكر الذين تحدثوا عن ابن رشيق أنه كان مسالماً يتحاشى المخاطر ويتجنب المزالق ، يكره إغضاب الناس ، ولذلك لم يهج أحداً إلا نادراً وبطريقة غير لاذعة ، ومن ذلك قوله :(٢)

يا موجعي شتما على إنه لو فرك البرغوث ما أوجعا
كل له من نفسه أفة وأفة النحلة أن تلسعا
فقمت بما لم يخف عنك مكانه من القول حتى ضاق مما توسعا
ولو غيرك الموسوم عنى بريبة لأعطيت منها مدعى القول ما ادعى
فلا تتخالجك الظنون فإنها مآثم واترك فيّ للصنع موضعا
فوالله ما طولت باللوم فيكم لسانا ولا عرضت للذم مسمعا

نلاحظ أن الشاعر في هجائه لم يصل إلى ذاك الحد الذي وجد عند المشارقة وهو كما رأينا من خلال الأبيات يقول يا موجعي شتماً ، فلو فرك البرغوث على جسدي ما أوجعه ، وذلك لأن الشتم يؤلم النفس ويؤذيها . ثم يقول كل امرئ له من نفسه عله وعاهة يؤذى الناس بها ، كالنحلة تعطى العسل ،وعلتها أنها تلسع الناس فتؤلمهم ، ثم يقول انه مدحه فيما وجده فيه حتى عجزت الكلمات عن ذكر محاسنه وهى كثيرة ، وضاقت اللغة ، وهى واسعة ، ثم يقسم انه لم يطلق لسانه في لومهم ولم يسمح لأذنيه أن تستمع لما يقال من ذنب ، وهكذا نلاحظ أن هذه الأبيات هي اقرب إلى العتاب منها إلى الهجاء وقد ذكر ابن بسام في الذخيرة إنه قد جرت بين ابن رشيق وابن شرف مناقضات كثيرة (١) وقد أشار ابن رشيق إلى ما كان بينهما من منافسة في سخرية واضحة فيقول : (٢)

يارب لا أقوى على دفع الأذى وبك استعنت على الضعيف المؤذي
مالي بعثت إلى ألف بعوضة وبعثت واحدة إلى النمروذ

(١) الذخيرة – ج (٤) – ص (١٠٥) .
(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٧١-٧٢) .
(٣) ديوان ابن شرف – ص (٢٢) .

وكان من نتيجة ذلك ، أن وضع ابن رشيق في زميله ابن شرف عدة رسائل ، يهجوه ، ويذكر أغلاطه ، منها رسالة (ساجور الكلب) ، ورسالة (قطع الأنفاس) ورسالة (نجح الطلب) وغيرها من المؤلفات والرسائل والمؤلفات التي استخدمت في إذكاء روح التنافس بينهما [٣] .

ولكن كل المؤلفات والرسائل التي ذكرناها – سابقاً – قد ضاعت ، ولم يبق إلا أسماؤها ، التي تناقلتها بعض المصادر والمراجع . [١]

ومن أبيات الهجاء المشهورة لابن رشيق أبياته التي يهجو بها ملوك الطوائف المعتضد والمقتدر خاصة ، وكان ابن شرف قد رحل إلى الأندلس قبله وأرسل إليه يطلب منه المجيء إلى الأندلس فقال له : [٢]

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

فابن رشيق يقول إن الذي زهده في الذهاب إلى الأندلس وجعله لا يفكر بالرحيل إليها ، هو انقسامها إلى دويلات متفرقة متناحرة ، وكثر فيها من يلقب بالمعتضد والمقتدر وغير ذلك ثم يشبه هؤلاء الملوك وقد لقبوا أنفسهم بألقاب لا تليق بهم لعجزهم وضعفهم ، بالهر الذي ينتفخ فيظن وهما أنه كالأسد في شجاعته...

وله كذلك في غلام المعز بن باديس الذي يعرف بفسوة الكلب ، وقد ولاه القيروان : [٣]

إنا إلى الله راجعون لقد هان على الله أهل ذا البلد

أفسوة الكلب جاء يملكنا فكيف لو كان ضرطة الأسد

ويقول ابن رشيق في هجاء رجل اسمه فرات : [٤]

قالوا رأينا فراتا ليس يوجعه ما يوجع الناس من هجو به قذفا

فقلت لو أنه حي لأوجعه لكنه مات من جهل وما عرفا

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٢٢) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٦٦) ، والبيتان في الخريدة للحصري – ص (١٨٧) .

(٣) نفسه – ص (٦٨) .

(٤) نفسه – ص (١٠٣) .

وما هجوت فراتا غير تجربة وذو الرماية من يستصغر الهدفا

فابن رشيق يرى فراتا قد هان وذل فلم يعد يوجعه القذف ، لأنه لو كان حيا لأوجعه ولكنه ميت حي ، وهذا قريب من قول أبي الطيب المتنبئ : [١]

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ويهجو ابن رشيق ويذم بخيلا فيقول : [٢]

إذا كنت تهوى اكتساب الثناء ولا تنفق المال خوف العدم

فأنت كعذراء رعبوية تحب النكاح وتخشى الألم

ويقول ابن شرف هاجيا بعض أعدائه : [٣]

ما فلان إلا كجيفة كلب والضرورات ألجأتنا إليه

فمن اضطر غير باغ ولا عـ ـاد فلا إثم (في اللجوء) عليه

ويبدو واضحاً من الأبيات أثر القرآن الكريم على الشاعر ففي البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى : (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم)[٤] وفي البيت الثاني ضمن الشاعر الآية : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)[٥] .

ويقول الدارمي هاجيا بعض من كان مدحهم : [٦]

قالوا : مدحت أناسا لا خلاق لهم مدحا يناسب ألوان الأزاهير

فقلت لا تعذلوني إنني رجل أقلد الدر أعناق الخنازير

---

(١) ديوان المتنبي – أحمد بن الحسين – الزهراء للإعلام العربي – بدون تاريخ – ص (١٢٦) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١٣٤) .

(٣) ديوان ابن شرف – ص (١٠٧) .

(٤) سورة المائدة آية (٣) .

(٥) سورة البقرة آية (١٧٣) .

(٦) البلاط الأدبي – ص (٢٢٨) .

(٧) نفسه – ص (٢٢٨) .

ويعلق الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة على البيتين بقوله : (ولعل البيتين للدارمي أن يكونا أقصى وأقسى ما وصل إليه الهجاء في البلاط الأدبي للمعز بن باديس) . [٧]

ويقول تميم بن المعز في منافق حاذق : [١]

رأيتك قاعدا عن كل خير وأنت الشهم في قالوا وقلت

وطرارا لها لطف وحذق وألفاظ ينمقها وسمت

وثقت إليه من حسب وبيت ولولا ذاك منه ما وثقت

وقد يعد الوعود وليس يوفي وليس بقائل يوما فعلت

كخز الماء فوق الماء طاف يروق وماله أصل ونبت

ويقول ابن شرف هاجيا زغبة ورياح وهما من القبائل التي خربت القيروان:[٢]

فيا أخوي من أسد وسعد أحي حي زغبة أم دفين

فلا اشتملت مساكنها بشمل ولا هدأ القرار به سكون

ولا سرت الرياح على رياح لواقح مزنة أنى تكون

وفي خاتمة هذا المبحث يرى الباحث أن الهجاء في المغرب العربي في القرن الخامس الهجري ، لم يصل إلى درجة الهجاء في المشرق العربي ، ولعل الدواعي والأسباب التي أدت إلى ازدهاره بالمشرق لم تكن موجودة بالمغرب كما أن المجتمع المغربي في هذا القرن لم يتأثر بالثقافات الأجنبية كما هو الحال في المشرق ، و أن نماذج فن الهجاء في المغرب العربي في – معظمها – عبارة عن مقطوعات صغيرة ، ولم تصل إلى قصائد مطولة .

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – عماد الدين الأصبهاني الكاتب – قسم شعراء المغرب – نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي وآخرون – الدار التونسية للنشر – ١٩٦٦م – ص (١٤٤) .

(٢) الذخيرة – ج (٤) – ص (١٤٤) .

المبحث الرابع
اتجــاه الإخـوانيات

والإخوانيـات لـون مـن الشـعر الـذي يصـف العلاقـات الاجتماعيـة بـين الشـعراء وأصدقائهم وأحبابهم ، فهو نوع راق من الشعر فيه سمو ، وفيه مودة وإخلاص ، ويتجلى فيه الحب في أسمى معانيه ... والقاسم المشترك في هذه الرسائل الاخوانية الحرص على إظهـار الـود والمحبـة والشـوق ،ومشـاركة الأحبـاب مشـاركة وجدانيـة ، أو عتـاب لتـأخير مراسلات[١].

أولاً : العتاب والاعتذار :

والعتـاب من الأغراض الشعرية المعروفة فـي الأدب العربـي منذ العصـر الجـاهلي ، ويلجـأ إليـه الشـاعر بعد حالـة من القطيعـة والجفـاء بينـه وبين أصـدقائه ، أو ولـي نعمتـه يطلب منه الصفح والسماح عما بدر منه .

والعتـاب طرائـق كثيـرة ، وللنـاس فيـه ضـروب مختلفـة فمنـه مـا يمازجـه الاسـتعطاف والاستئلاف ، ومنـه مـا يدخلـه الاحتجـاج والإنتصـاف ، وقد يعرض فيـه المن والاجحـاف مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف . [٢]

والعتاب من الأغراض التي تناولها شعراء القرن الخامس في المغرب العربي وخاصة شعراء البلاط الأدبي للمعز بن باديس الذين كانت بينهم صداقات جمعتهم ، وقد يعتري

---

(١) شعر أبي فراس الحمداني – تأليف ماجدولين وجبه بسيسو – ط (٢)،١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨ م- ص(٢٢٥)

(٢) العمدة – ج (٢) – ص (١٦٠) .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (٣٩) .

هذه الصداقة – أحياناً – بعض الفتور فترى الشاعر يرسل أبيات العتاب إلى صديقه فها هو ابن رشيق أشهر شعراء هذه الفترة يقول معاتباً : (٣)

عتابا عسى أن الزمان له عتبى وشكوى فكم شكوى ألانت له قلبا

إذا لم يكن إلا إلى الدمع راحة فلا زال دمع العين منهملا سكبا

فابن رشيق يقول لابن شرف رداً على رسالة أرسلها له ، منها الأبيات السابقة ، أعاتبك عسى بالعتاب يسمح الزمان ويرضى وأشكو لعله يرحم ، وان تكن الراحة إلا بالدموع فما زال الدمع في عيني يفيض وينسكب . ولابن رشيق – كذلك – في العتاب قوله : (١)

فوالله ما طولت باللوم فيكم لسانا ، ولا عرضت للذم مسمعا

ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت حبالي ، ولا ولى ثنائي مودعا

بلى ربما أكرمت نفسي فلم تهن وأجللتها عن أن تذل وتخضعا

ولم أرض بالحظ الزهيد ولم أكن ثقيلا على الإخوان كلا مدفعا

فباينت لا إن العداوة باينت وقاطعت لا إن الوفاء تقطعا

ألوذ بأكناف الرجاء وأتقي سمات العدا ،إن لم أجد فيك مطمعا

وقال يعاتب صديقا له أحسن إليه فعقه ، وأنكر جميله (٢) :

أجدك لا أجد للصبر بابا فتدخله على سعة وضيق

بلى وأقل ما لاقيت يسلي ولكن لا أرى عتب الصديق

نهضت بعبء إخواني فزادوا وأثقل ما يرى حمل المطيق

ولكن رب إحسان وبر دعا بعض الرجال إلى العقوق

فان أصبر فعن إفراط جهد وإن أقلق فحسبك من قلوق

حصلت في الهوى في لج بحر بعيد القعر منخرق عميق

سأعرض عنك إعراضا جميلاوأبدي صفحة الوجه الطليق

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٩٦) .

(٢) نفسه – ص (١١١ – ١١٢) .

ولا ألقاك إلا عن تـلاق بعيد العهد بالذكرى سحيق
لتعلم أنني عف السجايا عزوف النفس متبع البروق
واني مذ قصرت يدي طالت إليك يد العدو المستفيق

وفي الأبيات السابقة يعاتب ابن رشيق صديقا له فيقسم الشاعر أن باب الصبر أغلق في وجهه ، ولا قدرة له على ولوجه في حالتي السعة والضيق ، ثم يقول إن ما لقيه من مصائب وأحداث قد ينسيه ، لكن عتب الصديق شديد على النفس فهو لا يطاق ولا يسلي ثم كثر الإخوان الذين نهض بعبئهم حتى عجز عن أحمالهم ، وأثقل الأحمال هي تلك التي يكلف بحملها من هو قادر على حملها بمشقة ولكن قد يحسن الإنسان إلى الآخرين ولا يجد منهم إلا نكران الجميل – وفي البيت الرابع صدى لقول زهير بن أبي سلمى [(١)]:

ومن يجعل المعروف في غير أهله يجد حمده ذما عليه ويندم

ثم يقول : إذا رأيتني صابرا فلفرط جهدي وإذا رأيتني قلقا فيكفيك أنني على تلك الحال من الاضطراب والقلق ، ثم يقول له ما رجعت به من هواك اجبرني على ركوب بحر متلاطم الأمواج لا قرار له ، ولكن مع ذلك سأهجرك جميلا وبطلاقة وجه ، ولن أسعى إلى لقائك إذا التقيتك ، وذلك لتعلم أنني عفيف الطباع زاهد النفس ، يقصدني الناس ولا اقصدهم ثم يقول له في آخر بيت افعل هذا لتعلم أيضا أنني مذ حجبت عنك نصرتي طمع بك الأعداء وسهل عليهم النيل منك .

ومن الشكوى والعتاب معا قول محمد بن جعفر القزاز[(٢)] يعاتب صديقه عبد الوهاب بن الحاجب ، وكان عبد الوهاب قد ختن ولده ودعا الناس ولم يدعه فقال القزاز [(٣)] :

وا حسرتا مات أترابي وأقراني وشتت الدهر أصحابي وأخداني
وغيرت غير الأيام خالصتي والمنتضى الحر من أهلي وإخواني

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى – ص (١١٥) .

(٢) القزاز هو أبو عبد الله بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز ،كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتتان بالتأليف الذي فضح المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين كانت وفاته بالحضرة سنة اثنتي عشرة واربعمائة (الأنموذج ص ٢٩٣ ، ٢٩٦) .

(٢) الأنموذج – ص (٢٩٦) .

وصار من كنت في السراء اذكره   بل لست أنساه في الضراء ينساني

هذا أخي وشقيقي المرتضى ويدي   اليمنى وموضع أسراري وإعلاني

دعاهم والورى طرا وأسقطني   إسقاطك النون من ترخيم عثمان

وكنت في النقرى ادعى فصرت لقي لا أول الجفلى ادعى ولا الثاني

فالقزاز في الأبيات يتحسر ويتأسف ويعاتب هذا الصديق الذي ختن ولده ولم يدعه بل هذا الصديق دعا كل الناس ، وقد كان الشاعر في السراء يذكره ولكنه اليوم نسيه في السراء فقد كان هذا الصديق أخاً وصديقاً ، واليد اليمنى وموضع السر بالنسبة للشاعر ولكنه اليوم لم يدعه صاحبه بل نسيه وأسقطه كما تسقط النون من كلمة عثمان عند الترخيم .

قال ابن رشيق في الأنموذج : (إن القزاز ألف هذه الأبيات بعد أن علم بختن عبد الوهاب لولده ، وركب إلى عبد الوهاب ، فلما رآه عبد الوهاب تلقاه ورفع مجلسه ، ودهش منه ، فهنأه أبو عبد الله القزاز ، ثم أنشد هذه الأبيات وأقسم بأيمان مؤكدة أنه لا يحضر وليمته أبداً ، فشق ذلك على عبد الوهاب مشقة كبيرة).[١]

ويقول علي بن عبد الغني الحصري معتذراً عن فقد بصره [٢] :

وقالوا قد عميت فقلت : كلا فإني اليوم أبصر من بصير

سواد العين زاد سواد قلبي ليجمعنا على فهم الأمور

وقال ابن رشيق معاتباً بعد يأس : [٣]

رجوتك للأمر المهم وفي يدي   بقايا أمني النفس فيها الأمانيا[٤]

فساوفت بي الأيام حتى إذا انقضت   أواخر ما عندي قطعت رجائيا[٥]

وكنت كأني نازف البئر طالبا   لإجمامها أو يرجع الماء صافيا[٦]

فلا هو أبقى ما أصاب لنفسه   ولا هي أعطته الذي كان راجيا

---

(١) الأنموذج – ص (٢٦٩) .

(٢) ديوان المتفرقات – ص (١٣٥) .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (١٧٣) .

(٤) أمني النفس : أجعلها تتمناه .

(٥) ساوف الرجل : ماطله .

(٦) نزفت البئر : استقيت ماءها كله ، وبئر نزوف ونزيف قليلة الماء ، جمت البئر : تراجع ماؤها بعد الأخذ منها .

ومن نماذج العتاب في عهد الدولة الصنهاجية عتاب خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري لأخيها ، وكانت شاعرة مجيدة وأعجبت بشاعر أندلسي نزل بديارها وشبب بها فغار إخوتها فكتبت إلي كبيرهم تقول : [١]

أأخي الكبير وسيدي ورئيسي ما بال حظي منك حظ نحيس[٢]
ابغي رضاك بطاعة مقرونة عندي بطاعة ربي القدوس
فإن زللت وجدت حلمك ضيقاً عن زلتي أبداً لفرط نحوسي[٣]
يا سيدي ما هكذا حكم النهي حق الرئيس الرفق بالمرءوس
وإذا رضيت بي الهوان رضيته وجعلت ثوب الذل خير لبوس

الشاعرة في الأبيات السابقة تعاتب أخاها عتاباً رقيقاً ، فهو أخوها وسيدها ورئيسها فتشكو من حظها السيئ معه مع أنها تبغي رضاه ، وتطيعه طاعتها لربها القدوس ، فإذا ودت شاعراً وجدت حلمه لا يسع ودها ولا يغفره لها لفرط نحوسها وتستعطفه ، فليس هذا حكم العقل ولا حق المرءوس على الرئيس من الرفق ، وتحاول أن تميل قلبه إليها فإذا كان قد رضي إليها الهوان رضيته ، ولم تخلع عنها ثوب الذل يوما ٠

(١) الخريدة – قسم شعراء المغرب – ص (٣٢٧) والانموذج ص (١٠٤)
(٢) نحيس : نحس .
(٣) زللت : أخطأت .

ثانياً : التهاني والتعازي :

التهاني والتعازي هما نوعان من أنواع الشعر الاجتماعي والإخواني ويدلان على الروابط الاجتماعية والودية بين الشعراء ، فيلجأ الشاعر مهنئاً في الأحداث السعيدة ، ومعزياً في حالات الحزن والأسى لفقد عزيز ممن له علاقة بالشاعر .

وقال القاضي عياض مهنئا علي بن يوسف بن تاشفين بزفاف ابنه تاشفين:[١]

ليهن العلا أن زفت الشمس للبدر وحلي جيد الملك بالأنجم الزهر
وقرت عيون المجد أية قرةبيوم تعالى أن يكون من الدهر
لدن ساعة أفضت إلى كل بغية كما اعتلق الغواص بالدرة البكر
قران كلا السعدين فيه تلاقيا كما يلتقي في المقلة الشفر بالشفر
لتجر المنى في حلبتيه مغذةفحق لها في مثل ذلك أن تجري[٣]
بسعد أمير المؤمنين تطلعت أساريره تندى بمائية البشر[٤]
تمناه نجل الملك حظا ممتعا بعز إلى عز وقدر إلى قدر

في الأبيات السابقة يهنئ القاضي عياض علي بن يوسف بن تاشفين بزفاف ابنه ، ويقول لتهنأ العلا لهذا الزفاف السعيد الذي زفت فيه الشمس الساطعة إلى البدر المنير ، وزين جيد الملك بالأنجم المتلألئة ، وأصبح المجد قرير العين بهذا الزفاف فتعالى على الدهر ، وهكذا إلى نهاية الأبيات .

وفي التعازي يقول ابن رشيق : [٤]

---

(١) تاريخ الأدب العربي (١٠) – شوقي ضيف – ص (٣٩٤) .

(٢) مغذة : من أغذ السير إذا أسرع فيه .

(٣) أسارير الوجه : محاسنه ، مائية : رونق .

(٤) ديوان ابن شرف – ص (٤٨) .

رأيت التعزي مما يهيج على المرء ساكن أوصابه[1]
وما نال ذو أسوة سلوة ولكن أتى الحزن من بابه[2]
تفكر في مثل أرزائه فذكره ما به ما به[3]

ثالثاً : الرسائل الشعرية :

والرسائل الشعرية هي عبارة عن مكاتبات شعرية تمت بين الشعراء في أي غرض من الأغراض ، مثال تلك الرسالة التي كتبها ابن شرف القيرواني والتي يرد فيها على صديق له ، ويصف ما وصل إليه الحال في الأندلس فيقول : [4]

يا خايفاً من معشر لا يصطلي بنارهم
إن تبك من شرارهم على يدي شرارهم
أو ترم من أحجارهم وانت في أحجارهم
فما بقيت جارهم ففي هواهم جارهم
وأرضهم في أرضهم ودارهم في دارهم

والأبيات السابقة تبدو واضحة سهلة الألفاظ والمعاني وقد أكثر الشاعر من استخدام الجناس كما في قوله (شرارهم وشرارهم) وقوله (أحجارهم وأحجارهم) و (وأرضهم وأرضهم) و (ودارهم ودارهم) .

ويقول ابن فضال في رسالة شعرية : [5]

---

(١) التعزي : التأسي والتصبر ، الأوصاب : جمع وصب ، وهو الوجع والمرض .
(٢) الأسوة : ما يتعزى به .
(٣) رزأه رزءاً : أصابه برزء أي بمصيبة .
(٤) ديوان ابن شرف – ص (٩٨) .
(٥) خريدة القصر وجريدة العصر – ص (٢٨٨) .

كتبت والشوق يملي علي ما في الكتاب

والقلب قد طار شوقا إلى رجوع الجواب

ولابن رشيق عدد من الرسائل الشعرية التي أرسلها إلى أصدقائه ومن ذلك قوله : قال سئلت في خاتم فبعثته وكتبت معه : [١]

لا بأس فيما رأى السماح أن يوهب الخاتم السلاح

لما لا يبيح الأنام شيئاً تصحيف معكوسه مباح

فابن رشيق في البيتين يعكس ويصحف ليأتي بكلمة تدل على إباحة الدين .

وكتب ابن رشيق إلى الصباغ الصقلي قوله : [٢]

كتاب من أخ كشفت قناع ضميره يده

ويقول في رسالة أخرى : [٣]

دونكها يا سيد الأحرار وواحد العصر بل الأعصار

رسالة بينة الأعذار باحت بما تخفي من الأسرار

أدل من فجر على نهار وفضل ذاك السر في الإظهار

لطيفة المسلك في اختصار خفيفة الروح على الأفكار

كأنها من جودة العيار (قراضة من ذهب) الدينار

ففي الرسالة السابقة يصف ابن رشيق هذا الشخص بأنه سيد الأحرار ، وفريد عصره ، بل جميع العصور ،ثم يرسل إليه هذه الرسالة التي وصفها بأنها بينة الأعذار واضحة تدل على مكنونات نفسه ، وقلبه مثل الفجر الذي يدل على النهار ، ثم هي لطيفة المسلك ، والأسلوب خفيفة الروح لينة الأفكار ، ثم يشبه هذه الرسالة في جودتها بقراضة الذهب الذي تصنع منه الدنانير ، وفي البيت تضمين لأحد مؤلفات الشاعر الأدبية وهو كتابه (قراضة الذهب) .

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٦٠)

(٢) نفسه – ص (٦٣) .

(٣) نفسه – ص (٨١) .

ومن نماذج الرسائل الشعرية ما كتبه محمد بن علي الطبني لأبي عمران الفاسي حين عزم على السفر إلى الحج : [١]

أقول والنفس حزني منك والهة ... مما تحاذره من فقد محياها
ومن له رب ما ترضاه من عمل ... بر وان كان في بقياه بقياها
فان تقم لم يرعني نأي مرتحل ... وان ترد سفرا ودعتك الله
نفسي بما ترتضيه غير كارهة ... وحسبها أن ما أرضاك أرضاها

فأجابه أبو عمران [٢] : [٣]

حياك ربك من خل أخي ثقة ... وصان نفسك بالتكريم مولاها
من كل غم وشأن لا يوافقها ... فهو العليم بما يبديه مولاها
ولا أضاع لها الرحمن حرقتها ... وقولها إن تسر ودعتك الله
فالله يجمعنا من بعد أوبتنا ... ويؤتنا من وجوه البر أسناها

والملاحظ علي الأنموذجين السابقيين ان معاني بعض الابيات أقرب الي الكلام النثري منها الي الشعر كالبيت الثالث في الأنموذجين .

---

(١) الأنموذج – ص (٣٢٣)

(٢) هو أبو عمران موسى الفاسي أصله من فاس من بيت مشهور ، واستوطن القيروان ، حصلت له بها رئاسة العلم أخذ عن كثير من علماء المشرق والمغرب منهم أبو الحسن القابسي ، والقاضي أبو بكر الباقلاني ، مات سنة ٤٣٠هـ (المؤنس في أخبار إفريقية وتونس – تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار – تحقيق محمد شمام – الناشر المكتبة العتيقة – ص ١٠٤) .

(٣) الأنموذج ص (٣٢٣) .

الفصل الثانى

الاتجاهات الدينية

المبحث الاول: اتجاه المدائح النبوية

المبحث الثانى: الاتجاه الزهدى والصوفى

المبحث الثالث: الاتجاه الوعظى

المبحث الرابع : الاتجاه الحكمى

المبحث الأول

اتجـاه المدائـح النبـوية

الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى الكامل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وعندما يحج المسلمون ، فإنهم يقصدون المدينة المنورة لزيارة قبره الشريف ، وما من مسلم إلا وهو يتمنى زيارة قبره الشريف ، فإن عجز عن ذلك نراه يحن إلى الأراضي المقدسة [1] . وان كان شاعراً نراه ينظم قصائد المدح يتشوق فيها إلى رؤية قبره الشريف (صلى الله عليه وسلم) ولهذه المكانة نجد كثيراً من الشعراء قد مدحوا النبي (صلى الله عليه وسلم) ، منذ حياته ، فقد مدحه حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وغيرهم .

يقول الدكتور الحسين النور : (ولقد نشأ شعر المديح النبوي منذ نشأته وميلاده ووجوده (صلى الله عليه وسلم) في هذا الكون ، ولقد بدأ الأمر من الخالق جل وعلا حينما خاطب نبيه في القرآن المجيد : (وانك لعلى خلق عظيم) وحينما قال : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ، وقد ثبت في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (كان خلقه القرآن) فهذه الإشارات وأمثالها في القرآن الكريم تزيد فضل النبي الكريم ولهذا إقتداء بالكتاب ذهب العلماء ذلكم المذهب في توفرهم على مدحه) .[2]

ولعل أقدم ما مدح به المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ما نسب إلى عمه أبي طالب وهو قوله : [3]

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٩) – ص (٢٩٧).

(٢) من شعر المديح النبوي – دكتور الحسين النور يوسف – مطبعة جامعة الخرطوم – ط (١) – الخرطوم ١٩٩٥/١١/٣م – ص (١٢) .

(٣) السيرة النبوية – لابن هشام – تحقيق مصطفى السقا وآخرون – مطبعة الباجي الحلبي – مصر ١٣٧٥ – ١٩٥٥ م – ص (٢٦٩) .

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وحميمها

وان حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فان محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها

وله البيت المشهور في مدحه (صلى الله عليه وسلم) : (١)

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ولحسان بن ثابت همزيته المشهورة في مدحه(صلى الله عليه وسلم) وقد قالها يوم الفتح : (٢)

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

ومن مداحه (صلى الله عليه وسلم) كعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة التي يقول في مطلعها :(٣)

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وقد تطور شعر المديح النبوي عبر القرون حتى إذا جئنا إلى القرن الخامس ظهرت بعض القصائد التي تمدح النبي (صلى الله عليه وسلم) تحمل كثيرا من سمات المديح النبوي الناضج وكان من الشعراء المشهورين الزمخشري ومن أجمل قصائده في مدحه (صلى الله عليه وسلم) رائيته التي يقول في مطلعها : (٤)

قامت لتمنعني المسير تماضر أنى لها وغرار عزمي باتر

شامت عقيقة عزمتي فحنينها رعد وعيناها السحاب الماطر

ولم يخل بلد من بلاد المسلمين ألا وكان فيها عدد من شعراء المديح النبوية ، وفى كل زمان . ولا عجب إن رأينا عدداً من شعراء القرن الخامس في المغرب العربي يمدحون الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) المرشد – عبد الله الطيب – القسم الثاني – الأغراض والأساليب – مطبعة جامعة الخرطوم – دار جامعة الخرطوم للنشر – ط (٢) – ١٩٩٣ – ص (٣١) .

(٢) سيرة ابن هشام – جـ (٤) – ص (٤٢١) .

(٣) ديوان كعب بن زهير – شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان – بدون تاريخ – ص(١٩) .

(٤) المرشد جـ (٤) – ص (٥١) .

ومن شعراء المدائح النبوية في المغرب العربي في القرن الخامس الهجري عبد الله الشقراطسي[١] ، وله في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) قصيده فريدة طويلة استهلها بقوله : [٢]

الحمد لله منا باعث الرسل هدى بأحمد منا أحمد السبل

خير البرية من بدو ومن حضر وأكرم الخلق من حاف ومنتعل

توراة موسى أتت عنه فصدقها انجيل عيسى بحق غير مفتعل

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطفل

فالشاعر في الأبيات السابقة ، يحمد الله تعالى الذي بعث الرسل إلى الأمم ، وبعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) إلى أمته المحمدية ، هادياً إلى خير السبل والطرق ، وانه أفضل البرية إن كانت تسكن البدو أو الحضر ، وأكرم الخلق جميعاً حفاة ومنتعلين ، ثم يقول إن توراة موسى بشرت به وصدقها إنجيل عيسى (عليهما السلام) ، وهو في ذلك يشير إلى قوله تعالى :(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) . [٣]

ويقول إن الآفاق ضاءت لمولده ، وسرت البشائر في الإشراق والظلام .

وتحدث عن الإرهاصات التي صاحبت مولده (صلى الله عليه وسلم) مثل تصدع إيوان كسرى ، وخمود نار فارس ، وغور مياه بحيرة طبرية فقال : [٤]

---

(١) هو عبد الله بن يحيى بن علي أبو محمد الشقراطسي التوزري ، فقيه مالكي من الشعراء ، ولد بتوزر وعلمه أبوه وسافر إلى القيروان فأخذ عن علمائها ورحل إلى المشرق وخاض معركة في قتال الفرنجة بمصر ، ثم عاد إلى توزر فأفتى ودرس إلى أن توفي ، له (تعليق على مسائل من المدونة) و(فضائل الصحابة) و (الإعلام بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم) ...(الأعلام – ج (٦) – ص ١٤٤ – ١٤٥) .

(٢) رحلة العبدري – المسماة الرحلة المغربية – لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري – حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي – وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي – الرباط – ١٩٦٨م – ص (٤٥) .

(٣) سورة الأعراف ، آية (١٥٧) .

(٤) رحلة العبدري – (٤٥).

وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل

ثم تحدث بعد ذلك عن معجزات النبي (صلى الله عليه وسلم) مثل حديث الذئب وتصديقه له ، ونطق العير وإخبار الذراع المسمومة له ، وامتثال الشجر لأمره وحنين الجزع وغيرها من المعجزات النبوية ، فقال : [١]

ومنطق الذئب بالتصديق معجزة ... مع الذراع ونطق العير والجمل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ... ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
وفي دعائك الأشجار حين أتت ... تمشي بأمرك في أغصانها الدلل
وقلت عودي فعادت في منابتها ... تلك العروق بإذن الله لم تمل
والسرح بالشام لما جئتها سجدت ... شم الذوائب من أفنانها الخضل
والجزع حن لإن فارقته أسفا ... حنين ثكلى شجتها لوعة الثكل
والشاة لما مسحت الكف منك على ... جهد الهزال بأوصال لها نحل
سحت بدرة شكر الضرع حافلة ... فروت الركب بعد النهل بالعلل
وآية الغار إذ وقيت في حجب ... عن كل رجس لرجس الكفر منتحل
وقال صاحبك الصديق كيف بنا ... ونحن منهم بمرأى الناظر العجل
حمت لديك حمام الوحش جاثمة ... كيدا لكل غوي القلب مختبل
قالوا وجاءت إليه سرحة سترت ... وجه النبي بأغصان لها هدل
وفي سراقة آيات مبينة ... إذ ساخت الحجر في رجل بلا وحل

ويقول عن معراج النبي (صلى الله عليه وسلم) : [٢]

عرجت تخترق السبع الطباق إلى مقام زلفى كريم قمت فيه عل
عن قاب قوسين أو أدنى هبطت ولمتستكمل الليل بين المر والقفل

---

(١) رحلة العبدري – ص (٤٥) .
(٢) نفسه – ص (٤٥) .

ثم تحدث عن الغزوات النبوية فقال : [١]

ويوم مكة إذ أشرفت في أمم	**يضيق عنها فجاج الوعث[٢] والسهل**
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها	**في قايم من عجاج الخيل والإبل**
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب	**عرمرم كزهاء الليل منسجل**
وانت صل عليك الله تقد مهم	**في بهو إشراق نور منك مكتل**
ينير فوق أغر الوجه منتجب	**متوج بعزيز النصر مقتبل**
يسمو إمام جنود الله مرتدياً	**ثوب الوقار لأمر الله ممتثل**
والأرض ترجف من زهو ومن فرق	**والجو يزهر إشراقا من الجذل**
والخيل تختال زهواً في أعنتها	**والعيس تنثال رهواً في ثنى الجدل[٣]**
أهل ثهلان بالتهليل من طرب	**وذاب يذبل تهليلاً من الذبل**
الملك لله هذا عز من عقدت	**له النبوة قبل العرش في الأزل**

وهو يتحدث عن يوم فتح مكة ومع الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمم من يثرب والقبائل تضيق بها فجاج الأرض العسرة والممهدة السهلة ،خوافق متحركة ضاقت بها لكثرتها طاقة المشرق والمغرب ، وقد عقدت حركة الخيل والإبل عليها غباراً كثيفاً ، وانه لجيش ضخم متسع الأرجاء له لجب وصخب عرمرم أو شديد كزهاء الليل ومقداره . تتصب قطعه انصباباً ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) على رأس هذا الجحفل يحف به بهاء ونور منه مكتملان ، والخيل تختال في أعنتها ومسيرتها زهواً والعيس أو الإبل تتابع سائرة في مضاعف من جدلها أو أزمتها، وأهل ثهلان رافعاً صوته بذكر الله من طرب وفرح ، وذاب يذبل خوفاً من الرماح وكثرة السلاح ، وهذا عز لا يماثله عز ، عز من كتبت له النبوة منذ الأزل قبل خلق العرش وتكوينه .

---

(١)رحلة العبدري – ص (٤٨) .

(٢) الوعث : الطرق العسرة .

(٣) تنثال : تسيل وتنصب ، رهوا : بطيئة أو متئدة . ثني الجدل : الازمة المزدوجة الطاقات .

ثم تحدث عن الفتوحات الإسلامية في أنحاء المعمورة ، فقال : [١]

لم يبق للفرس ليث غير مفترس ولا من الحبش جيش غير منجفل

ولا من الصين صون غير مبتذل ولا من الروم مرمى غير منتضل[٢]

ولا من النوب نوب غير منجذم ولا من الزنج جذل غير منجذل[٣]

ونيل بالسيف سيف النيل واتصلت دعوى الجنود فكل بالجلاد صلى

وسل بالغرب غرب السيف إذ شرقت بالشرق قبل صدور البيض والاسل[٤]

قد طاع منحرف منهم لمعترف وانقاد منعدل منهم لمعتدل

وأصبح الدين قد حفت جوانبه بغرة النصر واستولى على الملل

ويقول في خاتمتها :

فما لجلدي لنضج النار من جلد ولا لقلبي بهول الحشر من قبل

يا خالق الخلق لا تخلق بما اجترمت يداي وقهي من حوب ومن زلل

واصحب وصل وواصل كل صالحة على صفيك في الإصباح والأصل

وعلق عليها العبدري بقوله : (قد أبدع هذا الناظم (رحمه الله) فيما نظم وشرف هذه القصيدة بقصده الجميل فيها ، وعظم فراقت معنى ومنظراً وشاقت حساً ومخبراً. . .) .[٥]

وذكر العبدري عددا من الشعراء الذين شطروها وخمسوها ، فقال : (وقد أولع الناس بها كل الولوع واستحسنوا من محاسنها كل مفرق ومجموع وعنوا بها شرحا وتخميسا وعنوا بها معهدا أنيسا . . .) [٦]

ومن الذين خمسوها أبو عبد الله المصري وأول قصيدته قوله : [١]

---

(١) رحلة العبدري – ص (٤٩) .

(٢) المنتضل : المرمي بالسهام .

(٣) النوب : النوبة ، منجذل : ملقى على الأرض ، والجذل أصل الشجرة ، وأصل كل شيء .

(٤) غرب السيف : حده .

(٥) رحلة العبدري – ص (٤٩) .

(٦) نفسه – ص (٤٩) .

أبدأ بحمد الذي أعطي ولم تسل وزد به ريب ريب الأين والكسل
فالحمد أحلى جنى من طيب العسل الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

ويرى حسن حسنى عبد الوهاب أن همزية وبردة البوصيري مستوحتان من الشقراطسية .[٢] .

ويقول القاضي عياض مادحاً النبي (صلى الله عليه وسلم) :[٣]

قف بالركاب فهذا الربع والدار لاحت علينا من الأحباب أنوار
بشراك بشراك قد لاحت قبابهم فانزل فقد نلت ما تهوى وتختار
هذا النبي الحجازي الذي شهدت له بتقديمه رسل وأخبار
هذا الشفيع الذي ترجى شفاعته للمذنبين إذا ما اسودت النار
بادر وسلم على أنوار روضته قبل الممات ولا تشغلك أعذار
يا خيرة الرسل يا أعلى الورى شرفا قد أثقلتني آثام وأوزار
فكن شفيعي لما قدمت من زلل ومن خطايا فإن الرب غفار

وهو يستوقف الركب فقد وصلوا إلى دار المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ولاحت أنواره ، ويقول لنفسه بشراك فقد لاحت قباب الضريح النبوي ، ومسجده ، وينبغي أن أنزل من بعيري ، فقد نلت ما أهوى وأوثر ، فهذا النبي الحجازي الذي تهفوا إليه القلوب والذي بشرت به الرسل وأخبار الكتب السماوية ، وهو الشفيع للمذنبين من أمته حين تتأجج نار الجحيم ، وتقول هل من مزيد . ويقول لكل مسلم بادر وسلم على أنوار روضته ، وينبغي أن يزورها ويكتحل بأنوارها قبل مماته ولا تشغله عن الزيارة القدسية أعذار ، ويتجه

---

(١) رحلة العبدري – ص (٥٠) .
(٢) البلاط الأدبي – ص (١٨٨) .
(٣) الوافي – ج (١) – ص (٥٦) .

بالخطاب إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فيقول : يا خيرة الرسل وصفوتهم ، وأسمى الورى شرفا أثقلتني آثام وأوزار كثيرة فكن شفيعي لما قدمت من عثرات وخطيئات عند ربي ، وإنه لغفار للذنوب .

ومن مشهور نظم القاضي عياض قصيدة تعليمية نظمها على نسق سور القرآن وضمنها مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) وآله والعشرة المبشرين بالجنة يقول في جزء منها : [1]

في كل (فاتحة) للقول معتبرة — حق الثناء على المبعوث (بالبقرة)

وفي (آل عمران) قدما شاع مبعثه — رجالهم و(النساء) استوضحوا خبره

قد مد للناس من نعماه (مائدة) — عمت فليست على (الأنعام) مقتصرة

(أعراف) رحماه ما حل الرجاء بها — ألا (وأنفال) ذاك الجود مبتدرة

به توسل إذ نادى (بتوبته) — في البحر (يونس) والظلماء معتكرة

ويقول في خاتمتها عن آله وصحبه (صلى الله عليه وسلم) والعشرة المبشرين بالجنة : [2]

أزكى صلاتي على الهادي وعترته — وصحبه وخصوصا منهم عشره

صديقهم عمر الفاروق أحزمهم — عثمان ثم علي مهلك الكفره

سعد سعيد زبير طلحة وأبو — عبيدة وابن عوف عاشر العشره

وحمزة ثم عباس وآلهما — وجعفر وعقيل سادة خيره

أولئك الناس آل المصطفى وكفى — وصحبه المقتدون السادة البرره

وفي خديجة والزهرا وما ولدت — أزكى مديحي سأهدي دائما درره

عن كل أزواجه أرضي وأوثر من — أضحت براءتها في الذكر مشتهره

أقسمت لازلت أهديهم شذا مدحي — كالروض ينشر من أكمامه زهره

---

(١) الوافي – ج (١) – ص (٦٤) .

(٢) نفسه – ص (٦٤) .

المبحث الثاني
الاتجاه الزهـدي والصوفي

ينشأ الزهد . عادة . بسبب ما يكتنف الحياة من تعقيد لايستطيع مواجهته بعض الناس ، فيلجأون إليه في محاولة للهرب والتخلص من المتاعب التي تنتظر من ينغمر بمثل هذه الحياة الصعبة مغطياً بذلك على هربه ، أو معلناً عن سخطه .

والزهد الإسلامي برز سبب آخر لوجوده ، وهو الإيمان المطلق بالله ، وبعقابه وثوابه ، ولهذا أراد الزهاد أن يبتعدوا عن الحياة كي لا تصيبيهم شرورها ، أو تتوشهم آثامها ، فيا خذونها معهم إلى الدار الأخرى وينالون جزاءها نار الله الكبرى [١] .

أما التصوف فقد قال عنه ابن خلدون : (هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، واصله إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، واصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى والإعراض عن زخرف الدنيا ، والانفراد للعبادة . وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ،اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) [٢].

وزاهد الأمة الأول هو الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتلته طبقات الزهاد في المجتمعات الإسلامية وفى الأزمنة المختلفة ، وتموج بمواعظهم وكلماتهم الزاهدة كثيراً من الكتب مثل البيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة وغيرها ، وإن جرت على ألسنة شعراء القرن الخامس في المغرب الغربي ، إلا أنه يختلف عما وجد عليه شعر الزهد والتصوف في المشرق العربي ، إذ أن المجتمع المغربي ظل محافظاً في هذه الفترة إلى حد كبير .

---

(١) المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة – عبد للطيف عبد الرحمن الراوي – مكتبة النهضة – بغداد – ١٩٧٤ م – ص (٢١٥) .

(٢) مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون – دار الشعب – القاهرة – بدون تاريخ – ص (٤٣٩) .

ويرى الباحث أن ذلك راجع إلى أن المغرب العربي لم تؤثر فيه الحضارات الأجنبية مثلما أثرت في المجتمع المشرقي الذي كان يموج بمختلف الطوائف الاجتماعية والتيارات الدينية والفكرية . كما أن ما تفشى في المجتمع المشرقي من مجون وزندقة ، أوجدت طائفة من الشعراء تتجه إلى هذا النوع من الشعر مستنكرة ما رأته من الزنادقة والملحدين .

ومن الشعراء الذين وردت في أشعارهم مقطوعات من شعر الزهد والتصوف في المغرب العربي ، ابن رشيق القيرواني فمع ما بشعره من غزل ومجون ، ووصف للخمر إلا أن به ما يدل على الزهد ، ولعله ينحى في ذلك منحى أبى نواس كقوله : (١)

يعطى الفتى فينال في دعة ما لم ينل بالكد والتعب

فاطلب لنفسك فضل راحتها إذ ليست الأشياء بالطلب

إن كان لا زرق بلا سبب فرجاء ربك أعظم السبب

وهو يرى أن المرء يرزق أحياناً بالركون والدعة مالا يناله بالكد والتعب. لذلك يدعو ابن رشيق الإنسان ألا يجهد نفسه بالسعي والإلحاح في الطلب فرجاء الله والاستغاثة به هي أعظم الأسباب .

ومن فلسفة ابن رشيق التي هي لب تصوفه وزهده قوله : (٢)

قناعة المرء الرضا وحرصه أقصى العدم

وماله من ماله إذا انقضى غير الندم

فيرى الشاعر ابن رشيق أن قناعة المرء أن يرضى بما قسم له وجشعه أقصى حالات العدم ، وليس للمرء من ماله إذا ذهب غير الندم ، ولا يخفى علينا ما في قوله من صورة بديعية في قوله (ماله ، ماله) حيث جانس بينهما .

ومن ذلك قوله (١) : .

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٤٧) .

(٢) نفسه – ص (١٣٣) .

تنازعني النفس أعلى الأمور وليس من العجز لا أنشط

ولكن بمقدار قرب المكان تكون سلامة من يسقط

وهو يرى أن في النفس نزعة للعلا ، والرفعة ولا ينشط لذلك ، وهذا ليس من عجز أو تقصير منه ، ثم يقول ولكنني أخشى السقوط فأقنع بما أنا فيه راضياً به موقنا بان السقوط من مكان قريب أسلم من السقوط من مكان عال .

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الزهد والتصوف ابن شرف القيرواني الذي يقول في ذلك : [٢]

سأبقى على الدنيا بصولة محرب وإلا على الأخرى بوصلة محراب

ولا خير في عيش يكون قوامه بمنحة مكذوب ومدحة كذاب

هو يقول انه سيبقى على الدنيا بصولة محرب والمحراب هو الرجل الشجاع الشديد في الحرب وللقاء، ولكن مع ذلك سيطيع الله تعالى لأن في قوله ووصله المحراب تعنى اتصال الصلاة في المحاريب وهى كناية عن الطاعة لله تعالى ، ولا خير في عيش يكون قوامة منحة مكذوب أو مدحة كذاب .

ولابن شرف القيروان أبيات أخرى في هذا الغرض منها قوله : [٣]

شكوت حزني وبثي إلى القريب المجيب

فكان عقابي عقبى نبيه يعقوب

وقال يزهد في الحياة [٤]:

إنى وان عزني نيل المنى لأرى حرص الفتى خلة زيدت على العدم

تقلدتني الليالي وهى مدبرة كأنني صارم في كف منهزم

وقال عند وفاته : [٢]

---

(١) ديوان ابن رشيق ص (٩٣) .

(٢) ديوان ابن شرف ص (٣٩) .

(٣) نفسه – ص (٤٠) .

(٤) نفسه – ص (٩٧) .

(١) ديوان ابن شرف – ص (٩٦) .

رحلت وكنت ما أعددت زاداً وما قصرت عن زاد المقيم

فها أنا قد رحلت بغير شيء ولكني نزلت على كريم

ويرى الباحث في خاتمة هذا المبحث أن شعر الزهد والتصوف لم يزدهر في هذا القرن ، ويرجع ذلك إلى أن المجتمع المغربي لم تصبه الأمراض التي أصابت المجتمع المشرقي مما جعل طائفة من شعراء المشرق تلجأ إلى هذا النوع من الشعر وأعانهم على ذلك وجود عدد من علماء التصوف و الزهاد المشهورين في المشرق .

المبحث الثالث

الاتجاه الوعظي

القران الكريم دائماً يعظ الإنسان ، ويدعوه إلى التفكير المتصل في ملكوت السموات والأرض ليعلم أن له خالقاً احكم صنعه ، ودائماً ينبه إلى أعمال وأقوال من العبادات التي تطهر نفسه ، كما ينبه إلى أنه حرم الفواحش ما كبر منها وما صغر ، وأنه ينبغي أن يسلك طريق الفضيلة ، والتحلي بالخلق الحسن حتى ينال رضا ربه نابذاً كل الرذائل ، ومراقباً ربه في كل ما يأتي من قول أو فعل . ويبدى القران ويعيد في عقيدة المعاد ، وان الناس سيبعثون جميعاً يوم القيامة ، وكل يحاسب على أعماله ويجزى عليها ، فإما إلى نعيم الله ورضوانه ، وإما إلى جحيمه وعذابه ، وشرع الله الخطابة الواعظة في صلاة الجمعة كل أسبوع ، وصلاة العيدين ، وواعظ الأمة الأول هو الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتلاه الخلفاء الراشدون ، ثم تكاثر الوعاظ مع مر الزمن يعظون الناس في المساجد وفى أماكن أخرى . [١]

وقد كثر الوعاظ في المغرب العربي في القرن الخامس ، وكانوا يعيشون معيشة تقشف وزهد ، رافضين متاع الدنيا طالبين ما عند الله تعالى من ثواب الآخرة . وقد أقيمت بعض الرباطات على الساحل المغربي للعبادة واشتهر من الوعاظ والزهاد ، منذ القرن الثالث سحنون[٢] إمام المذهب المالكي في المغرب العربي ، وله كثير من التلاميذ وامتد تأثيرهم إلى القرن الخامس . [٣]

---

(١) تاريخ الأدب العربي – ص (٢٧٨) .

(٢) هو سحنون بن سعيد بن حبيب بن عبد السلام بن عبد القدوس التنوخي ، أصله من الشام من حمص ، كان ثقة حافظا للعلم فقيها اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره ، الفقه البارع والورع الصادق والزهادة في الدنيا ... ، أخذ عن أبي القاسم وأشهب وغيرهما في الفقه وفي الحديث سفيان بن عيينة وابن وهب ووكيع ، وغيرهم ، توفي يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين . (الحلل السندسية – ص ٢٨٦ – ٢٨٧) .

(٣) تاريخ الأدب العربي – ص (٢٨٨) .

وقد جرى الوعظ على ألسنة الشعراء إذ لم يقتصر على غير الشعراء، فمن الشعراء الوعاظ عبد الله بن رشيق الذي يقول في بعض أبياته الوعظية .[١]

خير أعمالك الرضا   بالمقادير والقضا

بينما المرء ناطق   قيل قد كان فانقضى

وهو يدعو إلى الرضا بالقضاء فلن يستطيع احد أن يبدل حكماً واقعاً ، ثم يخوف من الموت الذي ينزل بالإنسان فيقال قد كان حيا وانقضى أجله .

ويقول على بن حبيب التنوخي واعظاً : [٢]

للمرء في أيامه واعـظ   لو فكر المغرور في رمسـه

كم من قرير العين في غبطة   أعراه صرف الدهر من لبسه

ففارق الأحباب عن كرهـه   واستبدل الوحشة من انسه

يا رب غفرانك يرجو الذي   أسرف في الدنيا على نفسـه

فعلي بن حبيب يعظ الإنسان المغرور ، ويرى أن هذا الإنسان لو فكر في قبره لما اغتر ، ثم يقول كم من شخص كان مسروراً ، وفى نعمة وفى حياة رغدة طيبة جرده حادث الدهر منها ، ففارق أحبابه مكرهاً مرغماً ، وأصبح في حفرة مظلمة لا أنيس ولا رفيق فيها ، ثم يتجه الشاعر إلى ربه معترفاً بما أسرف على نفسه راجياً مغفرته .

ومن الشعراء الوعاظ المتصوفة الزهاد محرز بن خلف بن رزين [٣] وكان كثير التردد على الأماكن الخربة ،ومن شعره الوعظي هذه الأبيات التي قالها عندما مر على مدينة قرطاجنة فرأى من خرابها وخلوها من أحبابها فقال واعظاً

---

(١) الأنموذج – ص (١٥٦) .

(٢) نفسه – ص (٢٧٧) .

(٣) هو محرز بن خلف بن رزين من ذرية أبى بكر الصديق (رضي الله عنه) ، نشأ بتونس وتربى بها وكان والده من فضلائها تعلم في حلقاتها الفقه والتفسير والحديث النبوي وعلوم البلاغة ، وقد تعلم على يديه الكثيرون وكان يلقب بسلطان المدينة توفى سنة ٤١٣ هـ .

نفسه في مخمس يقول في مطلعه : [١]

مررت بربع بالسراب تلفعا وطود جلال بالخطوب تصدعا

فقلت وقد أجرت جفوني ادمعا خليلي مرا على المدينة واسمعا

مدينه قرطاجنة ثم ودعا

رمتها صروف الحادثات بنبلها ورامت يد الأقدار تشتيت شملها

قفا وانظرا إن جزتما بين سبلها طلولاً بها تبكى لفقدان أهلها

كما ندب الأطلال كسرى وتبعا

فان لم تصيبا في الرسوم موانساً ولم تجدا بين القباب مجالساً

ولن تريا منها مجيباً ممارساً فقولا لها ما بال رسمك دارسا

وما بال وفد قد بناك وودعا

الأ هل على ما قلته من مجاوب وهل منك يا مغنى لنامن مخاطب

أمن بعد تلحين وصوت رواهب تصفق فيك الريح من كل جانب

وفرق منك الدهر قد تجمعا

ومن شعره الوعظي قوله : [٢]

انظر إلى الأطلال كيف تغيرت من بعد ساكنها وكيف تنكرت

سحب البلى أذياله برسومـهافتساقطت أحجارها وتكسرت

ومضت مجامع أهلها لسبيلهم فتغيرت أخبارهم وتنكـرت

تركوا ديارهم خلاء منهـم من بعد ما كانت بهم قد عمرت

أكل التراب لحومهم وعظامهمفتمزقت أوصالهم وتفطرت

قد اسكنوا في ضيقات حفائرتحت التراب منازلاً قد قدرت

قد أسسوها بالبناء وجصصت بالمعجزات من الأمور وخيرت

هيهات لم ينفعهم وتجصيصها إذ كان أسفلها الوجوه تغيرت

فإذا نظرت مفكراً لقبورهـم سمت جفوني ماءها فتحدرت

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٨٢) .

(٢) نفسه – ص (٨٤) .

وفى الأبيات عظة بليغة يدعو إليها الشاعر فيقول : انظر أيها المخاطب إلى هذه الديار كيف تغيرت وأصبحت أطلالاً بعد أن كانت عامرة بأهلها وسكانها ولكنها اليوم تنكرت لساكنيها ، وذلك لأن البلى سحب أذياله عليها فتساقطت أحجارها وتكسرت ، وتفرق أهلها ومضى كل واحد منهم لسبيله ، وانقطعت أخبارهم ، فأصبحت ديارهم خالية بعد أن كانت عامرة بهم في السابق ، فمات من مات من سكانها ودفن تحت التراب الذي أكل عظامهم ولحومهم فتمزقت أوصالهم ،واسكنوا في قبور ضيقة تحت الأرض بنيت وجصصت ولكن لا ينفع تجصيصها إذا تغيرت الوجوه أي كانت أعمالهم سيئة ،ثم يقول في البيت الأخير فإذا نظرت إلى قبورهم متأملا فإن دموعي تنحدر من عيني لما أصابهم .

ونجد أن الشاعر قد استخدم بعض الصور البيانية في هذه الموعظة البليغة كالاستعارة في قوله : (سحب البلى أذياله) ، والكناية في قوله (إذا كان أسفلها الوجوه تغيرت) .

ويقول في القصيدة نفسها [١] :

أبدت لنا الدنيا زخارف حسنها   مكراً بنا وخديعة مافترت

وهى التي لم تحل قط لذائق إلا تكدر طعمها فتمررت

خداعة بجمالها إن أقبلت   فجاعة بزوالها إن أدبرت

وهابة سلابة لهباتها   طلابة لخراب ما قد عمرت

فإذا بنت أمرا وتم بناؤها   نصبت مجانقها عليه فدمرت

وهى عظه بليغة يقول فيها : لا تغتر بما تبديه لك الدنيا من زخارفها وزينتها ، فذلك مكر منها وخديعة فلا تغتر بها ، إنها لم تصف ولم تحلُ قط لذائق إلا تغير طعمها وأصبح مراً ، فحذار من إقبالها بحسنها عليك ، فإنها لا تلبث أن تدبر عنك وتفجعك فيما أعطتك ، إنها وهابة غير أنها سرعان ما تسلب ما وهبتك ، وإنها لتخرب ما عمرته لك وإذا أشادت أمراً ورفعته عالياً سرعان ما تنصب مجانيقها عليه وتدمره تدميراً كاملاً كان لم يكن شيئاً مذكوراً .

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الوعظ بكر بن على الصابوني[١] الذي يقول[٢]:

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٨٣-٨٤) .

أمرض بالوعظ القلوب الصحاح ما قاله الهاتف في الصباح

أيقظنـي من نومي في الدجى شخص سمعت القول منه كفاح

يقول كم ترقد يا غافـلاً والدهر إن لم يغدُ بالموت راح

تركن للدنيا كـان لابراح منـها وتغدو لاهياً مـن مزاح

ما الدهر والأيام فـي مرهـا إلا كبرق خاطف حـين لاح

الصابوني يعظ ويحذر من الدنيا ،ويذكر ما قاله له هذا الهاتف وقال له كم ترقد يا غافلاً ، الدهر لا يرقد ولا ينام ، وكيف تركن للدنيا كأنك تعيش فيها أبداً ، فالدهر والأيام في مرها إلا كبرق خاطف .

ويقول علي بن عبد الغني الحصري في الوعظ : [٣]

يا ظالم الناس سد حلقاً لأكل أموالهم فتحتـه

رزق الفتى حاضر لديه إن لم يكن فوقه فتحته

فالصـورة البديعيـة واضـحة فـي الأبيـات إذ جـانس الشـاعر بـين كلمتـين (فتحتـه) و (فتحته) فالأولى من الفعل فتح ، والثانية من الظرف تحت .

وله كذلك : [٤]

قد حانت ساعة القنوت فحسبك التوب والقنـوت

جاءتك أشراطها ومنـها جور السلاطين والسنوت

وفـى خاتمـة هذا المبحـث يـرى الباحـث أن شـعر الـوعظ قد راج ، وكثـر فـي القرن الخامس في المغرب العربي ، وقد ساعدت بعض الأسباب على انتشاره منها وجود عدد

---

(١) هو بكر بن على الصابوني قال عنه ابن رشيق كان شيخاً معمراً ، شاعراً مطبوعاً حلواً ، صاحب نوادر ومغالطة وهجاء خبيث ،واقدر على مهاترة وبديهة وهو مع ذلك نقى الشبيه والثياب حسن الصمت والخطاب الأنموذج ص ٨٠) .

(٢) الأنموذج ص (٨٠) .

(٣) اقتراح القريح – ص (٢٧٠) .

(٤) نفسه – ص (٢٧٠) .

من علماء المالكية ، كما أن بعض النكبات التي تعرضت لها المنطقة مثل مجئ أعراب بني هلال وسليم ، وهجوم النورمان والقراصنة على بعض مناطق المغرب أدى إلى ازدهار هذا النوع من الشعر .

المبحث الرابع
الاتجاه الحكمي

يراد بالحكمة تجربة الإنسان في الحياة مصنوعة في عبارة موجزة لتلك التجربة وتمنحها الدوام والاستمرار على ألسنة الناس ، وهى موجودة في كل العصور ،وفى كل الأمم وهى ما يمتاز به الجنس البشرى عن غيره من الأحياء لأنها تنقل تجارب السلف إلى الخلف . الذي سيصير سلفاً . إلى من يأتي بعده من الأجيال ، وبتأمل الإنسان وإعمال عقله تجاه تلك الأشياء والحقائق تتكون لديه وجهة نظر معينة .[1]

الحكمة أصل حسي ، ومنه انتقلت إلى معناها المجرد الذي عرفت به ، أما المعنى الحسي فمأخوذ من الحكمة بفتح الحاء والكاف وهى الحديدة في للجام تحيط بحنكي الفرس لتحد من سرعته وشدة مراسه . [2]

وقد تطور شعر الحكمة عبر العصور ، يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة عن شعر الحكمة : وإنها وجدت في الشعر الجاهلي في أبيات قليلة منتشرة في بعض القصائد هنا وهناك ، يأتي بها الشاعر للنصح أو الموعظة ، وضرب المثل ولعل أكثر الشعراء الجاهلين اهتماماً بهذه الناحية زهير بن أبي سلمى كما يتضح من معلقته ، وأمية بن أبى الصلت ، وفى العصر الإسلامي كان الطرماح بن حكيم أكثر الشعراء اهتماماً بالناحية الحكمية في شعره ، ثم تطور شعر الحكمة في القرون التالية .[3]

---

(١) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي – د.صالح ادم بيلو – مكة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٩٨٨م – ص (٣٠٥) .

(٢) القاموس المحيط – الفيروز أبادي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٦م – مادة حكم .

(٣) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري – د. محمد مصطفى هدارة – دار المعرفة الجامعية – بدون تاريخ – ص (٤٧٣) .

أما عن الشعر الحكمي في القرن الخامس الهجري في المغرب العربي فقد كان بسيطاً ساذجاً وسطحياً عما كان عليه في المشرق .ومن نماذجه قول على بن أبى الرجال [١]:

أمن الزمان زمانة العقل فاخش الإله وحل عن الجهل

واعلم بأنك في الحساب غداً تجزى بما قدمت من فعل

وهو يقول إن من يأمن الزمان لا يعد صحيح العقل ، بل لكأنما عقله به آفة وأي زمان إننا نحيا فيه حياة قصيرة أو طويلة ، ثم نلقى الله تعالى فحري بنا بل بكل شخص أن يخشاه ، وأن يتخلص مما بعقله من غشاوة الجهل فإنه سيعرض على ربه في الحساب غداً ويجزى بما قدمت يداه من عمل طيب أو قبيح .

ويقول محمد بن على : [٢]

لا تخدعن عن البيوت وأهلها فلها من الحق الحرى الاوجب

فلقد رأيت من البيوت عجائباً والدهر يأتي بالعجيب ويغرب

بيت تسير به الركاب فيغتدي فرحاً يسر السامعين ويطرب

ونرى سواه بالحريق ملظياً يسم الوجوه فنورها يتلهب

كقيامة قامت فهذا محسن يحيا وهذا في الجحيم يعذب

وفى الحكمة يقول على الحصري عن الناس وأنواعهم : [٣]

الناس كالأرض ومنها هم من خشن اللمس ومن لين

مرو تشكى الرجل منه الأذىوإثمد يجعل في العين

أما ابن شرف القيرواني فقد نظم في الحكم والأمثال قصيدة لامية مكونة من مائة بيت ، أخذ ابن شرف الخمسين بيتاً الأولى من الشعراء السابقين عامة ، والخمسين الأخيرة

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٥١–٢٥٢) .

(٢) الأنموذج – ص (٢٨١) .

(٣) البلاط الأدبي ص (٢٠٤) .

من المتنبيء خاصة ، ولكن ما ورد منها بالديوان هو ستة وعشرون بيتاً والقصيدة على أعاريض وقوافي شتى ، فيذكر الشاعر البيت الحكمي الذي لغيره ثم ينظم في معناه من عنده ، فيقول في مطلعها[١] :

يا حاملي الأدب الغر البهاليلا حييتم حاملي فضل ومحمولا[٢]

ويا محب فصيح القول يعلمه نظماً ونثراً وتمثيلاً وترسيلا

خذ ما عهدت من الأمثال مفترقاً ومجمعاً لك في يمناك معقولا

شتى قواف غدت أبياتها مائه حيزت بقافية في مثلها طولا

لا تسأل الناس والأيام عن خبر هما يبثانك الأخبار تطفيلا

ولا تعاتب على نقص الطباع أخاً فان بدر الدجى لم يعط تكميلا

لايؤسنك من أمر تصعبه فالله قد يعقب التصعيب تسهيلا

ويقول في موضع آخر من القصيدة : [٣]

كم خانني الدهر في أوفى الوريفمضى به وخلف مرذولاً فمرذولا

بادوا كأنهم للفرقة اتعدوا فلم يكن ذلك الميعاد ممطولا

والناس أقوات هذا الموت يأكلهم جيلاً فجيلا إلى أن لا ترى جيلا

ومن يطل عمره يفقد أحبته حتى الجوارح والصبر الذي عيلا

وصبر الأرض داراً والورى رجلاً حتى ترى مقبلاً في الناس مقبولا

وإذا اهتم ابن شرف بالشعر الحكمي فقد اهتم به ابن رشيق القيرواني ، ومن ذلك قوله في مشاورة غيره وأخذ رأيه : [٤]

أشاور أقواما لآخذ رأيهم فيلوون عنى أعينا وخدوداً

وليس برأيي حاجة غير أنني أوانسه كي لا يكون وحيداً

ولا أنا ممن يبعث السهم رامياً إلى غرض حتى يكون سديداً[٥]

فلا يتهم عقلي الرجال فإنني أعرفهم أني خلقت ودوداً

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٨١) .

(٢) البهاليل : جمع بهلول ، وهو الضحاك من الرجال .

(٣) ديوان ابن شرف – ص (٨٢ – ٨٣) .

(٤) ديوان ابن رشيق – ص(٦٢ . ٦٣) .

(٥) سديداً : سد الشيء سداداً ، وسدوداً أي استقام ، وسد فلان أصاب في قوله .

وهو يقول طلبت مشورة قوم ، فمالو بوجوههم عنى ، ولم تسمح نفوسهم بنصيحة ، ثم يقول لم يكن رأى بحاجة لموازرة أو تأييد غير أنى أردت مؤانستهم بآراء الآخرين حتى لا يشعروا بالوحدة ، ثم يقول أنا لست مداوراً أو ماكراً حتى اصل لهدفي بالمكر أو الغلبة ، ولكن إذا أردت شيئاً آتيه مستقيماً موقناً بصوابه . ولذلك لا يتهم الرجال عقلي بالنقص أو الفساد فأنا أخبرهم باني خلقت محباً ودوداً لقومي ، وهذه ليست علة في العقل أو في الخلق أعاب بها .

ومن فرائده في الحكم قوله : (١)

لو قيل لي خذ أماناً　　　من حادثات الزمـان(٢)

لما أخذت أمانـاً　　　إلا مـن الإخـوان

وقوله (٣):

اختر لنفسك من تعا　دي كاختيارك من تصادق

أن العدو من الصديق　　　وإن تخالفت الطرائـق

ويعد الشاعر علي بن عبد الغني أكثر الشعراء الذين قالوا شعراً دينياً ومن أمثلته قوله في مطلع هذه المرثية : (٤)

ظلي وانت الشفيع إنـي　　　يرحمني مالك الملـوك

كلا بل المصطفى شفيعي　　　حقا يقينـا بلا شكوك

كبائري عنك مبعداتـي　　　إن لم أنل رحمة المليك

كفى بها موبقا وحسبي　　　رب تعالى عن الشريك

ومن أمثلته – كذلك – في شعر الحصري هذه النماذج التي تناول فيها العقيدة ، فقد كانت المذاهب العقائدية محل جدل وخصام بين السنة والمعتزلة ، والشيعة والخوارج ، وقد تعرض لها الحصري في شعره وصرح بأنه سني متعصب ضد التشيع علي الخصوص ،

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٧٠) .

(٢) الحادثة : النائبة ، وحدثان الدهر نوائبه وحوادثه .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (١٠٩) .

(٤) اقتراح القريح – ص (٤٧١) .

سني يعتقد أن التأثير في أفعالنا كله للخالق لا شأن للبشر، أو غيره فيه وأن المخلوق يدل على الخالق كالصورة التي تدل على المصور ، وهو يتعجب من النفوس التي عميت عن هذه الحقيقة الواضحة ،ثم ينصحك بأن تكون على مذهب الجماعة ، جماعة السنة ، ويحذرك من المغرورين ، ومن سلوك الطرائق الوعرة . ومن المقالات المشابة بالشكوك حتى لا تتطرق تلك الشكوك إلى عقيدتك ، يصرح بكل هذا في بساطة شارحا وموضحا فيقول : (١)

ما لا نفس عميت	**عن هدى مدبرها ؟**
أوضح الدليل لها	**وهي في تحيرها**
مالها كان لها الـ	**أمر في تخيرها**
مالها تسأل وفيـ	**ـها بيات مخبرها**
لو تفكرت إن الر	**شد في تفكرها**
صورة ابن آدم دلـ	**ـت على مصورها**

ثم يقول :

من بنى السماء ؟ ومن	**ثج ماء معصرها ؟**
من دحا البسيطة ؟ من	**حاطها بأبحرها ؟**

إلى أن يقول :

لا قضاء للشهب الز هر بل مسخرها

آية مبينة	**عند ذي تبصرها**
أحدث الأمور لما	**شاء من تغيرها**
لا تطع زنادقة	**ساء عقد مضمرها**
خلها وألسنها	**منقضات أظهرها**
كن مع الجماعة لا	**ترد مع مغررها**
أسهل الطرائق خذ	**دع سلوك أوعرها**
من يشب مقالته	**بالشكوك يعترها**

---

(١) اقتراح القريح – ص (٣٢) .

وبعد هذا الرد على الزنادقة ، يلتفت إلى الشيعة ، فيصرح بأنهم كفار مارقون من الدين ، ممهدا لذلك بتلخيص عقيدته في أن الميت يتلقاه ملكان في القبر يسألانه عن خالقه ونبيه ، وإمامه ، وقبلته ، وأن جواب صاحب العقيدة الصحيحة يتلخص في أن الخالق هو الله ، والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والإمام كتاب الله القرآن ، والقبلة بيت الله بمكة فيخاطب ابنه في رثائه له : (١)

هل تلقاك إذا انفض الورى فاتنا القبر برفق وشفق

هل تثبت مجيبا لهما قائلا أشهد أن الله حق

ونبي احمد أرسله بالهدى فاختاره ممن خلق

وإمامي الذكر والكعبة لي قبلة عرى الدين الوثق

ثم يصدر حكمه على الشيعة بالمروق من الدين فيقول : (٢)

.... كل شيعي من الدين مرق

ويؤكد الحصري عقيدته السنية صراحة في مقدمة ديوانه اقتراح القريح واجتراح الجريح ، بعدما يذكر فضل الصحابة العشرة المبشرين بالجنة فاثبت أسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة بقوله : (٣)

لك الخير خذها سنة وبها وصى وحض عليها من يطيع ولا يعص

محمد المختار أكرم مرسل وأفضل مخلوق واقرب مختص

وأفضل خلق الله بعد محمد أبو بكر الصديق ثم أبو حفص

وعثمان ذي النورين ثم علي الرضا أبو الحسن المعطي الكمال بلا نقص

وبعد علي ستة كلهم رضا فضائلهم جلت فليس لها محص

سعيد وسعد والزبير وطلحة عسى الله يدنيني الهم ولا يقصي

ذكرت ولم أنس ابن عوف ولا أبا عبيدة والذكرى تسوق إلى الشخص

أولئك أصحاب النبي أحبهم واطعن في أعدائهم طعن مقتص

---

(١) اقتراح القريح – ص (٣٢ – ٣٣) .

(٢) نفسه – ص (٣٣) .

(٣) نفسه – ص (٢٦٥) .

فكن مسلما في حبهم ومسلما ... **ولا تك عن قول الروافض تستقصي**

وحب ابن حرب مع أولئك سنة ... **فليت اسم كل خطه النقش في فص**

جرى ما جرى والله قاض وغافر ... **فيا نفس مهلا غير قصتهم قصي**

وحرصك في الدنيا ورغبتك احذري ... **فان الردى في رغبة النفس والحرص**

عفاء على الدنيا وطوبى لمعشر ... **يسيحون منها في الجبال وفي الفحص**

كفاهم أقل القوت فاقتنعوا به ... **ومن قنع استغنى عن القنص بالقبص**[١]

ومن شعره الديني : [٢]

نح في المشيب على الصبا ... **وعلى ليال ذاهبات**

وسل المهيمن رحمة ... **تجد المهيمن ذا هبات**

ولا يخفى علينا ما بالأبيات من جناس في قوله (ذاهبات) و (ذا هبات) فالأولى من الفعل ذهب ، والثانية صاحب هبة وعطية .

ويرى الباحث في خاتمة هذا الفصل أن الاتجاه الديني تطور وازدهر في أدب القرن الخامس الهجري في المغرب العربي ولكن هذا التطور والازدهار إذا عقدت مقارنة بينه وبين الشعر الديني في المشرق نجده أقل . وذلك لأسباب ذكرها الباحث سابقاً . وخاصة الزهد والتصوف ، وأما الشعر الجهادي فقد قل هنا . وذلك لان منطقة المغرب العربي في هذا القرن وخاصة في بدايته كانت بعيدة عن أعداء الإسلام من روم وغيرهم ، ولكن بعد سقوط صقلية بدأ النورمان يهاجمون مناطق الساحل لدولة بنى باديس . و في النصف الثاني شهد القرن ميلاد الدولة المرابطية، فقامت بجهاد المسحيين في الأندلس وانتصرت عليهم في مواقع مشهورة وخاصة موقعة الزلاقة ، ولاشك أن ذلك كان مصدراً إلهام للشعراء في الأندلس خاصة ولكن هذا الشعر يخرج عن نطاق البحث .

---

(١) القبص : لها معان كثيرة منها مجتمع الرمل ، وما حملت الكفان من الطعام – وما تناولته بأطراف أصابعك ولعل المقصود أحد المعنيين الأخيرين أي استغنى عن القنص بقليل الطعام .

(٢) اقتراح القريح – ص (٢٦٨) .

أما عن الشعر الشيعي فلا نكاد نجد له أثراً عند شعراء هذا القرن رغم أن الدولة الفاطمية ، وهى دوله شيعية قد حكمت منطقة المغرب ، وشملت دعوتهم المغرب العربي كله :أدناه ، وأوسطه ، وأقصاه ، بل امتدت إلى صقلية وسردينه وكورسيكا .

أقام الفاطميون دولتهم في المغرب العربي في نهاية القرن الثالث الهجري ،وظلوا يحكمون المغرب حتى نقلوا عاصمتهم إلى مدينه القاهرة وذلك في سنة ٣٥٨ هـ ، وقد حاول الفاطميون خلال هذه الفترة فرض المذهب الشيعي ولكنهم فشلوا ، ولعل ذلك راجع لتمسك أهل المغرب بمذهب أهل السنة ، وفى سنه ٤٠٦ هـ تولى المعز بن باديس حكم الدولة الصنهاجية وهى الدولة التي حكمت المغرب باسم الفاطميين ثم قطع المعز الدعوة للفاطميين نهائياً ودعا العباسيين في سنة ٤٣٩ هـ و لم يعد للفاطميين أي أثر على سكان المغرب العربي . بل إن المعز حمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ما عداه .

ومن الملاحظ أن الشاعر علي بن عبد الغني الحصري قد تناول الشعر الديني كثيراً في شعره إن كان ذلك في مطالع مراثيه لابنه ،أوعندما تحدث عن عقيدته السنية.

الفصل الثالث

الاتجاه الوجدانى

المبحث الاول: اتجـــــاه الغـــــزل

المبحث الثانى: اتجاه الخمريات والمجون

المبحث الثالث: اتجـــــاه الشكـــوى

المبحث الرابع : اتجـــــاه الــــفخر

المبحث الأول

اتجاه الغــزل

شعر الغزل في الأدب العربي من أكثر الأبواب التي طرقها الشعراء قديماً وحديثاً فلم يمر عصر من العصور إلا وكان شعر الغزل فيه متناولاً عند الشعراء، وذلك لأن الغزل أحب الفنون الشعرية إلى القلوب وأكثرها تأثيراً في النفوس، وأشدها تعلقاً بالأذهان وأخفضها نغماً على اللسان، وأكثرها انسياباً على الشفاه.

يقول ابن رشيق القيرواني في باب النسيب عن الغزل : (والنسب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد. وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن) . [١]

ويقول قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر: (إن النسيب ذكر الشاعر خلق النساء، وأخلاقهن وتعرف أحوال الهوى به معهن، والغزل إنما هو التصابي والاشتهار بمودات النساء) [٢].

وقد تطور شعر الغزل عبر العصور الأدبية المختلفة. فإذا كان شعر الجاهلية قد تناول أكثرهم المرآة تناولاً حسياً فتحدثوا عن أعضاء جسدها جميعه مشبهين أعضاء المرآة في كثير من الأحيان. بصفات استعاروها من بيئتهم الجاهلية كتشبيههم لعيونها بعيون المها ونظرتها بالسهام ، وأسنانها بالبرد وغير ذلك عند شعراء الجاهلية ولكن في العصور التالية نلحظ الحضارة والثقافات الأجنبية بدأت تظهر على شعر الغزل وخاصة عند شعراء العصر العباسي .

أما عن الغزل عند شعراء القرن الخامس الهجري في المغرب العربي ، فيعد من أكثر الإغراض التي طرقها الشعراء في هذه الفترة ويقف على راس هؤلاء الشعراء شعراء القرن الكبار كابن رشيق القيرواني ، والحصري القيرواني وابن شرف ، وتميم بن المعز

---

(١) العمدة – ج (٢) – ص (١١٧) .

(٢) نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق كمال مصطفى – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٦٣م – ص(١٤٠) .

وغيرهم . ومن خلال الإطلاع على شعراء الغزل في هذا القرن نجده يتجه اتجاهين : الأول هو التغزل بالمرأة والثاني هو التغزل بالغلمان .

أولاً : التغزل بالمرأة :

تغزل شعراء هذا القرن بالمراة ومنهم من تغزل فيها غزلاً مكشوفاً فاضحاً ،و لا يكاد شاعر من شعراء هذا القرن إلا وأكثر الغزل في شعره وإن كان من الشعراء الفقهاء ، ومن أشهر شعراء الغزل أبي الحسن على عبد الغنى الحصري الضرير ،وهو صاحب أجمل قصيدة في غزل هذا العصر وهي قصيدة (ليل الصب) يقول في جزء منها : [١]

يا ليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده[٢]

رقد السمار فارقه   أسف للبين يردده[٣]

فبكاه النجم ورق له   مما يرعاه ويرصده

كلف بغزال ذي هيف   خوف الواشين يشرده[٤]

نصبت عيناي له شركا   في النوم فعز تصيده

وكفى عجبا أني قنص   للسرب سباني أغيده[٥]

صنم للفتنة منتصب   أهواه ولا أتعبده[٦]

صاح والخمر جنى فمه   سكران اللحظ معربده[٧]

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني – تحقيق محمد المرزوقي – والجيلاني الحاج يحيى – مطبعة المنار ومكتبتها – تونس– ١٩٦٣– ص (١٤٣ – ١٤٤) .

(٢) الصب : العاشق .

(٣) السمار : جمع سامر أو سمير ، وهو الذي يسهر ويتحدث معك ، البين : البعد .

(٤) الكلف : المولع ، الهيف : رقة الخصر والرشاقة ، يشرده : يبعده .

(٥) قنص : كثير القنص ، وهو الصياد الماهر ، سباني : صادني أو أسرني ، الأغيد : الناعم .

(٦) صنم : التمثال .

(٧) جنى الفم : ريقه ، اللحظ : باطن العين ، المعربد : سيء الخلق ، والمقصود هنا أن لحظ محبوبته يفعل ما يريد غير مهتم بأحد .

ينضو من مقلته سيفاً وكأن نعاسا يغمده[1]

فيريق دم العشاق به والويل لمن يتقلده[2]

كلا لا ذنب لمن قتلت عيناه ولم تقتل يده

*****

يا من جحدت عيناه دمى وعلى خديه تورده[3]

خداك قد اعترفا بدمى فعلام جفونك تجحده

إني لأعيذك من قتلى وأظنك لا تتعمده[4]

بالله هب المشتاق كرى فلعل خيالك يسعده

ما ضرك لو داويت ضنى صب يدنيك وتبعده

لم يبق هواك له رمقا فليبك عليه عوده[5]

وغدا يقضى أو بعد غد هل من نظر يتزوده[6]

وجاء في كتاب (أبو الحسن الحصري) عن هذه القصيدة : (هذه قصيد أشهر من نار على علم فقد سار ذكره في الخافقين ورِدده المنشدون في العالم العربي من عصر صاحبه إلى يوم الناس هذا شغل به الحصري الناس ، وكم شغلهم بروائعه وحرك عواطفهم ببدائعه ، فتلقفه الشعراء شرقا وغربا يقلدون بحره وموضوعه ويحاولون تزيين قصائدهم بروائع معانيه ، ورقة ألفاظه ومبانيه فلم يدركوا شأوه ... وقد أعان على ذيوع هذه القصيد زيادة على رقة نسيبه وإشراق معانيه ، وعذوبة ألفاظه هذا النغم الحلو المرقص الذي اشتهر به ميزان (الخبب) مضافاً إليه هذه القافية العذبة المركبة من(دال) تعقبه (هاء)

---

(١) ينضو : يستل .

(٢) يريق : يسفك ، يتقلد : يحمل .

(٣) جحد : أنكر ، التورد : الإحمرار .

(٤) أعيذك : أرفعك عن .

(٥) العود : جمع عائد ، وهو الزائر في المرض .

(٦) يقضي : يموت ، يتزود : ينال .

مضمومة ينطلق فيها النغم حراً مرحاً لعوباً يأخذ بمجامع اللب ويحلق بالنفس في جو من السعادة والإشراف.[١]

وقد عارض هذه القصيدة عدد كبير من الشعراء إن كانوا من القدماء أم من المحدثين . وقد أورد المحققان للديوان عدداً من القصائد لشعراء عارضوا القصيدة منهم ابن الأبار[٢] الذي يقول معارضاً الحصري : [٣]

منظوم الخد مورده   يكسوني السقم مجرده

شفاق الدر له جسد   بابي ما أودع مجسده

في وجنته من نعمته   جمر بفؤادي موقده

ريم يرمى عن أكحله   زرقا تصمى من يصمده

متداني الخطوة من ترف   أترى الأحجال تعقده

ولاه الحسن وأمره   وأتاه السحر يؤيده

ومن الذين عارضوا الحصري في هذه القصيدة نجم الدين القمراوي [٤] الذي يقول : [٥]

قد مل مريضك عوده   ورثي لأ سيرك حسده

لم يبق جفاك سوى نفس   زافرت الشوق تصعده

هاروت يعنعن في السحـ   ـر إلى عينيك ويسنده

وإذا أغمضت اللحظ فتكت   فكيف وأنت تجرده

كم سهل خدك وجه رضى   والحاجب منك يعقده

ما أشرك فيك القلب فلم   في نار الهجر تخلده

---

(١) أبو الحسن الحصري القيرواني – ص (١٣٩) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن الرحمن القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار الكاتب ، قتله المستنصر بتونس سنة ٦٥٨هـ وهو صاحب كتاب تكملة الصلة لابن بشكوال .

(٣) أبو الحسن الحصري – ص (١٥٠) .

(٤) هو أبو الفضائل نجم الدين موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الكناني القمراوي نسبة إلى قمراء قرية بالشام ولد نحو سنة ٥٩١هـ وتوفى في طريقه إلى اليمن سنة ٦٥١م

(٥) أبو الحسن الحصري – ص (١٥٠) .

ومن الشعراء الذين عارضوا الحصري في هذه القصيدة في العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي ، بقصيدته التي يقول في جزء منها [١]

مضاك جفاه مرقد ويكاه ورحم عوده

حيران القلب معذبه مفروح الجفن مسهده

أودى حرقاً إلا رمقاً يبيقيه عليك وتنفذه

يستهوى الورق تاوهه ويذيب الصخر تنهده

ويناجى النجم ويتبعه ويقيم الليل ويقعده

ويعلم كل مطوقة شجناً في الدوح ترده

وقصيدة (ليل الصب) أشهر شعر الحصري ، وقد تناول فيها باسلوبه المرهف ولغته الرقيقة شؤونا شتى مما يدور عادة على ألسنة المحبين ، ويفضح أسرار نجاواهم ، ومكنونات قلوبهم ، وتكلم فيها عن طول الليل وطيف الخيال ، وخمر الرباب ، وسيف المقلة ، وجناية العين ، وحمرة الخد واستعطاف الحبيب ، وفناء المحب ، كل ذلك في إطار من الشاعرية الصادقة ، والتعبير الموحي والخيال السامي الطليق . [٢]

وللحصري شعر كثير قاله في الغزل يدل عليه ديوانه المسمى بديوان المعشرات[٣] فمن ذلك قوله متغزلاً وشاكياً : [٤]

ثملت بذكراها وطبت كشارب	**لها بالمثاني تارة والمثالث**
ثلاث سلبن القلب حسن عزائه	**وألبسني ثوبي خليع وناكث**
ثقالة ردفيها ورقة خصرها	**ويسحر العيون القاتلات البواعث**

---

(١) الشوقيات – ج (٢) – أحمد شوقي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط(١١) – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ – ص (١٢٢)٠

(٢) الشعراء العرب – ج (٢) – إعداد فواز الشعار – إشراف د. إميل يعقوب – دار الجيل – بيروت – ط(١) – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – ص (١٧) .

(٣) ديوان المعشرات هو ديوان من الشعر الغزلي نظمه على حروف الهجاء كل حرف يختص بقصيدة ذات عشرة أبيات كل بيت منها ينتهي بالحرف نفسه وجملة أبياتها ٢٩٠ بيتاً .

(٤) ديوان المعشرات – ص (٢١٥) .

ثقفت بعينيك الأسود كأنما **هما سيف جبار بقتلاه عابث**

ثقي بي على ذا النائي إنى لمقسم **بعينيك لا أشكو ولست بحإنث**

ثبوتا على العهد الذي كان بيننا **إذا غير الأحباب صرف الحوادث**

ثنتنى صروف الدهر عنك وما أثنى **فؤادي فجسمي راحل مثل لايث**

ثمار المنى من يجنها دون إلفه **يجد طيبات العيش مثل الخبائث**

ثلمت صفا صبري فأورثنني الضني **فويح غريب للضنى منك وارث**

ثواى على جمر الغضا من فراقكم **فهل من خيال في غرامي باحث**

والحصري في الأبيات السابقة يتغزل في هذه المرأة التي ثمل بذكرها وطاب كشارب لها بالمثاني مره ومره أخرى بالمثالث ، ولأن بها ثلاث صفات قد سلبت قلبه الصبر وألبسته ثوبي خليع وناكث ،وهذه الثلاث هي ثقل ردفيها ،ورقة خصرها وسحرعيونها ، التي فتكت بالأسود وكأنها سيف جبار يعبث بقتلاه ، ثم يؤكد لها أن ثابت على العهد رغم صروف الدهر ونلاحظ أن القصيدة تختلف عن سابقتها أي قصيدة (ليل الصب) التي تميزت بالسهولة والرقة ولعل ذلك راجع إلى التزام الشاعر حرف الثاء في بداية البيت ونهايته . والحصري كثيراً ما نجده في قصائد الغزل يشكو وينوح من ألم الفراق كقوله في قصيده أخرى من معشراته:[١]

جوى تتلظى ناره في جوانحي **فكيف ينام الليل حران منضج**

جفاه الكرى والطيف قد واصل البكا **فحتى متى يبكى ولا يتفرج**

جرى القدر الجاري عليه بفرقه **فليس له من جانب الهم مخرج**

جليد على الكتمان لو لم تبح به **دموع على خديه بالدمِ تمزج**

جعلت أمحي ما كتب بعبرتي **وكدت لسقمي في كتابي أدرج**

جوابا لعل الكتب يطفي لاعجاً **على كبد من ذكركم تتوهج**

جزى الله من أدى رسالة عاشق **وحسن أعذاراً من البين تسمج**

جميلاً فما فعل الجميل بضائع **ولا سيما في الصب والصب أحوج**

---

(١) ديوان المعشرات – ص (٢١٦) .

جنيت على نفسي الهوى فقتلتها وحبي برئ من دمى متحرج
جلا همومي طيفكم يوضح الدجى وإلا فأنفاس الصبا تتـأرج

والحصري في قصيدته السابقة يشكو ويتوجع لفراقه محبوبته ، فالجوى نار تتلظى في جوانحه ،ولذلك يسأل كيف يأتي النوم لشخص حران أنضجته نار الجوى ، وقد جفاه الكرى والطيف قد واصل البكا فحتى متى يبكى ولا يأتيه الفرج ، بعد أن جرى عليه القدر فرقه أحبابه وليس من الهم مخرج ورغم أنه جليد صبور قادر على الكتمان إلا أن دموعه دائما تدل على حاله ، ثم يطلب كتاباً أو رسالة من محبوبه لعل ذلك يطفئ ما به من ألم الجوى ، ثم يتساءل إن كان هنالك من يؤدى له رسالة . ويصنع له معروفاً ففعل المعروف وصنع الجميل ليس بضائع ولا سيما إذا كان لصب لأن الصب أحوج إلى ذلك .ثم يذكر من خاتمة الأبيات أنه جنى على نفسه فقتلها بهذا الحب وأخيراً لا عزاء له إلا الطيف أو ريح من أحب .

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الغزل ابن رشيق القيرواني كقوله : [١]

أومى بتسليمة اختلاس والناس في حومة الوداع
أحلى وان لم يكن سماعا من نغم الزمر والسماع
وقد نوت مقلتاه نوما وددت لو كان في ذراعي
وكان لي موقف افتراق وللهوى موقف اجتماع

ابن رشيق يقول حياني هذا الحبيب خلسة ،والناس مشغولون بالوداع وقد كان سلامه أفضل وأحلى من نغم المزمار ومن سماع الغناء ثم يقول إنه رأى جفنيه الناعسين فتمنى لو ضمه إلى ذراعيه لينام عليهما ، ثم حل الفراق بنا فاجتمع هوانا وتوحد قلبانا .

---

(١) ديوان بن رشيق – ص (٩٩) .

وله أيضاً في الغزل في معشوق مليح : [١]

معتدل القامة والقد   مورد الوجنة والخد

لو وضع الورد على خده   ما عرف الخد من الورد

قل للذي يعجب من حسنه   اقرأ عليه سورة الحمد

يصف ابن رشيق هذا المحبوب فيقول انه أهيف ضامر القد ينبت الورد علي وجنته وخده ولاحمرار خد هذا المحبوب لوضع الورد علي خده لا لتبس الأمر على الرائي فلا يستطيع أن يميز الورد من الخد لدقة تشابهها في النضارة والاحمرار ، ثم يطلب من يعجب بحسن ذلك المحبوب أن يرقيه من الحسد سورة الحمد .ومن شعر ابن رشيق في الغزل قوله : [٢]

ومهفهف يحميه عن نظر الورى   غيران سكنى الملك تحت قبابه

أو ما إلى أن ائتني فأتيته   والفجر يرمق من خلال نقابه

وضممته للصدر حتى استوهبت   مني ثيابي بعض طيب ثيابه

فلثمت خدا منه ضرم لوعى   وجعلت أطفئ حرها برضابه

فكأن قلبي من وراء ضلوعه   طربا يخبر قلبه عما به

فمحبوب ابن رشيق في الأبيات السابقة ضامر البطن دقيق الخصر ممنعاً يحميه رجل ذو قوة وسطوة ، ويغار عليه من أن يراه احد ، وإنما وصفه بذلك ليؤكد حب ذلك المعشوق له وتحديه للأخطار من أجله ثم يقول إنه أشار إليه أن يأتيه ففعل ، وكان الفجر يطلع من بهاء وجهه ونور محياه ، ثم يقول : فعانقته وضممته إلى صدري حتى أشبعت ثيابي من عطر ثيابه ،وحين قبلت خده أشعلت نيران لوعتي فأخذت أطفئها بعذب ريقه . وقد طرب قلبي لهذا فراح يخفق بين ضلوعي حتى كأنه يخبر قلب المحبوب عما به من شوق وحنين . ومن الشعراء الذين ولجوا هذا الباب من فنون القول عبد الكريم بن

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٦٨)

(٢) نفسه – ص (٤٦– ٤٧) .

فضـال القيروانـي[١] ومن ذلك قولـه فـي هذه القصيدة التـي مزج فيها الحـب بالعتـب واللـذة بالألم والوصف بالاستعطاف يقول : [٢]

رضاب ثغرك يضنيني ويشفيني وسحر عينيك يغويني ويغزيني

وفي تثنيك معنى لا يقوم بـه ما في الغصون من الارهاف واللين

إذا وصفتك باللحظ الفتور فمن قد القلوب بإطراف السكاكين

وإن نعتك بالغصن الرطيب فما في الغصن ما فيك من كل الافانين

جسم من الماء لكن قلبه حجر استغفر الله لم يخلق من الطين

وما سمعنا بقصن مثمر قمرا تجمعت فيـه أشتـان الرياحين

الورد والاس والنسرين مجتمع فيـه وفيـه بنيـات الزراجين[٣]

ويمضى فيرثى لحاله ولوقوعه في حب هذا المحبوب :

في حب من لو رآني مت من عطش والنبل في يده ما كان يسقيني

طمعت فيـه وغرتنـي لواحظـه أن المطامـع أسباب الشياطين

أن كنت في الحب سلطانا على كبدي فخفف عقوبة سلطان السلاطين

أو كان عندك للمسكين مرحمـة فان عبدك مسكين المساكين

ومن جيد شعر ابن فضال في الغزل هذه الأبيات التي قالها في وصف موقف وداع : [٤]

ولما تنادوا للرحيل وقـربت كرام المطايا والركاب تسير

جعلت على قلبي يدي مبادرا فقالوا محب للعناق بشير

فقلت : ومن لي بالعناق وإنما تداركت قلبي حين كاد يطير

---

(١) هو عبد الكريم بن فضال أبو الحسن المعروف بالحلوني ، ذكر ه ابن بسام في الذخيرة وقال : له كلام في النسيب رائق ومتأخر سابق ومديحه أيضا عليه طلاوة ، وذكر شيئا من شعره (انظر الذخيرة – ق (٤) – ج(١) – ص ٢١٩) .

(٢) البلاط الأدبي – ص (٢٣٩– ٢٤٠) .

(٣) النسرين : نبات له زهر ابيض عطري قوى الرائحة ، الزرجون : قضبان الكرم أو الخمر .

(٤) الذخيرة – ق (٤) – ج (١) – ص (١٦٩– ١٧٠) .

ولا يخفى علينا ما بالأبيات من صورة جميله وخاصة في بيته الأخير الذي يبدو فيه حسن التعليل واضحاً ، والصورة نفسها في أبيات ابن رشيق السابقة التي منها قوله :

أومى بتسليمة اختلاس   والناس في حومة الوداع

وهى أيضا عند ابن شرف في أبياته التي يقول فيها: [١]

أراحلة وما أبقيت منى   سوى لحظ يترجم عن قتيل؟

وقد عاقبت بالعبرات عيني   بلا ذنب وما ذنب الرسول ؟

وجدت الناس كلهم طلولاً   فلم اطل الوقوف على الطلول

فمن بسواك باعك فاغن عنه   كما استغنى على من عقيل[٢]

يقول الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة عن أبيات ابن شرف: (وابن شرف مؤاخذ بالبيتين الآخرين إذا طبقنا عليه مقاييس جودة الغزل فما في الحب بائع ومبيع ، ومن مجافاته استغناء الحبيب عن الحبيب كيف ،وهو جدول الحياة الذي لاتقيض له مياه ؟) [٣]

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الغزل الرقيق القيرواني[٤] فنراه يتسامى في حبه عن تمنى حبيبه وانه ليبالغ في ذلك إلى درجة التالية له وهو شهيده

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٨٨) .

(٢) هو أخو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما كان يوم صفين هرب عقيل إلى معاوية بن أبي سفيان وفارق أخاه علياً (وفيات الأعيان– ج (٦) – لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – ص ١٥٦)

(٣) البلاط الأدبي – ص (٢٤٢) .

(٤) قال عنه ابن شاكر في فوات الوفيات هو إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم أصله من القيروان ، رجل فاضل له تصانيف كثيرة منها (تاريخ إفريقية والقيروان) وكتاب النساء وكتاب الروح والارتياح وقد استشهد له ابن شاكر بالنموذج السابق (فوات الوفيات – ص ٤١) .

قال :[1]

ريم إذا ما معاريض المنى خطرت اجلـه المتمنـي عن أمانيـه

يا إخوتـي أأقاحـي في مقبلـه أم خمر دارين مع مسك على فيه

أم حسن ذلك التراخي من تكلمه أم حسن ذاك التهـادي في تثنيه

أم سخطه أم رضاه أم تجـنبه أم عطفـه أم نـواه أم تدانيـه

نفسي فداؤك مالي عنك مصطبر يا قاتلي كل معنى من معانيـه

ومن شعراء الأنموذج الذين قالوا شعرا في الغزل أبو القاسم عبد الرازق بن علي النحوي في أبياته : [2]

أقمري أيك الجزع هل أنت جازع وهل لك إلف نازح عنك نـازع

وفي لحنك المسجوع في رونق الضحى دليل أسى لو أن جفنـك دامـع

أثار كمين الشوق أنك صادح وإن كان لا يدري مرادك سامـع

كأن نسيما للشمال وللصبا نسيب الصبا طيبا إذا الشمل جامع

وإذ ليس سر للمسرة ذائـع وليس ذمام بالمذمة ضائـع

ومن شعراء الغزل في هذا القرن محمد بن سلطان الأقلامي [3]. ومن جيد شعره في الغزل هذه الأبيات التي أوردها له ابن رشيق في الأنموذج وهى قوله:[4]

---

(١) الأنموذج ص (٥٩) .

(٢) قال عنه ابن رشيق : (شاعر قادر بطلب الطباق والتجنيس طلبا شديدا وبالتصريف وتبديل الحروف ، ويستعمل القوافي العويصة ، ويبعد المرامي تحلقا على المعاني ، ولا يكاد يهمل من التصنيع إلا ما أفلته ، والغالب عليه علم الشرائع والقرآن وعنده من أصول الجدل والنظر في المذاهب نصيب(الأنموذج – ص١٢٨)

(٣) وقال عنه بن رشيق في الأنموذج :من جبل ببادية فاس ، يعرف بالأقلام وهو إلى سبته أقرب وهو شاعر مجود الشعر مضبوط الكلام لا يتكلف التصنع إلا قليلاً تظهر في كلامه المعرفة (الأنموذج ص (٣٠٧) .

(٤) الأنموذج – ص (٣٠٨) .

مقلة إنسانها غرق حشوها التسهيد والأرق

وصبابات مضاعفه ودموع ثرة دفق

وفؤاد لا مقام لـه في ضلوع بينها حرق

وفتى أشقى على جرق من هلاك ما به رمق

وحشا يسطو به لهب عن قليل سوف يحترق

ويح أهل الحب ويحهم ليت أهل الحب ما خلقوا

يعلم الواشون سرهم وهم صمت وما نطقوا

أن أهل الحب لو حلفوا أنهم موتى إذن صدقوا

ما احتيالي في مخبأه كهلال ضمه الأفق

خبئت في راس شاهقة دونه الحجاب والعلق

دعص رمل فوقه غصن يتثنى ما لـه ورق

وقال ابن رشيق عن الأبيات : (فدونك هذه الألفاظ العذبة الغزلة الرائقة التي تلصق بالقلب ،وتعلق بالنفس وتجرى مجرى النفس ، وهذا طريق الحذاق في التغزل خاصة لأن المراد منه استدعاء المحبوب واستعطافه برقة الشكوى ولطف العتاب وإظهارالغلوب والإقرار بالغلبة) . (١)

ومن نماذج شعر الغزل في المرأة ما قاله المسيلي(٢) : (٣)

خطرت على وادي العذيب بأدمعي فما جزته إلا وأكثره دم

وقد شربت منه كرام جيادنا فكادت بأسرار الهوى تتكلم

سرى البرق من نعمان يخبر أنه سيشقى بكم من كان بالأمس ينعم

رحلتم وهذا الليل فيكم ولم يعد إلى سواه منكم إذا رحلتم

وما أنا صب بالنجوم وإنما تخيل لي الأشواق أنكم هم

---

(١) الأنموذج ص ٣٠٨

(٢) المسيلي هو أحمد بن الحسين بن محمد المسيلي ، ذكره ابن الأبار في (تحفة القادم) توفي في حدود الخمسمائة (فوات الوفيات – جـ (١) – ص (٦٩)) .

(٣) فوات الوفيات – تأليف محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق دكتور إحسان عباس – المجلد الأول – دار صادر بيروت – بدون تاريخ – ص (٦٩) .

ولا يخفى علينا ما بالأبيات من غزل تقليدي دل عليه ذكره لبعض الأماكن كوادي العذيب ونعمان وكذا ذكره للبرق والنجوم وما شابه ذلك .

وله كذلك : [١]

متى طلعت تلك الأهلة في الخمر ونابت لنا تلك العيون عن الخمر

ومن علم الأعجاز تستعجز القنا وهذى الثنايا الغر تسطو على الدر

شموس أبت إلا شماس سجية وأقمار حسن في الهوى قمرت صبري

ويقول أبو حبيب المغربي في الغزل : [٢]

مجري جفوني دماء وهو ناظرها ومتلف القلب وجدا وهو مرتعه

إذا بدا حال دمعي دون رؤيته يغار مني عليه فهو برقعه

وبالجملة فان شعر الغزل في المرأة في هذا القرن قد راج بصورة كبيرة ، وتناوله عدد كبير من الشعراء وذلك ناتج من هذه الغريزة الإنسانية وهي حب الرجل للمرأة ، وحب المرأة للرجل .والمتأمل لشعر الغزل في المرأة يجد الشعراء يستخدمون المعاني ، والعبارات نفسها التي استخدمها السابقون لهم ، وإن بدأ أثر الحضارة يظهر على بعض الأشعار التي تناولت هذا النوع من الشعر .

---

(١) فوات الوفيات – ج (٢) – ص (٦٩) .

(٢) نفسه – ص (٢٦٧) .

ثانياً : التغزل بالغلمان :

والنوع الثاني من أنواع الغزل الذي تناوله شعراء القرن الخامس الهجري في المغرب العربي هو التغزل بالغلمان هذا النوع الذي لم يخل منه شعر الشعراء الكبار في القرن الخامس في المغرب .

ويعد التغزل بالغلمان نوعاً من الشذوذ الجنسي ،وهو من الآفات التي بدأت تظهر في المجتمع الإسلامي نتيجة الاختلاط الذي حدث بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى من فرس وروم وغيرهم وقد أوجدت آفة الشذوذ الجنسي وكذا شعر المجون هذا النوع من الغزل يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة : (وظاهرة الشذوذ الجنسي بدأت كما يقول النويهي في منتصف القرن الثاني الهجري ، ثم امتد طوفانها بعد ذلك وقد ابتليت الحضارة الإسلامية بهذا الداء الذي ظهر في حضارات أخرى كثيرة حينما بلغ طور نضوجها وبدا يتطرق إليها الانحلال الخلقي . واهم الأسباب الداعية إلى ظاهرة الشذوذ الجنسي اختلاط عدد كبير من الأجناس البشرية المختلفة الأديان والعقائد والتقاليد) . [١]

إذن فقد امتد هذا النوع من أنواع الأدب إلى أدباء وشعراء المغرب فقالوا شعراً متغزلين فيه بالغلمان .

يقول ابن رشيق متغزلا في غلام مليح : [٢]

لم أسل إذ عذر من شفنى   عذراً وبعض العذر إيهام[٣]
وعن قليل يلتحي أمرد   قد حط من لحيته لام

فان ابن رشيق يقول : إنه لم ينسي إذا نبت عذار من لذعه بحبه وبعد قليل يصبح الأمرد ملتحيا بعد أن كان عذاره كحرف اللام في جانبي وجهه . وله في غلام له اسمه ميمون : [٤]

غزال لا أزال به أهيم أكاتمه الورى وأنا كتوم

---

(١) اتجاهات الشعر – هدارة – ص (٢٣٢) .
(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١٤١) .
(٣) شفني : لزعني بحبي .
(٤) ديوان ابن رشيق – ص (١٣٨) .

إذا خمساه تعمية اذبلا فباقية على التحقيق ميم

فهذا محبوب كأنه الغزل فهو يهيم به ويكتم حبه عن الناس ثم يقول : إذا أزيل الحرفان (الياء والنون) من اسمه ستراً له ،وتعمية على الوشاة فالباقي على التحقيق (ميم) .

ولم يخل شعر ابن شرف القيرواني وهو من كبار شعراء القرن من شعر تغزل فيه بالغلمان كقوله من مليح اسمه عمر : (١)

يا أعدل الناس اسماكم تجور على فؤاد مضناك بالهجران والبين

أظنهم سرقوك القاف من قمر فأبدلوها بعين خيفة العين

فهذا الغلام رغم أنه يحمل اسم أعدل الناس ، وهو الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلا أنه جاء على فؤاد الشاعر ، وأفناه بالهجران و البين ويرى الشاعر أن اسم الغلام قمر ،وهو يشبه القمر ولكنهم خافوا عليه من العين فأبدلوا القاف عيناً والعين الأولى في البيت الأول عين عمر والثانية عين الحاسد.

ولابن فضال في غلام خياط قوله : (٢)

رب خياط فتنت به فتنه أفنت قوى جلدي

لاعب بالخيط يفتله أتراه ظنه جسدي

ليت أني كنته فأرى بين ذاك الورد والبرد

فعلت بالتوب إبرته فعل سهم الشوق في جسدي

وجرى المقراض في يده جرى عينيه على كبدي

وقال لغلام صغير أراد الحج : (٣)

يا طالب الحج وهو ذو صغر عجلت فاستأنه إلى الكبر

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (١٠٠) .

(٢) البلاط الأدبي – ص (٢٣٤) .

(٣) الذخيرة – ق (٤) – ج (١) – ص (٢١٩) .

إن كنت تبغي مثوبة فعسى تحمل لـي قبله إلى الحجر

وإذا رميت الجمار فارم بها كل فؤاد عليك لم يطر

فقال دعني وزمزما فعسى اغسل من مقلتي دم البشر

وقد علق الدكتور عبده عبد العزيز على هذا الشعر بقوله : (ولعل هذا الشعر أن يكون تقليديا من المغاربة للمشارقة على جاري عادتهم ، وهو في دلالته على براعتهم مثله في دلالته علي براعتهم من الإسفاف الذي استخف أهل المشرق فيه وفي غيره من فنون المجون الأخرى) .[١]

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٤٤) .

المبحث الثاني

اتجاه الخمــريات والمجــون

أولاً : الخمريات :

الحديث عن الخمر ووصف آنيتها ودنانها ومجالسها قديم في الشعر العربي فقد تناولها أصحاب المعلقات في أشعارهم وكان رائدهم في ذلك الأعشى الذي يقول:[١]

في فتية كسبوف الهند قد علموا   أن هالك كل من يحفى وينتعل

نازعتهم قضب الريحان متكئا   وقهوة مزة راووقها خضل

لا يستفيقون منها وهى راهنة   إلا بهات وأن علوا وان نهلوا

ومن شعراء المعلقات الذين قالوا شعراً عن الخمر الشاعر عمرو بن كلثوم الذي بدأ معلقته بالخمر :[٢]

ألا هبي بصحنك فاصبحنا ولا تبقى خمور الأندرينا

مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

تجوز بذي اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا

ترى اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا

صبنت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لاتصبحينا

وكأس قد شربت ببعلبك   وأخرى في دمشق وقاصرينا

يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة : (إن وصف الخمر قديم في الشعر إذا تناولها شعراء المعلقات في سياق موضوعات قصائدهم ، وكان رائدهم في ذلك الأعشى في

---

(١) المعلقات العشر وأخبار شعرائها – اعتني بجمعه – احمد بن الأمين الشنقيطي – دار الكتب – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م – ص (١٢١) .

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم – جمعه وحققه وشرحه د. إميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بدون تاريخ ص (٦٥– ٦٦) .

خمرياته ...) . [١]

وقد استمر تطور فن الخمريات عبر العصور حتى وصل إلى القرن الخامس الهجري في المغرب العربي٠ يقول الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة عن شعر الخمريات في المغرب : (والبيئة المغربية المتوقعة لمجالس الخمر ولوصفها ، إنما هي البلاط الأدبي للمعز بن باديس ، فكثير من الناس يربط بين الخمر والإبداع ، ولقد كان المعز ملكاً شاباً فتح قلبه ، وبلاطه لشعرائه ، ووفر لهم الخمر والسقاة متعه وتسليه ، ومصدراً للإلهام ، والخمر في مثل هذه البيئة تكون من الضروريات) .[٢]

يقول الشاعر ابن أبي الرجال وقد تقدمت به السن فيئس على أيام له مضت كانت حافلة باللذات كما قال : [٣]

ألا ليت أياما مضي لي نعيمها　　　تكر علينا بالوصال فتنعم
وصفراء تحكى الشمس من عهد　　　قيصر يتوق إليها كل من يتكرم
إذا مزجت في الكأس خلت لآلئلاً　　　تنثر في حافاتها وتنظم
جمعنا بها الأشتات من كل لذة　　　على انه لم يغش في ذلك محرم

وهو لا يكتفي بالذكريات وإنما يحول الذكريات إلى أفعال ، ويدعوا إلى اغتنام الفرصة ، واقتناص اللذة ثم يضع يده على العامل المؤثر في الموقف وهو الساقي بمقلته الكحيلة وخده المياس ، ثم يقول : [٤]

باكر الراح ودع عنك العذل　　　واسع في الصحة من قبل العلل
واغتم لذة يوم زائل　　　فالمنايا ضاحكات بالأمل
ما ترى الساقي كشمس طلعت　　　تحمل المريخ في برج الحمل

(١) اتجاهات الشعر– هدارة – ص (٥٠) .
(٢) البلاط الأدبي – ص (٢٤٦) .
(٣) نفسه – ص (٢٤٧) .
(٤) نفسه – ص(٢٤٧– ٢٤٨) .

مائساً كالغصن في دعص نقى   فاتن المقلة زينت بالكحل

ولم يقتصر قول الشعر في الخمر على الشعراء من عامه الناس بل امتد إلى الملوك ، فهاهو الأمير تميم المعز بن باديس الذي وصفه الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة بأنه زعيم شعراء مجالس الخمر ، يقول في بعض السقاة : [1]

وساق قد تكنفه الحياء   فوجنته وقهوته سواء
يمج المسك من ثغر نقى   كان رضابه خمر وماء
وقد ولع الخمار بمقلتيه   وظل التيه يفعل ما يشاء
ويبخل بالسلام وما يليه   فليس لمدنف منه شفاء

وله كذلك : [2]

وجه هو البدر المنير وقامة كالغصن ماس نضارة وشبابا
يسقيك من حلب العصير مدامة   ومن المؤشر مسكة ورضابا[3]
غنت وكاسات المدام مدارة عذب الوصال لنا بهن وطابا
كأس من الذهب السبيك تضمه   قصب اللجين تعممت عنابا

ولابن رشيق القيرواني شعر في وصف الخمر منه قوله : [4]

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب – ص (١٤٣) .
(٢) نفسه – ص (١٤٣) .
(٣) المؤشر : الثغر الحسن المحزز الأطراف
(٤) ديوان ابن رشيق – ص (١٥٤) .

معتقة يعلو الحباب مثونها فتحسبه فيها نثير جمان [١]

رأت من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد وبنان

فهذه خمر طيبة تطفو الفقاقيع على سطحها كأنها اللؤلؤ المنثور والصورة البيانية واضحة في البيت الأول فإن ابن رشيق يشبه الفقاقيع التي تطفو على سطحها بحبات اللؤلؤ المنثور .

وله كذلك داعياً غلاماً طالباً منه أن يذيقه خمراً إذا تذوقها البخيل ، أو سرت في جسده انفق عليها كل ماله . [٢]

قم فاسقني قهوة إذا انبعثت في باخل جاد بالذي ملكه

كأن أيدي الرياح مذ بسطت في متنه أظهرت لنا حبكه

والبيت الأول قريب في معناه من بيت عمرو بن كلثوم :

ترى اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا

ومن شعراء الأنموذج الذين قالوا شعرا عن الخمر محمد بن إبراهيم بن عمران القفصي الكفيف [٣] يقول فيه : [٤]

تهاوى للزجاجة سلسبيلا كعين الشمس تهوى للجنوح

كميتا لم تزل في الدن وقفا على الأيام من سام بن نوح

تراق به حمياها إلى أن أعيرت نكهة المسك الذبيح

لو لم تعتصر من عود كرم لما كر مت يد اللحز الشحيح

---

(١) معتقة : عتق الخمر تركها لتقدم وتطيب فهي معتقة .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١١٥) .

(٣) قال عنه ابن رشيق : هو شاعر متقدم علامة بغريب اللغة قادر على التطويل وصاف للديار مولع بذكر الإبل والقفار ، يضع القصيدة تبلغ المائة أو أكثر في ليلها ويحفظها فلا يشذ عنه منها شيء ويسر أكثر مسائل كتاب العين للخليل بن أحمد .

(٤) الأنموذج ص (٢٧١ – ٢٧٢) .

وقال ابن رشيق عن هذه الأبيات : (وهذا شعر طيار الألفاظ خفيفها ، نقي الأعطاف نظيفها ، حلو مسترسل خارج عن طريقته التي يستعمل) . [1]

وهاهو على بن عبد الغنى الحصري يتحدث عن الخمر ، ويجعل القدح ثالث ثلاثة صارفه للهم ، ثم يعود فيجعله العنصر الفعال في هذا المجال فيقول : (٢)

لا يصرف الهم إلا شدو محسنه أو منظر حسن تهواه أو قدح

والراح للهم أنفاها فخذ طرفا منها ودع أمة في شربها قدحوا

بكرٍ يخال إذا المزاج خالطها سقاتها أنهم زند بها قدحوا

ولابن شرف القيرواني شعر قاله في الخمر منه قوله : [3]

خليل النفس لا تخل الزجاجا إذا بحر الدجى في الجو ماجا[4]

وجاهر في المدامة من يرائي فما فوق البسيطة من يداجي[5]

امط عنا الكرى والليل ساج ودعنا نلبس الظلماء ساجا

وهات على اهتمام الروح راحا تعبد هموم أنفسنا افتراجا

إذا مريخها زاد احمرارا صببنا المشتري فيها مزاجا[6]

---

(١) الأنموذج – ص (٢٧٢) .

(٢) البلاط الأدبي – ص (٢٤٧) .

(٣) ديوان ابن شرف – ص (٤٥) .

(٤) الزجاج : الكأس ، الدجى : الظلام .

(٥) المداجاة : المدارة وفعله داجي يداجي .

(٦) المريخ : كوكب شديد الحمرة ، والمشترى كوكب شديد الضياء وقد سبق العرب إلى الاعتناء بالفلك .

ثانياً : شعر المجون :

يقول الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة عن شعر المجون بالمغرب: (لم يكن بالمغرب مجون بالمعنى الذي كان للكلمة في المشرق ، بل ولا بالمعنى اللغوي لها ، ومما وجد عندهم مما سماه بعضهم مجوناً إنما هو ضحك ، وإضحاك كشعر يروى لابن رشيق عن نفسه وكان أحول ، وعن ابن شرف وكان اعور وعن الطوسي وكان أعمى) [١] قال [٢] :

لابد في العور من تيه ومن صلف — لأنهم يبصرون الناس أنصافا

وكل أحول يلقى ذا مكارمه — لأنهم ينظرون الناس أضعافا

والعمى أولى بحال العور لو عرفوا — على القياس ولكن خاف من خافا

وأقرب إلى المجون قول ابن رشيق في غلام المعز المسمى بفسوة الكلب :

إنا إلى الله راجعون لقد — هان على الله أهل ذا البلد

وفسوة الكلب جاء يملكها — فكيف لو كان ضرطة الأسد

ولابن شرف في هذا الغرض كان يتعجب ويعجب: [٣]

إذا صحب الفتى جد وسعد — قامته المكاره والخطوب

ووافاه الحبيب بغير وعد — طفيايا وقد له الرقيب

وعد الناس ضرطته غناء — وقالوا إن فسا قد فاح طيب

ومن شعر المجون ما قاله عبد الرحمن بن محمد الفراسي .[٤]

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٤٤) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١٠٢ – ١٠٣) .

(٣) نفسه – ص (٤٠) .

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد الفراسي بالفاء وبعد الراء ألف وسين وهي قرية تعرف ببني فراس جوار تونس إلا أن مستقره تونس وبها تأدب كان شاعرا ماجنا خليعا شريرا كثيرا المهاجاة ، قليل المداراة ، خبيث اللسان ، توفي بمدينة سوسة سقط من سطح وهو سكران فتردى سنة ثمان وأربعمائة وقد نيف على الثلاثين (فوات الوفيات – ج

ومن شعره في المجون ما رواه ابن رشيق من الأنموذج قال : جلس يوما إلى شيخ تونس ، وكان نهاية في المجون فاجتاز بهما رجل سال عن دار ابن عبدون ، فقال له الشيخ هي تلك الرائقة حيث يقوم ابرك فقال الفراسي : والله لأنظمنه فما رأيت كهذا المعنى وقال من ساعته : [١]

إن شئت أن تعرف عن صحة دار التي تعزى لعبدونه
فامش فان ايرك أبصرته قام فان الباب من دونه

ومن شعر المجون ما قاله ابن المؤدب[٢] وهو في الأسر :

لا يذكر الله قوما حللت فيهم بخير
جاهدت بالسيف جهدي حتى أسرت وغيري
والآن لست أطيق الـ جهاد إلا بأيري
فهات من شئت منهم لو كان صاحب دير

وفى خاتمة هذا المبحث يرى الباحث وتأكيداً لما ذكره الدكتور عبده عبد العزيز أن شعر الخمريات قد راج وازدهر خلال هذا القرن ليس في بلاط المعز بن باديس وحده بل في مدن أخرى ، وتناوله عدد كبير من شعراء القرن الكبار أمثال ابن رشيق وابن شرف الحصري وغيرهم ، كما يرى الباحث أن شعر المجون يكاد لا يوجد له ذكر عند كثير من شعراء القرن ، وذلك راجع إلى أن المجتمع المغربي لازال محافظاً في هذا القرن ولم يكن به ذلك الاختلاط الذي حدث بالمشرق في ظل الدولة العباسية .

---

(٢) – ص ٢٩٠) .

(١) الأنموذج – ص (١٢٣– ١٢٥) .

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن المثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب ، أصله من المهدية ، وكان شاعرا مذكورا مشهورا ، قليل الشعر مفرطا في حب الغلمان مجاهرا بذلك بعيد الغور ذا حيلة ومكيدة ، مغرى بالسياحة والكيمياء والحجار ، معسرا مقترا متلافا إذا أفاد ، خرج مرة إلى صقلية فأسره الروم توفي في حدود سنة أربع عشرة وأربعمائة (فوات الوفيات – جـ (٢) – ص ١٥٤) .

المبحث الثالث
اتجاه الشوق والحنين

الإنسان محب لبيئته ووطنه ، وهو متمسك بهذا الوطن يحن إليه ويدافع عنه ويبذل في سبيله كل غالٍ ، ورخيص للذود عن حياظه وهذا الحب لم يكن مقتصراً علي قوم دون آخرين أو مجموعة من البشر دون أخري إنما كان عاماً. مطلقاً فيما نعلم لم يخل منه أي أدب حي في تاريخ الفكر الإنساني .[١]

والحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية عامة لا يستطيع المرء التخلي عنها مهما بلغ رقيه الحضاري و تطوره المادي وسموه الروحي ...) [٢].

يقول البروفسير عبد الله الطيب عن الشوق والحنين في الشعر : (الشوق والحنين من أعمق المعاني الإنسانية وأشدها لصوقاً وعلوقاً بالنفس وحياة البداوة مما يزيدها ويقويها لأنها أكثر ما تقوم علي الفصيلة والأسرة والدار والوطن وحياة الصحراء اشد ابغالاً في هذا المعني من سائر أصناف الحياة البدوية لشسوعها وانجرادها وجدبها وقوة اتصال الذاكرة بمواضع الاستقرار فيها...) [٣] وشعر الشوق والحنين تناوله الشعر منذ العصر الجاهلي واستمر عبر العصور فها هو الشاعر امرؤ القيس يحن إلى ديار أحبابه فيقول: [٤]

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ... بسقط اللوي بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

---

(١) الحنين إلى الوطن في الأدب العربي – د. محمد إبراهيم حور – دار القلم للنشر والتوزيع الإصدارات العربية – دبي – ط(٢) ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م – ص (٢٤) .

(٢) نفسه – ص(٢٤) .

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب – ج (٣) عبد الله الطيب – دار جامعة الخرطوم للنشر – ط (٤) – ١٩٩١ م – ص (١٤٠) .

(٤) المعلقات العشر واخبار شعرائها – ص (١٥) .

وفي شعر العصر الإسلامي نلمح ظاهرة الشوق والحنين واضحة في هذه الأبيات التي أوردها المرتضي في أماليه لشاعر من نجد يقول فيها : [١]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بأسناد نجد وهي خضر متونها

وهل أشربن الدهر من ماء مزنة   بحره ليلي حيث فاض معينها

بلاد بها كنا نحل فأصبحت   خلاء ترعاها مع الأدم عينها

تفيأت فيها بالشباب وبالصبا   نخيل بها أهوى علي غصونها

فالشاعر يتمني أقصي ما يتمني أن يبت ليلة بنجد موطنه وان يشرب شربة من ماء المطر فيها ثم لننظر إلى هذه الحسرة التي تبعثها الأبيات في نفس القاريء وهي عبارته بلاد كنا نحل ...الخ ، ثم لننظر كيف يتذكرها مقرونة بأسعد الأوقات في حياته يتذكرها مقرونة بالشباب وبالصبا.

وفي شعر العصر العباسي رغم تطور الحضارة يبدو الشوق والحنين واضحاً في كثير من قصائد العصر ولعل أبيات أبى تمام التي يقول : [٢]

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتي   وحنينه أبدا لأول منزل

نري الشوق والحنين واضحاً فيها وقريب من هذا نجده في قصائد جاهلية وإسلامية وعباسية كثيرة.

أما إذا انتقلنا إلى القرن الخامس في المغرب العربي فشعر الحنين والشوق واضحاً عند شعراء القرن خاصة بعد أن بدأت المصائب والفتن تحدق بالمنطقة مثل غارات قبائل بني هلال وسليم ، وهجمات النورماند علي بعض السواحل المغربية.

---

(١) أمالي المرتضى (١) – للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة الحلبي – ط (١)- ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م – ص (١٥١) .

(٢) ديوان أبي تمام – بشرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – دار المعارف – مصر – ١٩٦٤ م – ص (١٥٧) .

وفقد رأينا كيف انفرط عقد شعراء البلاط الأدبي للمعز بن باديس . فهاجر عدد من شعراء البلاط إلى صقلية والى الأندلس ومنهم من ارتحل شرقاً وعند كثير من هؤلاء الشعراء كان شعر الشوق والحنين .

وشعر الشوق والحنين وجد مكانة خاصة عند شعراء القيروان الكبار مثل ابن رشيق وابن شرف والحصري وغيرهم يقول الدكتور عبده عبد العزيز قليقيلة عن مدينة القيروان وأهلها: (كان أهل القيروان بعامة ،وأفراد البلاط الأدبي منهم بخاصة يعيشون سعداء آمنين في الباب الكبير للمغرب العربي ، عاصمة افريقية وثالثة المدن الإسلامية بعد بغداد والقاهرة يحتضنهم ملكهم الشاب الواعد المعز بن باديس مضت على ذلك أربعة عقود ، ثم دب الزمن دبيبه دمدم عليهم المستنصر العبيدي ، ووزيره اليازورى ،، فإذا هم خارجها غرباء ، مشردون لا وطن ، ولا سكن ولا أنيس ولا جليس رجع إلى موطنه الأصلي في سوسة ، أو صفاقس أو تونس من رجع وانتقل إلى المهدية مع المعز وتميم من انتقل وركب البحر إلى صقلية أو الإسكندرية أو الأندلس من ركب ، ولكن ظل هتافهم بعاصمتهم القيروان وغناء أرواحهم وكان حديثهم بعدها حديث الغربة غربة الجسم والنفس والروح . (١)

فهاهو الشاعر أبو الحسن على بن عبد الغني الحصري قد رحل من القيروان إلى مدينة سبتة في المغرب الأقصى ، وفى أول عهده بالغربة يتشوق إلى القيروان ويحن إليها بعد أن تركها فيقول : (٢)

موت الكرام حياة في مواطنهم ... فإن هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا

يا أهل ودي هل في القرب من طمع ... فتشفى بكم هذى الصبابات

إذا اعتللنا تعللنا بذكركم ... لو أحسنت برء علات تعلات

ماذا على الريح لو أهدت تحيتنا ... إليكم مثلما تهدى التحيات

أصبحت في غربتي لولا مصابرتي ... بكتني الأرض فيها والسموات

---

(١) البلاط الأدبي – (٢٥٧-٢٥٨)

(٢) ديوان المتفرقات – ص (١٢٥) .

ثم يقول وهو يحلم بالعودة إلى القيروان : (١)

هل مطمع أن ترد القيروان لناوصبرة والمعلى فالحنينات
ما إن سجا الليل إلا زادني شجناً فاتبعت زفراتي فيه أنات
ولا أرى الموت إلا باسطاً يده من قبل أن يمكن المأسور إفلات

فالحصري في الأبيات السابقة يحن إلى القيروان وصبرة والمعلى والحنينات وهي كلها أماكن عاش فيها وهو يحس الآم الغربة فلذلك يطلق هذه الزفرات التي تتعبها أنات تعبر عن حالته وما وصل إليه من شوق وحنين ، وهاهو يرى الموت باسطاً يده فهل يستطيع الإفلات منه .

ثم نجد شاعراً آخرا هاجر من القيروان فنراه يحن إليها وهو ابن شرف القيرواني الذي هاجر أولا إلى المهدية ثم إلى صقلية ثم إلى الأندلس ولكنه ظل وفياً إلى القيروان دائم الحنين إليها فنراه يقول :

يا قيروان وددت أني طائر فأراك رؤية باحث متأمل
آه وأية آهة تشفي جوى قلب بنيران الصبابة مصطلى
يا لو شهدت إذا رأيتك في الكرى كيف ارتجاع صباي بعد تكهل
لا كثرة الإحسان تنسى حسرة هيهات تذهب علة يتعلل
وإذا تجدد لي أخ ومنادم جددت ذكر إخاء خل أول
(لو كنت أعلم أن آخر عهدهم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل)

وابن شرف في الأبيات السابقة يحن ويتشوق إلى القيروان حيث كان ينعم بقرب أهله وبقرب أميره المعز بن باديس لكنه الآن أصبح غريباً بعد أن ابتعد عن مدينته فيتمني لو انه أصبح طائراً حتي يطير إليها وينظر إليها نظرة إنسان متأمل. ثم نراه يكثر الآهات التي ما عادت تجدي ولا تشفي قلبه المشتاق رغم الإحسان والكرم الذي وجده ورغم ما

(١) ديوان المتفرقات – ص (١٢٦) .

وجده من أصدقاء ، فكل ذلك لم ينسه القيروان وأصحابه فيها . وفي البيت الأخير يضمن بيت الشاعر جرير بن عطية الذي يقول فيه : [١]

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم   يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

وابن شرف قد أكثر الحنين إلى القيروان ولعل ذلك راجع إلى انه شاهد ما حل بأهلها من ذل ومهانة ولأنه افتقد ما كان ينعم به عندما كان بالقرب من المعز بن باديس فحتى إذا مدح حاكماً آخر نجده يصف القيروان ويحن إليها كما يقول في مطلع قصيدته التي مدح بها المأمون بن ذي النون : [٢]

تذكرتها واليم بيني وبينها   وموصولة فيح مهجورة غفل

ومن دونها حرب عوان وفارض   ولود لها من نفسها أبدا بعل

يقر امرؤ القيس بن حجر لفضلها   ويظهر عنها العجز علقمة الفحل

فلو وصلت عمري الليالي لوقته   لقالت له الأشعار ما قالت النمل

فابن شرف قد تذكر القيروان رغم ما يفصل بينه وبينها من بحر وأرض فيحاء واسعة ومن دونها الحرب الشديدة ولكن مع ذلك لو رآها امرؤ القيس بن حجر لأقر بفضلها ولو أن علقمة بن عبده أدرك زمانه بها لقالت له الأشعار ما قالته النملة لبنى جنسها عندما دهمهم سليمان عليه السلام بجنوده (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [٣]

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الحنين والشوق على بن حبيب التنوخي ، ذكر ابن رشيق أنه دخل المشرق ولقي جماعة من رؤساء العرب فحظي عندهم وفى الأبيات التالية يحن إلى موطنه مدينة صفاقس : [٤]

---

(١) ديوان جرير – تحقيق د. يوسف عيد – دار صادر – بيروت – لبنان – ط (١) – بدون تاريخ – ص(٥٥٤) .

(٢) ديوان ابن شرف – ص (٩٣) .

(٣) سورة النمل – آية (١٨) .

(٤) الحلل السندسية – ص (٣٢٦) .

سقياً لأرض صفاقس ذات المصانـع والمعلى

فحمى القصير إلى الخليـ ـج بقصرها السامي المعلى

بلد يكاد يقول حـين تزوره أهلا وسهـلاً

وكأنـه والبحر يحزر تـارة عنـه ويمـلا

صب يريد زيــارة فإذا رأى الرقبـاء ولـى

فالشاعر يحن إلى مدينة صفاقس ويدعو لها بالسقيا بعد أن ابتعد عنها ويصف ما بها من قصر ، ثم يذكر ترحابها بزائريها حتى كأنها تقول لهم أهلا وسهلاً ، ثم يصف بحرها في مده وجزره ويشبهه بصب مشتاق يطلب الزيارة ، ولكنه يخشى الرقباء فيرجع مرة أخرى .

المبحث الرابع

اتجاه الشكوى

وشعر الشكوى من الأغراض التي تناولها الشعراء إذ كثيراً ما نجد الشعراء يشكون ،ويئنون ويتوجعون من شيء ألم بهم إن كان ذلك بتركهم لأوطانهم ورحيلهم إلى أخرى لم تجد فيها أنفسهم ما يتمنون فنراهم يشكون من الدهر ومتقلباته ، وأحيانا من صديق تنكر لهم وهكذا . ولم يكن شعراء القرن الخامس الهجري في المغرب العربي بمنأى عن تناول هذا النوع في شعرهم فها هو ابن المؤدب الذي أسره الروم في البحر بعد أن خرج طالباً صقلية وأقام فيها مدة إلى أن هادن الأمير ثقة الدولة الكلبي صاحب صقلية ملك الروم فبعث إليه بالأسرى وكان منهم ابن المؤدب فمدح ثقة الدولة بقصيدة يشكره فيها على صنيعه ومنها قوله في الشكوى : (١)

أبيت أراعى النجم في دار غربة وفى القلب مني نار حزن مضرم

أرى كل نجم في السماء محله ونجمي أراه في نجوم المنجم

سأحمل نفسي في لظى الحرب حملة تبلغها من خطبها كل معظم

فان سلمت عاشت بعز وإن تمت لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم(٢)

وفى البيت الأخير تضمين من قول زهير بن أبى سلمى : (٣)

فشد ولم تفزع بيوت كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

وفي الشكوى يقول القزاز شاكياً ومعاتباً : (٤)

واحسرتا مات أترابي وأقراني وشتت الدهر أصحابي وأخداني

---

(١) الأنموذج – ص (١٤٧) .

(٢) أم قشعم : كنية للموت ، ومعنى إلقاء رحلها في مكان تحقق الموت فيه .

(٣) ديوان زهير – ص (٢٧) .

(٤) الأنموذج – ص (٢٩٦) .

وغيرت غير الأيام خالصتي والمنتضي الحر من أهلي وإخواني

وصار من كنت في السراء أذكره بل لست أنساه في الضراء ينساني

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الشكوى عبد الله بن القابلة السبتي[١] ، الذي يشكو ظهور الشيب في رأسه وابتعاد الغواني عنه فيقول : [٢]

الشيب في مفرقي حلا وعقد عهد الملاح حلا

وكان كالأبنوس رأسي فاحتله عاجه فحلى

وحرمت وصلى الغواني وقلن قتل العميد حلا

وقد أكثر ابن شرف القيرواني من الشكوى في شعره فكثيراً ما نجده يشكو ويتوجع إن كان ذلك من الزمن وغدره أو من الأصحاب .

يقول شاكياً الزمن وغدره : [٣]

مالي يعاقبني الزمان وليس لي ذنب كأني عمرو المضروب

ما كان أولاني بحكم المبتدا في النحو لو أن الزمان أديب

ابن شرف يشير في البين الأول إلى المثال المشهور عند النحويين (ضرب زيد عمرو) ويتمنى في البيت الثاني أن ترتفع منزلته في الحياة فيصبح كالمبتدأ دائم الرفعة .

وفي مثال آخر يشكو ابن شرف الزمان وغدره فيقول : [٤]

مالي كذا كل ما طلبته عسروقد أخذت بحب المطلب العسر

مالي أجاذب ذي الدنيا مولية فكل ثوب عليها قد من دبر

---

(١) هو عبد الله بن القابلة السبتي من مدينة سبتة ، ومن شعراء عصر المرابطين في القرن الخامس ، وقد ذكره ابن بسام في ذخيرته ، وأورد له شيئا من شعره (انظر الذخيرة – ق (٤) – ج (١) – ص ٣٨١) .

(٢) الذخيرة – ق (٤) – ج (١) – ص (٢٢٧) .

(٣) ديوان ابن شرف – ص (٤٢) .

(٤) نفسه – ص (٥٤) .

(٥) سورة يوسف – آية (٢٨) .

(٦) ديوان بن شرف – ص (٧٠) .

وفى البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ)(٥) وله كذلك في الشكوى من الزمن قوله : (٦)

سل عن رضاي عن الزمان فإنـه كرضي الفرزدق عن بني يربوع

لله حال قد تنقل عـهدها كخلاف نقل الدهر حال صريع

دارت دراري الخطوب قواصداً حتى نظرن إلـى من تربيـع

يقول سل عن رضاي عن الزمان فإنه يشبه رضى الشاعر الفرزدق عن بني يربوع وهم رهط الشاعر جرير ،وكان الفرزدق يعيره بهم وقد اتفقوا على أن الفرزدق اشرف وأحق بالفخر لعلو نسبه وحسبه ولكن المعروف أن جريراً فضله في كثير من المواقف .

ثم يقول أن حاله قد تنقل عهدها ،ولكن ليس إلى الأحسن كما فعل الدهر مع الشاعر مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني الذي كان خاملاً فولاه بنو سهل بريد جرجان فشرف وعلا ذكره وفى البيت الأخير يشكو من سرعة لحاق الخطوب به.

ولابن شرف أبيات أخرى في الشكوى يشكو فيها هجر الأحبة وبعدهم عنه فيقول : (١)

أهل الصفاء نأيتم بعد قربكم فما انتفعت بعيش بعدكم صافي

وقد قصدت ندى من لا يوافقني فكان سهمي عنه الطائش الهافي

أردت عمراً وشاء الله خارجـة أما كفى الدهر من خلفي وإخلافي

فهؤلاء الأحباب وأهل الصفاء نأوا بعد قرب فلم يطب العيش بعدهم ولم يصفو وقد قصدت ندى من لا يوافقني فطاش سهمي ولم يصب هدفه ثم يذكر في البيت الأخير حادثة مقتل خارجة نائب عمرو بن العاص في مصر، وذلك أن ثلاثة من الخوارج اتفقوا على قتل ثلاثة من المسلمين رأوا أنهم السبب فيما حل بالمسلمين بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) وبعد حادثة التحكيم وهم الإمام علي (كرم الله وجهه) ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص (رضي الله عنهما) ، فكان الذي أراد قتل عمرو بن العاص أن قتل خارجة ظناً منه أنه عمرو بن العاص .

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٧٤) .

وقد خلد الشاعر عبد المجيد بن عبدون هذه الحادثة في قصيدته في رثاء دولة بنى الأفطس حكام مدينة بطليوس في الأندلس ،وهى القصيدة التي يقول في مطلعها :[1]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر　　　فما البكاء على الأشباح والصور

ومنها قوله : [2]

وخضبت شيب عثمان دماً وخطت　　　إلى الزبير ولم تستحي من عمر
ولا رعت لأبى اليقظان صحبتـه　　　ولم تزوده إلا الضيح في الغمر
وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن　　　وأمكنت من حسين راحتي شمر
وليتها إذا فدت عمراً بخارجـة　　　فدت علياً بمن شاءت من البشر

ومن الشعراء الذين قالوا شعراً في الشكوى الشاعر الأمير تميم بن المعز بن باديس يقول شاكياً الدهر وتقلبه : [3]

يا دهر ما أقسـاك من متلـون في حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا وعلى اللبيب الحر سيفاً مرهفاً
وإذا صفوت كدرت شيمة باخل　　　وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن كرمت لأننـي أدرى بأنك لا تدوم على الصفا

---

(١) المطرب في أشعار أهل المغرب – تأليف ابن دحية – حققه مصطفى عوض الكريم – مطبعة مصر – الخرطوم – ط (١) – ١٩٥٤م – ص (٣٣) .
(٢) نفسه – ص (٣٤).
(٣) البلاط الأدبي – ص (٢١٧) .

وقد أكثر الشاعر على بن عبد الغني الحصري الشكوى ، وذلك لما أصابه من فقد لأبنائه يقول شاكياً: [1]

دهر حوادثه شتى الأحاديثفاسمع بما شئت عن نوح وعن شيث
وسل عن ابني التراب البكر كيف هوى فأصبحت قوة فيه لتنكيث
تغرنا دارنا الدنيا يزخرفها ونحن في طلب للموت محثوث

ويقول شاكياً في قصيدة أخرى في رثاء ابنه عبد الغنى : [2]

يا قمري من قمرك حسنك حتى غيرك
يا غصني الغض الجني ما كان أشهى ثمرك

ثم يقول شاكياً : [3]

هذا أبوك المبتلى يشكو ويبكى أثرك
فانظر ولو واحدة إليه وارجع بصرك

وله كذلك : [4]

أيها المفرد الشجي عاتب الدهر واشكه
إن بين الحبيب قد عاقك اليوم وشكه

---

(١) اقتراح القريح – ص (٢٨٩) .
(٢) نفسه – ص (٣٢٩) .
(٣) نفسه – ص (٣٣٠) .
(٤) نفسه – ص (٣٥٨) .

ويقول شاكياً بعد فقده لابنه وبعد أن أصبح وحيداً : [١]

من مجيري ومصرخي قد هوى كل ابلخ[٢]
أنا فرد بلا خليل ولا ابن ولا أخ
أنا كالأوراق اشتكى فقد ألف وأفرخ[٣]
أنا كالزرع والعدا كالجراد المصوخ[٤]
أنا أبكى بنضح وسأبكى بنضخ[٥]
عظة الدهر والردى أسمعت كل أطلخ[٦]

وهكذا يستمر شاكياً وباكياً لابنه حتى نهاية القصيدة ، ويرى الباحث في خاتمة هذا المبحث أن شعر الشكوى ازدهر في القرن ، وذلك لأسباب منها المصائب التي ألمت بأهل المغرب ، وخاصة أهل مدينة القيروان الذين تفرقوا عنها ، وهاجروا عنها ومع ما وجوده من حفاوة ، وكرم استقبال كانوا دائمي الشكوى إذ لم ينسوا أوطانهم.

ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا أن ابن شرف ،وعلى بن عبد الغني أكثر الشعراء تناولاً لهذا النوع ، وذلك للمصائب التي ألمت بهما .

---

(١) اقتراح القريح – ص (٣٥٨) .

(٢) مجيري : مغيثي ، الأبلخ : الأحمق المتكبر .

(٣) الأورق : ذكر الورقاء .

(٤) المصوخ : النازل في الأرض بأذنابه لردم بيضه .

(٥) بنضخ : من نضخ الماء واشتد فورانه من ينبوعه .

(٦) الأطلخ : الأصم الذي لا يسمع .

المبحث الخامس

اتجاه الفخر

يقول ابن رشيق في المديح : (الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقوته ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار) . (١)

والفخر من الأغراض القديمة في الشعر إذ تناوله الشعراء في العصور السابقة لهذا العصر بدءاً بالعصر الجاهلي ، ثم الإسلامي ، ثم الأموي وحتى العصر العباسي

ومن الشعراء الذين تناولوا الفخر في شعرهم عنترة ابن شداد الذي يقول مفتخراً ومخاطباً ابنة عمه عبلة : (٢)

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

إذ لا أزال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم

طوراً يجرد للطعان وتارة يأوي إلى حصد القسي عرمرم

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هرباً ولا مستسلم

جادت له كفى بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم

ويقول عمرو بن كلثوم مفتخراً : (٣)

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نطبش قادرينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطام لنا صبي تجر له الجبابر ساجدينا

---

(١) العمدة – ج (١) – ص (١٤٣) .

(٢) ديوان عنترة – دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م – ص (٢٥ – ٢٦) .

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم – ص (٩٠ – ٩١)

وقد تطور شعر الفخر في العصور اللاحقة ،ولم يقتصر على الفخر بالشجاعة والبطولة وبالقبيلة بل امتد ليشمل الفخر بالدين الإسلامي وبالأمة وأمجادها وما شابه ذلك .

وإذا صلنا إلى القرن الخامس الهجري في المغرب العربي نجد الشعراء تناولوا الفخر في شعرهم .

يقول على بن أبي الرجال مفتخراً بقومه من بنى شيبان : [١]

يا آل شيبان لا غارت نجومكم ولا خبت ناركم بعد توقيد

أنتم دعائم هذا الملك مذ ركضت فيه الخيول لإبرام وتوكيد

المنعمون إذا ما أزمة أزمتالواهبون عتيقان المزاويد

سيوفكم أفقدت كسرى مرازبهفي يوم ذي قار إذ جاءوا لموعود

وقال ابن رشيق معلقاً على هذه الأبيات : (وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل). [٢]

وعلى بن أبى الرجال يفتخر بقومه من بنى شيبان ، ويدعو لهم بالا تغير نجومهم ولا تخبوا نارهم ، بل تظل موقدة يفد الناس إليهم فيكرمونهم فيقول لهم انتم دعائم هذا الملك يعنى ذلك ملك المعز بن باديس وانتم الذين تنعمون على الناس عند الأزمان وتهبون أنفس ما عندكم ثم إن سيوفهم هي التي هزمت كسرى ، وهو في ذلك بشير إلى موقعة ذي قار التي كانت بين العرب والفرس ، وفيها كان النصر حليف العرب ، وكان بنو شيبان يتقدمون العرب وعليهم فارسهم المشهور هانئ بن قبيصة الشيباني . [٣]

ويقول أبو طاهر التجيبى مفتخراً بعلو همته : [٤]

---

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٤٨ – ٢٤٩) .

(٢) العمدة ج (٢) – ص (١٤٦) .

(٣) انظر النثر في العصر الجاهلي – د. هاشم صالح مناع – دار الفكر العربي – بيروت – ط (١١) – ١٩٩٣م – ص (٦٥).

(٤) البلاط الأدبي – ص (١٤٩) .

إلى كم أقر النفس في المرتع المحلوأقنع من جد المكاسب بالهزل

أكلف أقلامي مدى متماحلاً ولم أعتمل مهري ورمحي ولا نصلى

ومن كلف الأقلام لا البيض همه أقمن به بين المذلة والقل

وقائلة فارق سكونك واغترب فما الرزق إلا بالترحل والحل

علام تجشمت المشقة طالباً علوم ذوي الآداب في الحزن والسهل

إذا لم تنل بالعلم مالا ولا علا ولا جانباً للأجر فالعلم كالجهل

فقلت لها : منيت نفسك ضلة وعلة ما منيتها قلة العقل

امثلي يبغي الرزق من غير ربه وذو العرش رازق الورى واسع الفضل

جريت على آثار أسرتي الأولى شأوا في مدى العلياء بالقول والفعل

ولا خير في فرع إذا طاب أصله ولم يك ذا طيب يدل على الأصل

فهو يرى نفسه بكتاباته وأدبه قد أقام في المرتع المجدب ، إذ الأقلام لا تعود على صاحبها بحياة رافهة ، إنما يعود عليه بذلك سلاحه ، ويقول إن من كانت الأقلام لا السيوف مدى همه في الحياة ، أقام فيها بين الذل والفقر ، وإنه حرى به أن يحمل سيفه حتى يعد من الأبطال الشجعان ويعيش عيشة جديرة به .

وفي الفخر يقول أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي(١) : (٢)

أعددت للدهر إن أردت حوادثه عزماً يحل عليه كل ما عقدا

وصارماً تتخطى العين هزته كأنما ارتاع من حديه فارتعدا

وذابلاً توضح العليا ذبالته كأنها نجم سعد لاح منفردا

ونثرة ليس للريح المضيّ بها إلا كما عرضت للنهى فاطردا

وهو يقول إنه أعد للدهر حين تنزل به حوادثه عزما يحل كل شدائده ، وسيفاً قاطعاً تتخطى هزته العيون ، وكأنما أخذه وجل من حديه القاطعين فارتعد ، ورمحا يوضح

---

(١) قال عنه ابن بسام : (إمام البلغاء وزمام الشعراء مؤلف دفاتر ، ومصنف جواهر ، ومقلد دواويم ، ومعتمد سلاطين ، وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه) – (الخريدة – قسم شعراء المغرب – ص ٧٢) .

(٢) تاريخ الأدب العربي – (٩) – ص (٣٨٥) .

العلياء حده القاطع ، وكأنه نجم سعد يكتب له دائماً النصر والظفر ، ودرعاً تشبه طياتها موجات الغدير حين تحركها الرياح .

ويقول مفتخراً كذلك : (١)

سل الليل عني هل أنام إذا سجى ... وهل مل جنبي مضجعي ومكاني

على أنني جلد إذا الضر مسني ... صبور على ما نابني وعراني

وهو يقول لصاحبه : سل الليل عني فاني دائما يقظ ودائما يجفو جنبي المضجع والمكان ، وإنني لجلد احتمل كل ضر يمسني صبور على كل ما ينوبني ، احتمل من ذلك ما لا يطاق وما يطاق حتى يأتي الله بالفرج .

ويقول الأمير تميم بن المعز بن باديس محمساً ومفتخراً : (٢)

بكر الخيل دامية النحور ... وقرع الهام يالقضب الذكور

لاقتحمنها حربا عوانا ... يشيب لهولها رأس الكبير

فإما الملك في شرف وعز ... على التاج في أعلى السرير

وإما الموت بين ظبا العوالي ... فلست بخالد أبد الدهور

يقول الأمير تميم بعد أن دهمه الأعراب من بني هلال وسليم ، إنه سيظل يدفع الخيل في موقعة بعد موقعة ، وقد تلطخت نحورها وصدورها بدماء الأعداء ، وسيظل يضرب في رؤوسهم وأعناقهم بالسيوف الحادة ، مشعلا مع أعدائه حروباً ضارية ، يشيب لهولها كل من يراها ، ويقول إنه لن يغادر ساحة هذا الشرف والعز ، فإما يحمي التاج على رأسه ويصونه ، وإما الموت الزؤام بين الرماح والسيوف .

ويقول علي بن عبد الغني الحصري مفتخرا بقومه من قبيلة فهر (٣) الذين ينعتهم بالأشراف فيخاطب ابنه قائلاً : (٤)

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٩) – ص (٣٨٥) .

(٢) نفسه ص (٢٤٢) .

(٣) فهر قبيلة عربية من قريش سميت باسم فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أحد أجداد النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان لرجال هذه القبيلة فضل عظيم على الإسلام والمسلمين ومن قوادهم المشهورين عقبة بن نافع الفهري مؤسس مدينة القيروان .

(٤) اقتراح القريح – ص (١٩ – ٢٠) .

أقرة أعين الأشراف فهر وجدك منهم المحض الصريح

ويقول :

يا طفل فهر لا عزاء لهم إن كنت في أشرافهم لفتى

حجب التباعد عنك أعينهم لكن إليك قلوبهم لفتا

وهم فوق شرفهم أهل المجد والمعالي ، ورثوا ذلك عن أصول راسخة في القدم ، وأضافوا لتليدهم كل طريف :

أصول على الأيام منك بواحد نمته فروع للعلى وأصول

وهم غطارفة فرسان وأسود شجعان :

وكان سراج قوم هم فويق سروجهم سرج

وخلاصة القول : إن الشعر الوجداني تطور وازدهر عند شعراء القرن الخامس في المغرب العربي ، وان كان هذا التطور والازدهار يختلف من اتجاه إلى آخر ، وقد وجد الباحث أن التغزل بالمرأة أكثر نوع تناوله الشعراء ، ويرجع ذلك إلى الطبيعة الفطرية التي جعلت الرجل يميل إلى المرأة ، وكذلك جعلت المرأة تميل إلى الرجل وتحبه . لذا تناول هذا النوع من الشعر معظم الشعراء ، وخاصة الكبار منهم أمثال ابن رشيق ، وابن شرف والحصري وغيرهم .

أما النوع الثاني من الغزل ، وهو التغزل بالغلمان ، فهذا النوع قليل مقارنة مع التغزل بالمرأة أو مقارنته مع شعراء المشرق العربي ، ولعل السبب في ذلك طبيعة المجتمع المغربي المحافظ الذي لم يتأثر بالآفات التي أصابت المجتمع المشرقي ، كما أن النماذج التي وقف عليها الباحث تدل على أن الشعراء لم يفحشوا في التغزل بالغلمان وذلك راجع إلى أنهم لم يتناولوا هذا الغزل في أشعارهم إلا محاكاة للمشارقة .

أما شعر المجون والخمر فهما قريبان من التغزل بالغلمان في قلة نماذجهما وذلك راجع إلى الأسباب التي أوردها الباحث سابقا .

وبجانب ذلك نرى أن شعر الشوق والحنين تطور وازدهر في هذا القرن ، ومرد ذلك كما يرى الباحث إلى المشاكل التي أصابت المجتمع المغربي في هذا القرن ، من حروب وغيرها ، مما جعل بعض الشعراء يرحلون عن أوطانهم ولكنهم كانوا دائمي الحنين إلى ديارهم الأمر الذي أدى إلى ازدهار شعر الشوق والحنين وكذا شعر الشكوى.

أما شعر الفخر فهو أيضاً قليل مقارنة مع الأغراض الأخرى .

الفصل الرابع

القضايا الشكلية

المبحث الاول: بنـــــاء القصيـــــــدة

المبحث الثانى: اللغــــــة والاسلـــــوب

المبحث الثالث: الموسيقى والاوزان والقوافى

المبحث الرابع : الصـــــورة الفنيـــــة

المبحث الخامس: لـــــــزوم مالايلــــــزم

المبحث الأول
بنـاء القصيـدة

وجد بناء القصيدة العربية اهتماماً كبيراً من الأدباء والنقاد الذين وقفوا عند مطلعها ثم وقفوا عند الانتقال والتخلص إلى الغرض الذي يريده الشاعر ، كما وقفوا عند خاتمتها ، وأخيراً تحدثوا عن الوحدة العضوية للقصيدة ، ومن ثم سيتناول الباحث في هذا المبحث هذه الأشياء التي وردت سابقاً وهي مطلع القصيدة ثم التخلص والخروج إلى الغرض الأساسي للقصيدة ، وتأتي بعد ذلك خاتمة القصيدة ثم الوحدة العضوية .

أولاً : مطلع القصيدة :

اهتم نقاد العرب بمطلع القصيدة اهتماماً كبيراً ، فطالبوا الشعراء أن يبذلوا غاية الجهد في إجادته وإتقانه ، علماً منهم بقوة الأثر الأول في النفس ، وأنه يدفع السامع إلى التنبه والإصغاء ، إن كان جيداً آسراً ، وإلى الفتور والانصراف إن كان ضعيفاً فاتراً .[١]

يقول ابن رشيق عن جودة المطلع : (حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطيه النجاح ، ولطافة الخروج إلى المديح بسبب ارتياح الممدوح وخاتمة الكلام أبقي في السمع ، وألصق بالنفس لقرب العهد بها) . [٢]

وكان النقاد حريصين علي جودة المطلع ، لأنه أول ما يطرق السمع من الكلام ويكون له أثر في نفس سامعه وفي ذلك يقول ابن الأثير : (فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعني توافرت الدواعي علي استماعه) .[٣]

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب – د. أحمد بدوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – دار القاهرة – ص (٢٩٧) .

(٢) العمدة ج (١) ، ص٢١٧

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين بن الأثير – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – الناشر مصطفي اليأس الحلبي – مصر – طبعة ١٩٣٩م – ج (٢) – ص (٢٣٧) .

ويدعو أبو هلال العسكري لتجويد المطلع حتي لا يكون مدعاة لتطير وتشاؤم السامع فيقول : (ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله ، مما يطير منه ، ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ، ووصف أقفار الديار وتشتيت الألاف ، ونعي الشباب وذم الزمان لاسيما في القصائد في تتضمن المدائح والتهاني) . (١)

وللشعراء العرب مذهبان في مطالع قصائدهم : الأول الابتداء بالغزل والنسيب ، وذكر الديار والدمن ، وقد أشار ابن قتيبة إلى ذلك بقوله : (سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مطلع القصيدة ، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكي وشكي وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين فيها) (٢) .

وأما الثاني فيكون مباشرة دون اللجوء إلى المقدمات التي وجدت عند أصحاب المذهب الأول .

وإذا نظرنا إلى مطالع القصائد عند شعراء القرن الخامس في المغرب العربي نجد الشعراء لا يخرجون عما كان عليه أسلافهم إذ كانوا كثيراً ما يبدءون قصائدهم بالغزل والنسيب والتشبيب ، وأحيانا بذكر الخمر والدعوة إليها وفي أحاين أخري كانوا يهجمون علي موضوعاتهم مباشرة دون اللجوء إلى مقدمات .

وقصيدة المدح تستهل غالباً بمقدمة تقليدية يتوصل بها الشاعر إلى غرضه الرئيس ولم تكن هذه المقدمات تسير علي وتيرة واحدة أو تلتزم أسلوبا واحدا ، فمن قصائد المدح التي بدأت بالغزل قصيدة للحصري القيرواني بمدح فيها علي بن مجاهد العامري . (٣)

---

(١) الصناعتين / أبو هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم – الناشر عيسي الحلبي ، طبعه ١٩٥٢م – ص ٤٣١

(٢) الشعر والشعراء – تصنيف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – طبعة ١٩٨٤م – ص (٢٧) .

(٣) ديوان المتفرقات – ص (١١٧ – ١١٨) .

ظمئت ومنهل المدامع منهلي ولا حوم لي إلا على ورد حومل
علي سلسل من ذي غروب وان غدت مغاني القوافي كالرداء المسلسل
فيا نعم وافاك النعيم فأنعمي ويا جمل والاك الجمال فأجملي
بلغت لربات الخدور بما جني فم الصب من ورد الخدود المقبل
وما صام من خصير لهن مخفف وأفطر من ردف لهن مثقل

وهكذا يستمر الشاعر في هذا الغزل حتي يتخلص إلى موضوعه الأصلي وهو المدح .

ويقول ابن شرف القيرواني مادحاً أبا عبد الرحمن بن طاهر أمير مرسية ويبدأ بهذه المقدمة التقليدية : (١)

وعاجوا علي عسفان والليل أليل وهزوا بذات البين والصبح مسفر
وجازتهم حزوي ضحي وتروحوا بمنعج واستعلوا أبانا فنوروا
ولما توافقنا بذي سلم بدا سلام لسلمي ظل يخفي ويظهر
شعرت له والركب حيران غافل وما شاعر أمراً كمن ليس بشعر
رأت ظبية الوعساء عيني فهيجت لها ذكرهم والشيء بالشيء يذكر
سأبكي طلولاً كنت فيها مطلة عليها وكل الليل تحتك مقمر

وتدل هذه الأبيات علي أن صاحبها قد التزم النهج التقليدي في قصيدة المدح أو المذهب الأول الذي يبدو واضحاً في الأبيات .

ومن قصائد المدح التي بدأها صاحبها بالغزل ثم انتقل بعد ذلك إلى المدح قصيدة الشاعر علي بن يوسف التونسي (٢) ، قال يمدح المنصور ابن محمد أبي العرب ويستهديه فرساً ومركباً وكسوة : (٣)

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٥٢) .

(٢) التونسي أصله من تونس وتأدبه بالقيروان ، قال عنه ابن رشيق : (وكان قادراً قوي الكلام جيد الرصف بعبد المرمى وكان مخصوصاً ببني أبي العرب محظوظاً عندهم وفيهم عامة شعره – الأنموذج – ص ٢٣٩).

(٣) الأنموذج – ص (٢٤٣) .

أقام قلبك بعد الحي أم ظعناه　　في الظاعنين الالي كانوا لناسكنا[١]

لله در النوى ماذا به ظفرت　　عيني وان لم تذق من بعدهم وسنا[٢]

ساروا فمن قمر بدر ولا قمر　　موف علي غصن لدن ولا غصنا

ورفعت كلل الإحراج عن نفر　　إنسية لطفت حسناً ومحتضنا

عنت لهن نوي لم يدرعن لها　　صبراً كذي حال من لم يعرف الشجنا

يا ليت شعري يحيا بعد بيئهم　　قلبي فواحزنا إن لم أمت حزنا

هيهات اقصر ذاك الوهم وانحسرت　　تلك المني وارعوي ظن الذي ظننا

بلي تفسح بالمنصور من عطن　　ما ضاف بي وأعاد الدهر ما احتجنا

بماجد لم يغض ماء السماحة من　　بنانه الغض في وقت ولا أسنا[٣]

والشاعر بعد هذه المقدمة الطويلة يتخلص إلى المدح ولا شك أنه تقليد سار عليه شعراء المغرب في هذه الفترة .

ويقول التراب السوسي في مدح جبارة بن كامل حاكم سوسة مستهلا بمقدمة تقليدية [٤] :

سلم على ذي سلم　　مغنى الهوى المستنغم

وقف بها مسائلا　　عن ساكن والخيم

واستمطر العين بها　　صوب دموع ودم

ثم يقول في جزء آخر منها :

كأنني بالوصل من أحبتي لم أنعم

ولم أبت ريان من رشف عقار المبسم

في ليلتين ليلة وليل شعر أسحم

وبين رمان النهو　　د الأرج المكرم

---

(١) أقام : إستقر ، ظعن : رحل ، والظاعنون المسافرون .

(٢) النوى : البعد ، الوسن : النعاس .

(٣) يغض : يجف ، الغض : اللين الندي والمراد هنا الكرم .

(٤) الحلل السندسية – ج (١) – ق (٢) – ص (٣١١ – ٣١٣) .

في فرش وثيرة لم تفرش للحرم

حين تولى الليل في خمسه المنهزم

وأقبل الصباح في محفلة العرمرم

كأنه لما بدا يشرق تحت الظلم

وجه الأمير بن الأمير والأكرم بن الأكرم

جبارة بن كامل سيف الندا والكرم

ونلاحظ أن الشاعر قد بدأ مطلع قصيدته بداية تقليدية بالغزل كما ذكر بعض الأماكن التي تدل على تقليده مثل (ذي سلم) . ثم نلاحظ أنه أجاد التخلص والخروج في الانتقال من الغزل إلى المدح .

وكما بدأ الشعراء قصائدهم بالغزل إن كانت في المدح أو في غيره فأحياناً يبدءون بالخمر كهذه الأبيات لابن رشيق ،وقد بدأها بالخمر يقول في مطلعها : (١)

قدر المدامة فوق قدر الماء فارغب بكأسك عن سوي الأكفاء(٢)

وبجانب المطالع السابقة أي التي كان أصحابها يبدءونها بالغزل والنسيب فقد كانوا أحيانا يهجمون علي الموضوع مباشرة دون اللجوء إلى المقدمات ونجد ذلك كثيراً في قصائد الرثاء أو قصائد الشوق والحنين فالحصري كثيراً ما نجده في ديوان اقتراح القريح يدخل في الرثاء مباشرة دون اللجوء إلى المقدمات ودافعه ما يحس به من الم وحزن يجعله يبدأ موضوعه مباشرة . يقول الحصري في مطلع إحدى مراثيه : (٣)

ضمك قبر سقاه دمعي وليته ضمنا جميعا

عشت ولو مت يوم ولي فلست قبل المدى صريعا

عجبت في ذا المصاب ممن أصيب في نفسه فريعا

ويقول في صدر أخري : (٤)

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٣٥) .

(٢) المدامة : الخمر ، رغب عن الشيء : تركه متعمدا أو زهد فيه ، ورغب بنفسه عن الشيء ترفع عنه ، الأكفاء : جمع كفء وهو المماثل .

(٣) اقتراح القريح – ص (٢٧٨ – ٢٧٩) .

(٤) نفسه – ص (٤٦٢) .

جنات عدن حللت فيها أفلحت فليهنك الفلاح

حللت فيها محل بر حلية أعماله الصلاح

حيتك ولدانها وقالت بشراك روح بها وراح

حبيب النفس أي رزء أتاح لي حينك المتاح

ويقول ابن شرف القيرواني راثياً مدينة القيروان :

يا قيروان وددت أني طائر فأراك رؤية باحث متأمل

آه وأية آهة نشفي جوي قلب نيران الصبابة مصطلي

وله كذلك راثياً لها وواصفاً للخراب الذي أصابها :

كأن الديار الخاليات عرائس كواسد قد أزرت بهن الضرائر

وتنكير بقياها الأسرة حسراً عواطل لا تفشي لهن السرائر

إذا اقبل الليل البهيم تمكنت بها وحشة منها القلوب نوافر

وقد حظيت بعض مطالع قصائدهم بالجودة كتلك القصائد التي يبدؤنها بحكم صائبة مثل قول ابن رشيق في مطلع قصيدة له في رثاء المعز بن باديس :

لكل حي وان طال المدى هلك لا عز مملكة يبقي ولا ملك

ولاشك أن هذا مطلع صائب لان الشاعر يرثي ويريد أن يثبت للجميع بان الموت حق وانه واقع مهما طال عمر الإنسان ولن تبقي المالك ولن يخلد الملوك .

وللحصري علي بن عبد الغني قصائد حظيت بجودة مطالعها كقوله في مطلع مرثية له للقيروان ويتشوق فيها ويحن إليها :

موت الكرام حياة في مواطنهم فان هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا

ولاشك أن هذا مطلع يدل علي الحالة النفسية التي يعانيها الشاعر بعد أن خرج من مدينته مغتربا عنها وقد أصابها الدمار والخراب فهو يحس الآم الغربة بعيداً عنها وفي نفس الوقت يتحسر لما أصابها .

ثانياً : التخلص والخروج :

المقصود بحسن التخلص هو حسن الانتقال من غرض شعري إلى غرض شعري آخر ، بلطف مع رعاية المواءمة بين الغرضين بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الممازجة والانسجام . (١)

وكما اهتم النقاد بمطلع القصيدة باعتباره أول ما يقرع السمع فقد اهتموا بحسن التخلص ، والخروج من المطلع ،أو المقدمة إلى الغرض الذي من اجله قيلت القصيدة ودافعهم في ذلك أن القصيدة لابد أن تكون متماسكة الأجزاء ، لأن القصيدة عند بعض النقاد القدامى لا تكون عملاً أدبياً متكاملاً إلا إذا ترابطت أفكارها .

يقول ابن رشيق عن حسن الخروج مفرقاً بينه وبين الاستطراد : (وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به ،لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه) . (٢)

وعند الوقوف علي شعر القرن الخامس في المغرب العربي نجد الشعراء قد أجادوا التخلص والخروج في بعض قصائدهم ، ويدل علي ذلك عدد من الشواهد منها أنموذج التراب السوسي الذي مر سابقا.ومن أمثلتها قول ابن شرف القيرواني مادحاً علي بن أبي الرجال : (٣)

رسم الشجي البكا في الرسم والطلل والدمع حيلة أهل الفقد للحيل(٤)
افني دموعي وجسمي طول هجركم حتي جرت دمعتي طلا علي طلل
ابكي فلا جسدي ابقي ولا جلدي مالو أصيب به جسم البلى لبلى(٥)
وحسن صبري فلا يغررك عن ضرر مثل الملاحة في أجفان ذي السبل (٦)

---

(١) قضايا النقد الأدبي – تأليف د. محمد ربيع – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – الطبعة الأولى ١٩٩٠ م – ص (٧٤) .

(٢) العمدة – ج (١) – ص (٢٣٤) .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (٨٤) .

(٤) الرسم : الأثر العلامة ، الشجي : الحزين ، والرسم ما كان لاصقاً بالأرض ، من آثار الديار

(٥) الجلد : الصلابة القوة ، والبلى : الفقر والهلاك

(٦) السبل : داء في العين يشبه الغشاوة ، وكأنه نسج العنكبوت

وبعد هذه المقدمة الحزينة المبكية يتخلص الشاعر إلى مدح شيخه علي بن أبي الرجال فيقول :

جاور علياً ولا تحفل بحادثة إذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل

اسم حكاه لنا المسمى في الفعال وقد حاز العليين من قول ومن عمل

فالسيد الماجد الحر الكريم له كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

وإذا كان ابن رشيق قد تحدث عن التخلص والخروج في كتابه العمدة – كما رأينا – وتحدث عن مذاهب الشعراء ، وساق لهم عدداً من الشواهد ، فقد يتساءل المرء هل طبق ذلك في شعره ، ويري الباحث أن ابن رشيق طبق ذلك في شعره وذلك مثل قوله في قصيدة صنعها بديهة بالمهدية ساعة وصول الملك المعز بن باديس إليها فقال في ذلك [(١)]:

وذيال له رجل طحون لما نزلت به ويد زجوج[(٢)] يطير بأربع لا عيب فيها لظهران الصفا منها عجيج[(٣)]

خرجت به عن الأوهام سبقاً وقل عن الوهم الخروج

يتحدث ابن رشيق عن جواد وصفه بأنه طويل الذيل له أرجل قوية صلبة فإذا خطا برجليه طحن كل ما يدوسه وله أيضا ساقان طويلتان تساعدانه علي زيادة السرعة ثم يقول لشدة سرعته تحسبه يطير فتسمع من أثر ضربه الحجارة بحوافره صوتاً وجلبة ثم يقول إن سرعته فوق التصور والتخيل وأبلغ من الأوهام .

وبعد هذه المقدمة في وصف فرسه يتخلص إلى مدح المعز بن باديس إذ يقول انه يمشي بهذا الفرس بخطوات أكيدة واثقة إلى الملك المعز فلا يحيد عن هدفه ومقصوده فيقول في ذلك : [(٤)]

إلى الملك المعز أبي تميم أمر بمن سواه فلا أعيج

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٥٤ – ٥٥) .

(٢) الذيال : الطويل الذيل والمتبختر في مشيه ، الطحون : الطحان والكتيبة العظيمة التي تطحن كل شيء .

(٣) عج عجاً وعجيجاً : رفع صوته وصاح ، وعاج عن الأمر انصرف عنه .

(٤) ديوان ابن رشيق – ص (٥٥) .

ومن القصائد التي تدل علي حسن براعة شعراء المغرب في التخلص والخروج إلى الغرض الأصلي هذه الأبيات التي مدح ابن شرف القيرواني وزير دولة بني جهور إبراهيم بن يحيى : [١]

سقي القصر فالميدان أخلاف مزنة وراحت علي الدوحاء منها افاويق

علي انه مرمي نبت عنه أسهمي فلا حد ليّ في الأفق منه ولا فوق

أناديه والبحر المحيط مجاوبي ودوني خليج منه افيح محروق

وقرطبة ضمت إليها جوانحي كما ضم من عفراء عروة تعنيق

نزلنا بها لا نبغي السوق عندما فما كان بد أن أقيمت لنا سوق

ثم يتخلص بعد ذلك إلى مدح إبراهيم بن يحيي المعروف بابن السقاء وزير الدولة الجمهورية فيقول :

وأحيا ابن يحيي ميتات خواطري وفسخ أمالي وكان بها ضيق

أبا حسن أحسنت بدءاً وعودة وللغصن أثمار إذا كان توريق

فلم ير بؤس إذ وليت أمورها ولا كسدت سوق إذا التفت السوق(٢)

وكم لقيت حرب الأزاريق منهم وكم رزقت في جانبيها المزاريق (٣)

والملاحظ أن شعراء المغرب في القرن الخامس قد أحسنوا التخلص والخروج والانتقال من غرض إلى غرض دون أن يؤدي ذلك إلى خلل في ترتيب أفكاره القصيرة فامتازت القصيدة عندهم بوحدة الفكرة وسلامة النسيج .

---

(١) ابن رشيق – ص (٧٥ – ٧٦) .

(٢) السوق الأولي التجارية والثانية الساق وهي القدم .

(٣) الأزارقة : جماعة من الخوارج ينسبون إلى نافع بن الازارق ، والمزاريق جمع مزراق وهو الرمح القصير ، وزرق : طعن أو رمى .

ثالثاً : خاتمة القصيدة :

لم تخل خاتمة القصيدة من نظر النقاد إليها والاهتمام بها فقد اهتموا بها مثل اهتمامهم بالابتداء وحسن التخلص ، وذلك لان خاتمة القصيدة هي آخر ما يبقي في الأذن ومن ثم لابد أن تكون خاتمة القصيدة جيدة تبقي في الأسماع أكبر فترة ممكنة .

يقول ابن رشيق عن خاتمة القصيدة وانتهائها : (وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقي منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً : لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون آخره قفلاً عليه) .[١]

ومن القصائد التي حظيت بخاتمة جيدة عند شعراء المغرب في القرن الخامس الهجري قول الحصري في نهاية قصيدته ليل الصبَّ : [٢]

ما أجود شعري في خبب والشعر قليل جيده

لولاك تساوي بهرجه في سوق الصرف وعسجده

ولضاع الشعر لذي أدب أو ينقضه من ينقده

فعليك سلام الله متي غني بالأيك مغرده

ولعل الملاحظ علي الأبيات أنها تدل فعلاً علي خاتمة القصيدة إذا لا مجال للزيادة عليها.

ومن قصائد ابن شرف التي تميزت بحسن الختام قصيدته التي رثي بها مدينة القيروان والتي يقول في مطلعها :

كأن الديار الخاليات عرائس كواسد قد أزرت بهن الضرائر

ثم يقول في خاتمتها بعد أن تحدث عن الدمار الذي أصابها :

---

(١) العمدة – ج (١) – ص (٢٣٩) .

(٢)أبو الحسن الحصري – ص (١٤٩) .

فيا ليت شعري القيروان مواطني   أعائدة فيها الليالي القصائر؟
ويا روحتي بالقيروان وبكرتي   أراجعة روحاتها والبواكر
كأن لم تكن أيامنا فيك طلقة   وأوجه أيام السرور سوافر
كأن لم يكن كل ولا كان بعضه   سيمضي به عصر ويمضي المعاصر

ويقول علي بن عبد الغني الحصري في خاتمة أبيات رثي بها أباه : [1]

سقي الله عيني من تعمد وقفه   بقبرك فاستقى له وترحماً
وقال سلام والثواب جزاء من   ألم علي قبر الغريب فسلما

ويقول في خاتمة قصيدته في رثاء ابنه عبد الغني ومطلعها قوله :

ضمك قبر سقاه دمعي   وليته ضمنا جميعا

ويختمها بقوله : [2]

عسي الرؤوف الرحيم يعفو   عني إذا كنت لي شفيعا
عليك مني السلام كم ذا الـ   مغيب هل تذكر الرجوعا
عد واسأل الله قبض روحي   ليجعل الملتقي سريعا

ومن الملاحظ علي خواتيم القصائد عند شعراء المغرب في القرن الخامس الهجري غالباً ما تختم بحكمة صائبة تدل علي تمكن صاحبها ، وكثيراً ما نجد ذلك في قصائد الرثاء .

---

(١) أبو الحسن الحصري – ص (١٢٩) .
(٢) اقتراح القريح – ص (٤٧٩) .

رابعاً : الوحدة الشعورية :

تحدث النقاد وخاصة المحدثين منهم عن الوحدة الموضوعية وعدوها عنصراً مهماً في العمل الأدبي ، يقول الدكتور عبد الله الطيب : (إن القصيدة العربية شكلاً وهيكلاً ذات وحدة تامة مصدرها إطار موسيقي النسق ، ونفس حار ينبعث منه الإطار الموسيقي ، حتي يكون مفتاح التعبير له وسيلة تأتيه البيان).[١]

ويقول الجاحظ : (أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد افرغ إفراغا واحداً وسبك سبكا واحداً ، فهو يجري علي اللسان كما يجري الدهان ، كذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقه ملساً ولينه المعاطف سهلة ونراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستتكرة تشق علي اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة متوانية سلسة النظام ، خفيفة علي اللسان ، حتي كان البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد).[٢]

وقد حظيت بعض قصائد شعراء القرن الخامس بالمغرب العربي بنوع من وحدة الشعور ، وخاصة قصائد الرثاء إن كان رثاءاً للمدن أو لأشخاص ، وقد تميز ديوان اقتراح القريح للحصري بهذه الوحدة الشعورية إذ أن معظم قصائده يسودها شعور واحد

---

[١] المرشد – ج (٣) – ص (٨٣٥) .
[٢] البيان والتبين – ابو عثمان بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – طبعة ١٩٨٥ م – ص (٦٧)

وهو الحزن كقوله : [1]

بت أخا الحزن فيك وحدي وصحبتي في السرور باتوا

تاهوا فلم يسعدوا بدمع أين المصافاة والمتات[2]

تنكروني وهم ثقاتي وربما خإنت الثقات

تعجبوا من خشوع ليث يرهبه الجمع والثبات

ويستمر الشاعر وبعاطفة حزينة يبكي ابنه وفلذة كبده .

ويقول في قصيدة أخرى:

أفلا أبكي وقد أفلا قمر مني بدا بدلا

كملت زهر البدور وما وما كملت حسناً كما كملا

أجلا ليلي بغرته وخبا مستوفياً أجلا

وكما حظيت قصائده الحصري في ابنه بعاطفة الحزن التي كست معظم قصائده وأضفت عليها لوناً من الوحدة الشعورية ، فقد حظيت كذلك القصائد التي قيلت في رثاء القيروان بنوع من الوحدة ولا سيما في عاطفة الحزن التي اكتستها كقصائد ابن شرف وابن رشيق وكذا الحصري وقد أشار الباحث إلي بعض نماذجها سابقاً .

---

(١) اقتراح القريح – ص (٤٥٩) .

(٢) المتات : القرابة .

ومن القصائد التي اكتسبت نوعاً من الوحدة الموضوعية قصائد الخمريات كقول ابن شرف في خمرية له :

خليل النفس لا تخل الزجاجا إذا بحر الدجى في الجو ماجا

وجاهر في المدامة من يرائي فما فوق البسيطة من يداجي

أمط عنا الكرى والليل ساج ودعنا نلبس الظلماء ساجا

إذا مريخها زاد احمراراً صببنا المشتري فيها مزاجاً

ولا يخفى علينا ما بالأبيات من تسلسل اكسبها هذا النوع من الوحدة الموضوعية .وبجانب الرثاء والخمريات هناك أنواع أخرى من الشعر تميزت بوحدة عضوية كقول ابن رشيق في هذه الأبيات التي يرجو فيها رحمة ربه : (١)

إذا أتى الله يوم الحشر في ظلل وجئ بالأمم الماضين والرسل

وحاسب الخلق من أحصى بقدرته أنفاسهم وتوفاهم إلى أجل

ولم أجد في كتابي غير سيئة تسوءني وعسي الإسلام يسلم ليّ

رجوت رحمة ربي وهي واسعة ورحمة الله أرجي لي من العمل

ويري الباحث في خاتمة القول عن الوحدة الشعورية عند شعراء هذا القرن ، إن كثيراً من القصائد حظيت بوحدة شعورية فكانت تسودها عاطفة واحدة ، مما يدل علي براعة الشعراء في هذه الفترة .

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٢٨)

المبحث الثاني

اللغـــة والأسلـــوب

اللغة والأسلوب هما المكون الأساسي لعناصر القصيدة ومعمارها الفني ، فاللغة وسيلة التعبير الطبيعية عن الأفكار والمعاني . [١]

يقول الدكتور محمد زكي العشماوي عن اللغة : (تعتبر اللغة عنصراً أسياسياً ومهماً في العمل الفني فهي الأداة التي يشكل بها الشاعر فنه ، والمادة التي يخلق منها كائناً حياً ينبض بالحياة) [٢] .

والأسلوب يقصد به الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام ، أو تأليفه لأداة الأفكار ، وعرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني . [٣]

والأسلوب لا يبتعد كثيراً عن الأصل اللغوي فهو لا يزال الطريقة والوجهة والمذهب ولكنه انحصر هذه المرة بصورة عامة فأصبح يعني طريقة التعبير ، ومنحى الرجل في صياغة أدواته ووسائله التعبيرية ، فالوسائل تختلف بين الأديب والموسيقي والرسام فأدوات الموسيقى هي اللحن والنغم ، وأدوات الرسام الألوان والأشكال والظلال ، وأدوات الكاتب الألفاظ والعبارات والتراكيب وبالتالي فإن أسلوب الكاتب – وهو ما نهتم به في هذا المقام – يعني طريقة الصياغة وشكل التعبير ، ووجه نظم الألفاظ والجمل علي نسق معين فهو إذن يتعامل مع الألفاظ والعبارات ، ويتعامل مع اللغة . [٤]

وعند الحديث عن لغة الشعراء في القرن الخامس في المغرب العربي نجد أن لغتهم تميزت بمناسبتها للموضوع الذي يتناولونه فإذا مدحوا ملكاً فإنهم يخلعون عليه الصفات التي تناسبه مثل إقامته للعدل واستقامة الدولة به وأحيانا يصفونه بصفات البطولة والقوة

---

(١) النقد الأدبي – أحمد أمين دار الكتاب العربي – بيروت – طبعة ١٩٦٧م – ص (٧٤) .

(٢) قضايا النقد القديم والحديث – محمد زكي العشماوي – دار العلوم – بدون تاريخ – ص (٩٢) .

(٣) الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية أحمد الشايب – مكتبة النهضة – القاهرة طبعة – ١٩٦٦م – ص (٤٦) .

(٤) دراسات في النقد الأدبي – وليد قصاب – دار العلوم للطباعة والنشر – ط (٢) – ١٩٨٣م – ص (٣٧).

الكرم وكذا إذا مدحوا قائداً من القواد ، أما إذا رثوا فإنهم يستعلمون الألفاظ والعبارات التي تدل علي الأسى والحزن والتحسر وما شابه ذلك وإذا تغزلوا نرى أن لغتهم لانت وسهلت ، فمعني ذلك أنهم يستعملون لكل مقام ما يناسبه.

يقول ابن رشيق مادحاً الأمير تميم بن المعز :

أصح وأقوي ما سمعناه في الندي من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

ولاشك أن الألفاظ والعبارات التي استخدمها الشاعر قد دلت علي مناسبتها للمدوح ومدحه بالكرم .

ويقول علي بن عبد الغني الحصري عن المرابطين :

بنو الحرب غذتهم لبان ثديها وما استعذبوا منهن إلا العلاقما

يحثون للهيجاء جرداً سلاهباً وينضون في البيداء بزلا صلادما

وان طعنوا بالسمهرية خلتهم ضراغم تغري بالقلوب أراقما

وان كر منهم ذو لثام معمم غدا لفم الهيجاء بالسيف لاثما

وواضح أن اللغة التي استخدمها الشاعر تدل علي غرضها فالشاعر يتحدث عن المرابطين وعن قوتهم فاستخدم الألفاظ القوية الدالة علي الحرب مثل قوله : (بنو الحرب ، والعلاقما ، وصلادما) وهكذا كما نراه في الأبيات .

وفي شعر الرثاء كان الشعراء يستخدمون الألفاظ التي تدل علي الأسى والحزن ونلحظ ذلك كثيراً في مراثي علي بن عبد الغني الحصري لأبيه أو لابنه فمن ذلك قوله في رثاء أبيه :

أبي نير الأيام بعدك اظلما وبنيان مجدي يوم مت تهدما

وجسمي الذي أبلاه فقدك إن أكن رحلت به فالقلب عندك خيما

وقى الله عيني من تعمد وقفة بقبرك فاستسقي له وترحما

وقال سلام والثواب جزاء من ألم علي قبر الغريب وسلما

ويقول في مرثية أخرى يرثي بها ابنه : (١)

---

(١) اقتراح القرح – ص (٣٨١) .

مقر العين أسخنها ومسلي النفس أحزنها

نفسي روضة انف ذوت ما كان أحسنها

محاها الله إذ حلي بها الدنيا فزينها

كأني قط لم الثم شقائقها وسوسنها

لقد سلب الزمان يدي من الأعلاق أثمنها

ولعل في أبيات أبي زكريا يحي بن علي الشقراطسي التي رثي بها شيخه أبا محمد بن أبي زيد خير دليل علي استخدامهم للعبارات والألفاظ التي تدل علي الأسى والحزن والأسف علي الفقد الجلل الذي ألم بهم :

خطب ألم فعم السهل والجبلا وحادث جل ينسي الحادث الجللا

ناع نعي ابن أبي زيد فقلت له أشمسنا كسفت أم بدرنا أفلا

أم ماجت الأرض أم رجت بساكنها أم الحمام بعبد الله قد نزلا

رزية عظمت اتراحها أفلا أبكي وهل سلوة والبدر قد أفلا

كل البسيطة بسط الحزن قد بسطت وقبره بسنا أنواره ابتهلا

لا تعجبوا من شجي في تولهه بل اعجبوا لخلي البال كيف خلا

يا عين سحي دماً فالدمع فاض لما أصابني وهمى : سحاً ومنهملاً

ومثل ذلك كثير في قصائد الرثاء ، وكذا في شعر الشكوى والشوق والحنين ففيه أيضا كانوا يتحسرون ويتأسفون لفراق أوطانهم ويتشوقون إليها .

يقول الحصري علي بن عبد الغني القيرواني متشوقاً إلى القيروان في هذه الأبيات التي يملؤها الأسى والحزن الشديد فيقول : (٢)

علي العدوة القصوى وان عفت الدار سلام غريب لا يئوب فيزدار

وحق بكاء العين والقلب مسعد لمن بات مثلي لا حبيب ولا جار

---

(٢) ديوان المتفرقات – ص (١٣٢) .

شفي الله داء القيروانيين بعدنا فقد مرضت للقيروانيين أبصار

وكيف غناء الطير في غير أيكها وقد بعدت عنها فراخ وأوكار

ألا يا بروقاً لحن من نحو صبره وليس لها إلا دموعي أمطار

عسي فيك من ماء الحنيان شربه ولو مثل ما يوعي من الماء منقار

فالحصري في هذه الأبيات التي تدل علي تحسره وأسفه لما أصاب القيروان نراه يحي العدوة القصوى وهي القيروان وديارها ويصرح بأنه يائس من العودة بعد أن أنزل بها أعراب هلال وسليم الدمار ، وأنه يبكي بكاءاً لا ينقطع للوطن وما صار إليه من الوحدة الموحشة فلا حبيب ولا جار ثم يدعو للقيروانيين وهما القيروان وتونس أو القيروان وصبرة يدعو لهما أن يزايلهما من غشى الأبصار فيهما من مرض الهدم والتخزين ، ويعجب أن تغني الأطيار في غير أيكها وقد بعدت عن أوكارها وفراخها الصغار ، انه وأمثاله من شعراء العدوة القصوى لا يستطيعون الغناء إلا أن يكون بكاءاً وأنيناً ، وتلوح له بروق من نحو صبرة وهي بروق خلب ليس فيها أمطار إلا دموعه ويتمني جرعة ماء من حنيات تونس ولو قدرها يحمل منقار طير من الماء حتى يشفى به أوصاب نفسه وفؤاده .

وإذا تغزل الشعراء لانت عباراتهم ورقت وعذبت مثل قول الحصري [١]

أقول له وقد حيا بكأس لها من مسك رقته ختام

أمن خديك تعصر ؟قال: كلا متى عصرت من الورد المدام

وبالجملة فإن لغة الشعراء في هذا القرن قد بدأت ترق وتلين وتتخلص من الغموض والتعقيد وتغير إحساس الشعراء بالألفاظ بتطور ذوق العصر وتخلصوا كثيراً من تأثير المعجم اللغوي القديم .أما عن الأسلوب عند شعراء القرن الخامس في المغرب العربي فالملاحظ أن الشعراء امتازوا بتعدد الأساليب وتنوعها فقد أثرت الثقافات الدينية والأدبية واللغوية التي امتاز بها العصر علي أساليب الشعراء وهناك ظواهر أسلوبية واضحة نقف علي أهمها .

---

(١) الشعراء العرب – ج (٢) – ص (١٤ – ١٥) .

أولاً : الاقتباس :

اقتبس كثير من شعراء القرن الخامس الهجري من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كما ضمنوا شعرهم كثيراً من عبارات غيرهم وذلك واضح عند كثير من الشعراء مثل ابن شرف الذي اقتبس من القرآن الكريم في هجاء بعض أعدائه :

ما فلان إلا كجيفة كلب   والضرورات ألجأتنا إليه

فمن اضطر غير باغ ولا عا   د فلا إثم في اللجوء عليه

فواضح أن الشاعر في البيت الأول في المصراع الأخير اقتبسه من معني قوله تعالي : (فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ...الخ) .

والبيت الثاني : مقتبس من قوله تعالي : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ...) .

وكذلك قوله في الشكوى :

مالي كذا كل ما طلبته عسر   وقد أخذت بحب المطلب العسر ؟

مالي أجاذب ذي الدنيا موليةفكل ثوب عليها قد من دبر

فعجز البيت الثاني مقتبس من قوله تعالي : (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ...).

أما ابن رشيق فلم يخل شعره من اقتباس من القرآن الكريم كقوله : [١]

ظن أن الحصون ملك سليما   ن وليلي بجهله بلقيسا

وله في العصا مآرب أخري   حاش لله أن تكون لموسي

وفي البيت الثاني اقتباس من قوله تعالي : (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) [٢]

وله كذلك مقتبساً من القرآن الكريم في وصف أخرق : [٣]

---

(١) ديوان ابن رشيق (٨٦) .

(٢) سورة طه الآية (١٨) .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (١٠٠) .

واخرق أكال للحم صديقه وليس لجاري ريقه بمسيغ

سكت له ضنا بعرضي فلم أجب ورب جواب في السكوت بليغ

فابن رشيق اقتبس معني البيت الأول من قوله تعالي : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ...) (١)

والشاعر علي بن عبد الغني الحصري قد اقتبس كذلك من القرآن الكريم في عدد في أبيات قصائده كقوله : (٢)

يهب الله لمن يشا ء إناثا وذكوراً

فإذا أعطاك بنتاً فكن الراضي الشكورا

واسأل الله لك الخير رواحاً وبكوراً

وأقم في العسر واليسـ ـر ودر غشا دكورا

فعلي الأفراخ حبا تأليف الطير الوكورا

فالبيت الأول مقتبس من قوله تعالي : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ..)(٣)

ومن اقتباسات الحصري قوله : (٤)

ولما نمت عندي من إليه أنعم ولست عن الشكران لله باللاهي

نفشت علي قلبي وفي فص خاتمي وما بكم من نعمة فمن الله

والمصراع الثاني في البيت الثاني مقتبس من قوله : (وما بكم من نعمة فمن الله).(٥)

---

(١) الحجرات – آية (١٢) .

(٢) اقتراح القريح – ص (٢٧٢) .

(٣) سورة الشورى – الآية (٤٩) .

(٤) أبو الحسن الحصري – ص (١٣٠) .

(٥) سورة النحل – آية (٥٣) .

وكذلك قوله : [١]

يا حرفة الشعراء انك منهم حيث ابتغوا رزقا لبالمرصاد

لو حل بالوادي المقدس ركبهم لشفاء غلتهم لجف الوادي

ولو ابتغوا حلق الرؤوس بمكة حضر الرشيد بها وغاب الهادي

وقد اقتبس الشاعر المعني بقوله تعالي : (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى).[٢]

ويقول الحصري راثيا ابنه : [٣]

وكنت كزرع أخرج شطأه فآزره لكن أصاب الردى الزرعا

والحصري في بيته السابق اقتبس من قوله تعالى في وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في إنجيل عيسى (عليه السلام) : (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ).[٤]

ويقول أيضا مقتبساً من القرآن الكريم : [٥]

أعبد الغني ابني إلى ربك الرجعى فكن شافعي عند الذي أخرج المرعى

فقد أوثقتني السيئات ويزني مغار ملمات أثرن به نقعا

وأورين قدحا بالجوى في جوانحي وفرقن دمعي إن وسطن به جمعا

فمعظم معاني هذه الأبيات مقتبس من سورة العاديات والاعلي والناس .

ويقول ابن رشيق في من ظلمه في الحب مقتبساً من القرآن الكريم : [٦]

شكوت بالحب إلى ظالمي فقال لي مستهزئاً ما هو

قلت غرام ثابت قال لي اقرأ عليه قل هو الله

---

(١) أبو الحسن الحصري – ص (١٣٠) .

(٢) سورة النازعات – آية (١٦) .

(٣) اقتراح القريح – ص (٣٤) .

(٤) سورة الفتح – آية (٢٩) .

(٥) اقتراح القريح – ص (٣٤) .

(٦) ديوان ابن رشيق – ص (١٧١) .

ففي عجز البيت الثاني اقتباس من سورة الإخلاص وهو قوله تعالي : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [١]

ومن أمثلة الاقتباس قول تميم بن المعز عندما حضرته الوفاة : [٢]

فكرت في نار الجحيم وهولها يا ويلتاه ولات حين مناص

فدعوت ربي أن خير وسائلييوم المعاد شهادة الإخلاص

المصراع الثاني مقتبس من قوله تعالى : (فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) .[٣]

ثانياً : التضمين :

وكما اقتبس الشعراء في المغرب العربي في القرن الخامس من القرآن الكريم فقد ضمنوا شعرهم كثيراً من أشعار غيرهم ومن الأمثال ومأثور الكلام ومن أمثلة التضمين الواضحة ما نراه عند ابن رشيق القيرواني في أبياته التي يمدح فيها المعز بن باديس :

لدن الرماح لما يسقي أسنتها من مهجة القيل أو من ثغرة البطل

لو أثمرت من دم الأعداء سمر قنا لأورقت عنده سمر القنا الذبل

فالجيش ينفض حوليه أسنته نفض العقاب جناحيه من البلل

وابن رشيق في بيته الأخير أخذه من قول أبي صخر الهزلي :

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

ونحس فيه معنى قول المتنبي :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ومن أمثلة التضمين عند ابن رشيق قوله عندما تحدث عن أهل القيروان :[٤]

أحلامهم تزن الجبال وفضلهم كالشمس لا تخفي بكل مكان

فهو قريب من قول الفرزدق : [١]

---

(١) الإخلاص – آية (١) .

(٢) الخريدة – قسم شعراء المغرب – ص (١٥٢) .

(٣) سورة ص – آية (٣) .

(٤) ديوان ابن رشيق – ص (١٦٠) .

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جناً إذا ما نجهل

وقريب من قول جرير : [٢]

أحلامنا تزن الجبال رزانة ويفوق جاهلنا فعال الجهل

ويقول عن تفرق أهل القيروان وتشتتهم :

فتفرقوا أيدي سبأ وتشتتوا بعد اجتماعهم علي الأوطان

فقد أخذ صدر البيت من المثل المشهور (تفرقوا أيدي سبأ) ويقول في رسالة له مضمناً في نهايتها اسم كتابه قراضة الذهب :

دونكما يا سيد الأحرار وواحد العصر بل الإعصار

رسالة بينه الأعذار باحت بما تخفي من الأسرار

أدل من فجر علي نهار وفضل ذاك السر في الإظهار

لطيفة المسلك في اختصار حفيفة الروح علي الأفكار

كأنها من جودة العيار (قراضة من ذهب)الدينار

وقد ضمن ابن شرف شعراً من شعر غيره وذلك مثل قوله في الحنين إلى القيروان:

يا قيروان وددت أني طائر فأراك رؤية باحث متأمل

آه وأية آهة تشفي جوي قلب بنيران الصبابة مصطلي

يا لو شهدت إذا رايتك في الكرى كيف ارتجاع صباي بعد تكهل

لا كثرة الإحسان تنسي حسرة هيهات تذهب علة بتعلل

وإذا تجدد لي أخ ومنادم جددت ذكر إخاء أول

لو كنت اعلم أن آخر عهدهم يوم الرجل فعلت ما افعل

ففي البيت الأخير ضمن ابن رشيق بيت جرير :

لو كنت اعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

---

(١) ديوان الفرزدق – شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع – شركة دار الأرقم للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – ص (٥٥٠) .

(٢) ديوان جرير – ص (٥٢٦) .

ومن الشعراء الذين ضمنوا شعرهم من أشعار غيرهم ابن المؤدب في أبيات التي ذكرها الباحث في الشكوى فيقول :

فان سلمت عاشت بعز وان تمت   لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم

وفي البيت تضمين من بيت زهير بن أبي سلمي :

فشد ولم تفرغ بيوت كثيرة   لدي حيث ألقت رحلها أم قشعهم

ويقول ابن رشيق في أخرق : [1]

سكت له ضنا بعرضي فلم اجب   ورب جواب في السكوت بليغ

فهذا أخذه من معني بيت شاعر بني كلب : [2]

وأعلم بأن من السكوت إبانة   ومن التكلم ما يكون خبالا

ويقول في ساق مغن : [3]

ومكتحل الجفون سطا علينا   بكأس والصباح له انصداع

فقلت له تغن فدتك روحي   لنا صوتا فما حرم السماع

فحرك رأسه طربا وغنى   (أضاعوني وأي فتى أضاعوا)

وعجز البيت الثالث أخذه الشاعر من قول العرجي الذي يقول فيه : [4]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٠٠) .

(٢) ابن رشيق الناقد الشاعر – ص (٢٤٦) .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (٣٧) .

(٤) ديوان العرجي – جمعه وحققه وشرحه . د . سجيع جميل الجبيلي – دار صادر – بيروت – ط (١) – ١٩٩٨م –ص (٢٤٦) .

يقول ابن شرف : [١]

أعني بأطماع الوصال علي النوى　　إذا لم تقاتل يا جبان فشجع

فعجز البيت أخذه من المثل المشهور (**إذا لم تقاتل يا جبان فشجع**).

ثالثاً : التأثير بالثقافة اللغوية :

ومن المؤثرات الواضحة علي أساليب شعراء القرن الخامس في المغرب العربي التأثر بالثقافة اللغوية إذ كثيراً ما ردد الشعراء مصطلحات النحو واللغة والعروض في أشعارهم وذلك مثل قول ابن شرف في الشكوى :

مالي يعاقبني الزمان وليس لي　　ذنب كأني عمرو المضروب

ما كان أولاني بحكم المبتدأ　　في النحو لو أن الزمان أديب

ويقول ابن شرف مادحاً شيخه أبا الحسن بن أبي الرجال :

فالسيد الماجد الحر الكريم له　　كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

كما يظهر علي أسلوب ابن شرف بعض المصطلحات العروض كقوله : [٢]

فان أفحمتنا هيبة عمرية　　لديك لها في الشعر كسر وإقواء

فيظهر منا بعض المصطلحات العروضية مثل الاقواء : وهو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة بالكسر والضم[٣] . كقول النابغة : [٤]

أمن آل مية رائح أو مغتدي　　عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً　　وبذاك خبرنا الغداف الأسود

ويقول ابن رشيق في مليح :

بك شغلي واشتغالي　　ومضي زيد وعمرو

وله أيضاً مضمنا بعض المصطلحات النحوية : [١]

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٧١) .

(٢) ديوان ابن شرف – ص (٣٦) .

(٣) أصول النغم في الشعر العربي – تأليف د . صبري إبراهيم السيد – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٥م – ص (٣٤٦) .

(٤) ديوان النابغة – المكتبة الثقافة – بدون تاريخ – ص (٣٠) .

رضيت بحبه في كل حال ولم أعطف على قيل وقال
فلا ينقص بلامي عارضيه فإن اللام خاتمة الكمال

يقول رضيت بحبه في حال الرضا والغضب ، والهجر والوصال ، ولم أكترث بأقوال الوشاة ، ويشبه الشعر النابت على جانبي وجهه بحرف اللام ويدعوه ألا ينقص بتلك اللام لأنها الحرف الأخير من الكلمة (الكمال) .

وفي البيت تضمين لبعض مصطلحات النحو (الحال والعطف) .

ويقول القزاز أبو عبد الله بن جعفر التميمي معانياً :

وا حسرتا مات أترابي وأقراني وشتت الدهر أصحابي وأخداني
وغيرت غير الأيام خالصتي والمتنضي الحر من مالي وإخواني
وصار من كنت في السراء اذكره بل لست أنساه في الضراء ينساني
هذا أخي وشقيقي المرتضي ويدي اليمني وموضوع إسراري وإعلاني
دعاهم والورى طراً وأسقطني إسقاطك النون في ترخيم عثمان

ويقول ابن رشيق : [٢]

إن زارني يوماً علي خلوة أو زرته في موضع خال
كنت له رفعاً علي الابتداء وكان لي نصباً علي الحال

يستخدم الشاعر بعض مصطلحات النحو العربي (الرفع ، المبتدأ ، النصب ، الحال) ليذكر ما يفعله مع محبوبه لو اختلى به بعيدا عن أعين الرقباء .

رابعاً : التأثر بالتاريخ وحوادثه :

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (١٣٠) .

(٢) نفسه – ص (١٣١) .

يظهر التأثر بالتاريخ وبحوادثه وبالسيرة النبوية علي أسلوب شعراء القرن الخامس الهجري فكثيراً ما نراهم يرددون أسماء شخصيات تاريخية أو حوادث أو غيرها .علي نحو ما يتمثل ذلك في قول ابن شرف في المدح : (١)

قلت له أهلاً بطيف دنا   من نازح الدار بعيد المزار

كيف خطوت الشر ثم الشري   وابني هلال والقنا والشفار

أصهوة الغبراء أم داحساً   ركبت حتي خضت ذاك الغمار

وجئت بالخطار أم اعوج   جنية معتدة للخطار

وهل تقلدت لدفع الردى   حمائل الصمصام أم ذي الفقار

وانت زيد الخيل أم عامر   ومالك بن الريب أم ذي الخمار

قال ابن شرف هذه الأبيات في مدح بني الأفطس ويعرض فيها سائر الملوك ونراه يتخذ من التاريخ مادة لأبياته فبعد أن تحدث عن هذا الطيف وسؤاله كيف تخطي الشري ،وهو طريق كثير الأسود وابني هلال وهما قبيلتا رياح وزغبة ، والغبراء وداحس فرسان لقيس بن زهير، وحذيفة بن بدر الذبياني الفزاري ، وبسبب السياق بينهما كانت حرب داحس والغبراء ، والخطار فرس حذيفة بن بدر الذبياني وذو الفقار سيف سيدنا علي بن أبي طالب ، وزيد الخيل هو زيد بن مهلهل بن زيد الطائي من فرسان الجاهلية .أدراك الإسلام وأسلم وحسن إسلامه وسماه النبي (صلي الله عليه وسلم) زيد الخير وعامر هو أبو البراء عامر بن مالك ملاعب الاسنة أو عامر بن الطفيل اشهر فرسان العرب شدة وبأساً ، ومالك هو مالك بن الريب كان لصاً يقطع الطريق ثم تاب وصحب سعيد بن عثمان بن عفان للجهاد بخرسان ومات بالقرب من مرو ويقال إن حية لسعته فلما أحس بموته أنشأ يرثي نفسه بالقصيدة التي يقول في مطلعها :(٢)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

ويقول راثياً نفسه :

تذكرت من يبكي علي فلم أجد   سوي السيف والرمح الرديني باكيا

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٥٨ – ٥٩) .

(٢) جمهرة أشعار العرب – تأليف ابن زيد أبي الخطاب القرشي دار صادر – بيروت – ط ١ – ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م – ص (٢٦٩) .

وأشقر خنذيذ يجر عنانه إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

ولما تراءت عند مرو منيتي وكل بها جسمي وحانت وفاتيا

أقول لأصحابي ارفعوني لأنني يقر بعيني أن سهيل بداليا

أقيما علي اليوم أو بعض ليلة ولا تعجلاني قد تبين ما بيا

وقوما إذا ما استل روحي فهيئا لي القبر والأكفان ثم ابكيا ليا

ويقول ابن شرف كذلك في خيانة الصديق وغدره :[١]

ولقد يهون أن يخونك كاشح كون الخيانة من أخ وخدين

لقي اخو يعقوب يعقوب الأذى وهما جميعاً في ثياب جنين

ومضي عقيل عن علي خازلاً ورأي الأمين جناية المأمون

فعلي الوفاء سلام غير معاتباً شخصاً له الأعيان ظنون

فابن شرف يتحدث عن خيانة الصديق وغدره ،ويذكر نماذج لخيانة أقرب الناس إلى بعضهم ،ففي الثاني يشير إلى قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته ، وكيف أنهم تأمروا عليه علي الرغم مما بينهم وفي البيت الثالث يشير إلى ما حدث بين سيدنا علي (كرم الله وجهه) وأخيه عقيل وانضمام الأخير إلى معاوية بن أبي سفيان ، كما يشير في البيت أيضا ما حدث بين الامين ،والمأمون ابني هارون الرشيد وما دار بينما من صراع وحرب وكيف قضي أحدهما علي الآخر رغم أنها أخوان كل ذلك ليجعل من غدر الصديق شيئا عادياً .

ويقول ابن رشيق مادحاً المعز بن باديس :

وحللت من علياء صبرة موضعاً أكرم به من موضع ومكان

زادت بناه علي الخورنق بسطه وحوت اعز حمي من النعمان

وغدا ابن ذي يزن بسفل دونه همما نزلت به علي غمدان

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (١٠٢) .

يذكر ابن رشيق قصر الخورنق ،وهو قصر مشهور للأكاسرة ثم يذكر النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكذلك سيف بن ذي يزن ملك اليمن .

وهذا أنموذج لابن شرف يقول فيه مستخدماً عدداً من أسماء الشخصيات التاريخية :

لما غزت حرمي سواد الحوادث في جيش النجاشي والأيام تختان

كنت ابن ذي يزن لم تبن عدته تلك الجموع ولم تحصنه غمدان

قلدت منك يدي نصر ومقدرة في بعض نصرته كسري وساسان

المبحث الثالث

الموسيقي والأوزان والقوافـي

أولاً : الموسيقي والأوزان :

الموسيقي عنصر مهم في العمل الأدبي ،وللموسيقي تأثيرها في النفس لأنها تساعد علي نقل الأفكار والمشاعر في صورة صوتية تأنس بها النفس ، وتجد فيها المتعة ما لا تجده في الكلام العادي المجرد من الموسيقي ، وللشعر خصائص موسيقية تأتيه من أوزانه ، وقوافيه التي تسبب نوعاً من الوحدة الموسيقية في القصيدة ، كما تأتيه من بعض الألوان البديعية كالجناس والتضاد والتصريع وغيرها من ألوان البديع .

والموسيقي الشعرية نوعان موسيقي خارجية وموسيقي داخلية ، عند دراستنا للشعر عند الشعراء في القرن الخامس في المغرب العربي نجدهم قد استخدموا النوعين من الموسيقي ، ولذا وجب علينا أن نقف علي كل واحد منها علي حدة :

(أ) الموسيقي الخارجية :

والموسيقي الخارجية تعتمد على الوزن باعتباره ركناً أساسياً في الشعر العربي ولا تقوم إلا به ، وقد نبه ابن رشيق إلى أهمية ،وضرورة العناية بالوزن في نظم الشعر فقال : (الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل علي القافية ، وجالب لها ضرورة إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفيه لا في الوزن) . [(١)]

وقد أخذت أوزان الشعر العربي في التطور تدريجياً متأثرة بموجة الغناء التي انبثت في أرجاء العالم الإسلامي ، وشاعت فيه شيوعاً عظيماً وقد امتد هذا التأثير إلى مختلف البيئات الإسلامية بما فيها المغرب العربي .

ومهما يكن من شيء فقد أثر شيوع الغناء وتطور الذوق في موسيقي الشعر وأوزانه ، فأقبل الشعراء علي الأوزان الرشيقة الخفيفة ، وأكثروا وكلفوا باستعمال بحور معينه مثل الخبب ،أو المتدارك حتي في الموضوعات الجادة كالمدح وغيره.

---

(١) العمدة ج(١) – ص (١٣٤) .

وعند دراسة أوزان الشعر عند شعراء المغرب في القرن الخامس نجد أن الشعراء قد حافظوا علي ما ورثوه من أوزان شعرية ،ونظموا في مختلف البحور الشعرية المعروفة ، وخاصة الطويل والكامل وغيرهما :
يقول ابن رشيق مستخدماً بحر الطويل : (١)

**أرى بارقاً بالأبرق الفرد يومض		يذهب مابين الدجى ويفضض**
**كأن سليمي في أعاليه أشرفت		تمد لنا كفا خضيباً وتقبض**

وبحر الطويل أكثر البحور استخداما عند العرب ، وكانت تسميه العرب الركوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم . يقول ابن شرف ناظماً من هذا البحر وراثياً القيروان وواصفاً خرابها علي يد الأعراب :

**كأن الديار الخاليات عرائس		كواسد قد أزرت بهن الضرائر**
**وتنكر بقياها الأسرة حسرا		عواطل لا تفشى لهن السرائر**

ويقول محمد بن إبراهيم التميمي الكموني مستخدماً بحر الطويل :(٢)

**طربت لذكري منك هزت جوانحي		كما يطرب النشوان كأس مدام**
**ومازال بي ذكراك في كل ساعة		وشخصك حتي كنت صيف منام**
**وان حديثاً منك أحلي مذاقه		من الشهد ممزوجاً بماء غمام**

وكما وجد بحر الطويل مكانة عند شعراء المغرب فقد وجد الكامل مكانة تكاد تكون أكبر من الطويل ، فالكامل من أكثر البحور جلجلة ،وحركات فيه لون من الموسيقي

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٨٩ – ٩٠) .
(٢) الأنموذج – ص (٢٦٧) .

يجعله إن أريد به الغزل ،وما بمجراه من أبواب اللين،والرقة حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ، وهو بحر كأنما خلق للتغني .المحض سواء أريد به جد أم هزل [١] .

يقول ابن رشيق مادحاً المعز بن باديس مستخدماً بحر الكامل :

عن مثل فضلك تنطق الشعراء   ويمثل فخرك تفخر الأمراء

وأري الثري والماء حولك حملا   ما لا يقوم به الثري والماء

ويقول وهو مريض من البحر نفسه أي الكامل : [٢]

ولقد ذكرتك والطبيب معبس والجرح منغمس به المسبار

وأديم وجهي قد فراه حديده   ويمينه حذراً علي يسار

فشغلتني عما يليق وإنه   ليضيق عن برحائها الأقطار

ومن البحور التي كثر استعمالها عند شعراء المغرب في هذا القرن بحر البسيط الذي عرف بانبساطه ، يقول ابن رشيق راثياً قاضي بلدة المحمدية ظاهر بن عبد الله وقد بلغته وفاته بالقيروان :

العفر في فم ذاك الصارخ الناعي   ولا أجيبت بخير دعوة الداعي

فقد نعي ملء أفواه وأفئدة   وقد نعي ملء أبصار وأسماع

ومن شعراء الأنموذج الذين نظموا في هذا البحر مضر بن تميم الفزاري إذ يقول: [٣]

يا من عذيري من شوقي وتسهيدي   ومن معيني علي نوحي وتعديدي

أم هل ليل أخي الأحزان من أمد   فينقضي فيه تصويبي وتصعيدي

تطاول الليل وامتدت غواربه   فالصبح ورد لعيني غير مورود

لا أطعم الغمض إلا من يمر به   طيف ويذهب مفقوداً بمفقود

وكما حظيت البحور الطوال بمكانة عند شعراء المغرب كذلك وجدت البحور القصيرة مكانة عند شعراء ، فالشاعر علي عبد الغني الحصري قد نظم رائعته (ليل الصبّ) من بحر الخبب ، ولكن من البحور القصيرة التي وجدت حظها الخفيف والسريع والمنسرح :

يقول ابن شرف في وصف فتاة جميلة مستخدماً بحر السريع : [١]

---

(١) المرشد فهم أشعار العرب – ج (١) – ص (٣٠٢) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٧٧)

(٣) الأنموذج – ص (٣٢٩) .

ودرة نـارت ذرا داري   لا در دري إن دري داري

ولا روى راوٍ أذاه ولا ودت ودادي إن زري زاري

ويقول ابن رشيق من السريع : [٢]

أهواك إلا أننـي اكتـم   وقلب من يهوي كما تعلم

وكيف أشكو حرقات الهوى   وانت لا ترثي ولا ترحم

ويقول القزاز التميمي مستخدماً بحر الخفيف : [٣]

أضمروا ليّ وداً ولا تظهروه يهده منكم إلى الضمير

ما أبالي إذا بلغت رضـاكم   في هواكم لأي حال أصير

وخلاصة القول أن شعراء المغرب قد استخدموا كل أوزان الخليل بن احمد وحافظوا عليها إلا أن استخدامهم لها كان متفاوتاً .

(ب) الموسيقي الداخلية :

ويقصد بالموسيقي الداخلية اختيار الشاعر للكلمات وما بينها من تلازم في الحروف الحركات .

يقول الدكتور شوقي ضيف عن الموسيقي الداخلية : (وإلى جانب الموسيقى الخارجية أو الظاهرة توجد موسيقي داخلية ،أو خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينهما من تلاؤم في الحروف ، والحركات وكان للشاعر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع شكله ، وكل حرف وحركة بوضوح تام بهذه الموسيقي الخفية بتفاضل الشعراء) [١].

وللموسيقي الداخلية عدة مصادر تنبع منها ، ولعل أهمها ألوان البديع الصوتي كالتكرار والجناس وحسن التقسيم والترصيع وغير ذلك من ألوان التأنق النغمي التي تشكل

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٦٦) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (١٤١) .

(٣) الأنموذج – ص (٢٩٥) .

(١) في النقد الأدبي – د. شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة– ص (٩٧) .

الموسيقي الداخلية للشعر . ومن أمثلة الموسيقي الداخلية الواضحة ما نجده عند ابن شرف مستخدماً الجناس في قوله :

يا خائفاً من معشر لا يصطلي بنارهم

إن تبل من شرارهم علي يدي شرارهم

أو ترم من أحجارهم وانت في أحجارهم

فما بقيت جارهم ففي هواهم جارهم

وأرضهم في أرضهم ودارهم في دارهم

فهذا الجناس الذي جاء به الشاعر في هذه الأبيات أعطاها جرساً موسيقياً واضحاً . وله في المعنى نفسه مستخدماً الجناس : (٢)

إن ترمك الغربة في معشر قد جبل الطبع علي بعضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

ولابن شرف في المدح مستخدماً الجناس : (٣)

فيا أخوي من أسد وسعد أحي حي زغبة أم دفين ؟

فلا اشتملت مساكنها بشمل ولا هذا القرار به سكون

ولا سرن الرياح علي رياح لواقح مزنه أنى تكون

فالموسيقى التي اكسبها الجناس للأبيات واضحة في البيت الأول حيث جانس الشاعر بين (أحي) (وحي) وفي البيت الثالث بين كلمتي (رياح) إذ أن الأولى من الرياح العادية والثانية اسم لقبيلة .

وله كذلك قوله : (١)

---

(٢) ديوان ابن شرف – ص (٩٩) ، وفي الخريدة الأبيات لابن فضال القيرواني (الخريدة– قسم شعراء المغرب – ص ٢٨٩) .

(٣) ديوان ابن شرف – ص (١٠٦) .

(١) ديوان ابن شرف – ص (١٠٥).

كما توزع سفيان فرد يداً　　ثم اقتدي نحو بيت المال سفيان

فسفيان الأولي (علم) والثانية بفتح السين صفة بمعني شديد الاحتياج .

والطباق كذلك نوع من أنواع الموسيقى الداخلية في البيت الشعري ، وهو الجمع بين المتضادين سواء كان بين لفظين من نوع واحد ، أم من نوعين مختلفين ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة وقد يبلغ الجمع بين عشرة أضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز . (٢)

ومن أمثلة الطباق التي زينت إيقاع الموسيقى الداخلي قول علي بن عبد الغني الحصري راثياً القيروان : (٣)

لا يشمتن بنا الأعداء إن رزئت　　إن الكسوف له في الشمس أوقات

ولم يزل قابض الدنيا وباسطها　　فيما يشاء له محو وإثبات

فقد طابق الشاعر في البيت الثاني بين (قابض وباسط) وبين (محو واثبات) ويقول ابن رشيق في الغزل :

أومى بتسليمة اختلاس　　والناس في حومة الوداع

وقد نوت مقلتاه نوما وددت لو كان في ذراع

وكان لي موقف افتراق　　وللهو موقف اجتماع

فقد طابق ابن رشيق في البيت الأخير بين كلمتي (افتراق واجتماع) ومن أمثلة الطباق التي أدت إلى إيجاد جرس موسيقي قول علي ابن عبد الغني الحصري :

موت الكرام حياة في موطنهموان هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا

فقد طابق الحصري بين كلمتي (ماتوا وما ماتوا) .

وللتصريع مكانة عند شعراء القرن الخامس في المغرب العربي ،والتصريع هو تقطيع البيت إلى أجزاء تقطيعا مسجوعا أو شبه مسجوع أي أن تكون كل لفظه من ألفاظ الشطرة الأولى مشابهة لكل لفظه من ألفاظ الشطرة الثانية حتى الوزن والقافية ويعرف بالتصريع وحسن التقسيم والازدواج حيث تتعادل الجمل في البيت وتتماثل .

---

(٢) الصناعتين – ص (٣٢٧) .

(٣) اقتراح القريح – ص (٢٧٣) .

ومن أمثلة التصريع قول ابن أبي الرجال : [١]

باكر الراح ودع عنك العزل وأسع في الصحة من قبل الأجل

واغتنم لذة يوم زائل فالمنايا ضاحكات بالأمل

ويقول ابن رشيق : [٢]

الأسر خير من الفراروالقتل خير من الاسار

وشر ما خفته حياة أدت إلى ذلة وعار

ومن أمثلته قول القزاز :

وا حسرتا مات أترابي وأقرانيوشتت الدهر أصحابي وإخواني

ومنه أبيات ابن رشيق :

دونكها يا سيد الأحرار وواحد العصر بل الأعصار

رسالة بينة الأعذار باحت بما تختفي من الأسرار

أدل من فجر على نهار وفضل ذاك السر في الإظهار

لطيفة المسلك في اختصار خفيفة الروح على الأفكار

كأنها من جودة العيار (قراضة من ذهب) الدينار

ولاشك أن هذا التصريع قد أكسب الأبيات لونا موسيقيا ظاهرا لا يخفى .
وبالجملة فان شعراء المغرب فى القرن الخامس قد تناولوا هذه الألوان وغيرها في شعرهم مما أضاف على أشعارهم لوناً موسيقياً ،واضحاً لا يخفى على المطلع على أشعارهم .

ثانياً : القوافي :

يقوم الشعر على أربعة أشياء ، وهى اللفظ والوزن والمعنى والقافية [١] والقافية هي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية

(١) البلاط الأدبي – ص (٢٤٧) .

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٨٠) .

(١) العمدة ج (١) – ص (١١٩) .

والقافية بمثابة الفواصل الموسيقي ، إذ يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذن في فترات زمنيه منظمه ، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص . [٢]

وللقافية تعاريف مختلفة أشهرها قول الخليل بن أحمد وهو : (أنها من آخر حرف في بيت إلى أول ساكن يليه مع ما قبله) . [٣]

وعرفها الفراء بأنها الحرف الأخير من البيت الشعري أي حرف الروى ، كما عرفها الاخفش بأنها آخر كلمة في البيت الشعري . ولكن الراجح هو قول الخليل ابن احمد الفراهيدي .

وقد تحدث النقاد عن القوافي فجعلوها ثلاثة أقسام وهى :

(١) القوافي الذلل :

وهى الباء والتاء والدال والراء والعين والميم والياء المتبوعة بألف الإطلاق والنون في غير تشديد أسهلها جميعاً . [٤] وهى ما كثر على الألسن ، وهى عليه في القديم والحديث .

وقد تناول شعراء المغرب القوافي الزلل في أشعارهم .

يقول ابن رشيق في قافية (الباء) : [١]

---

(٢) موسيقى الشعر – إبراهيم أنيس – دار القلم – بيروت – ط (٤) – ١٩٧٠ – ص (٢٤٦) .
(٣) علم العروض والقافية – راجي الأسمر – دار الجيل – بيروت ١٤٢٦ – ٢٠٠٥م – ص (١٤٢) .
(٤) المرشد – ج (١) – ص (٥٨) .
(١) ديوان ابن رشيق – ص (٤١) .
(٢) الأنموذج – ص (٢٥٨) .
(٣) المرشد – ج (١) – ص (٧٥) .
(٤) ديوان ابن شرف ص (٦٨-٦٩) .
(٥) الأنموذج – ص (٢٥٨) .

عزيز يباري الصبح إشراق خده وفى مفرق الظلماء ومنه نسيب

يزف إليه ضاحكا أقحوانـه ويهتز في برديه منه قضيب

وفى قافية التاء يقول عمار بن على بن جميل : [٢]

فيا من لا يسميه لساني ولا ينفك وهو به صموت

ولولا ما يتم به سقامي لما علم الوشاة بما لقيت

ويقول ابن رشيق في قافية النون في مدح المعز بن باديس :

فلو رأى من مضى ما شدته لهجا أولاد جفنة بعد المدح حسان

وهل لهم غير أيام مقدمة وكل حي له حين وأيان

(٢) القوافي النفر :

وهى الصاد والزاي والضاد والطاء والهاء الأصلية والواو . [٣]

وقد كثرت في أشعار هذا القرن ففي الصاد يقول ابن شرف في الاعتذار :[٤]

أأن تصيدت غيري صيد طائرة أوسعتها الحب حتى ضمها القفص

حسبتني فرصة أخرى ظفرت بها هيهات ما كل حين تمكن الفرص

ومن قافية الضاد يقول القفصي البزار : [٥]

أشاقك من سنى برق وميض فعينك ما يلائمها الغموض

سرى وهنا وجنح الليل داجي كأن جناح طائره مهيض

يذكره سناه بعاد إلف عليه مدامعي أسفا تفيض

سعت حسدا بفرقته الليالي فحبل الوصل منبت نقيض

ومن قافية العين يقول ابن رشيق في الرثاء : [١]

ألم ترهم كيف استقلوا به ضحى إلى كنف من رحمة الله واسع

أمام خميس ماج في البر بحره يسير كمتن اللجة المتدافع

(٣) القوافي الحوش :

وهى قليلة الاستعمال قال عنها الدكتور عبد الله الطيب هي الثاء والخاء ، والذال والشين والظاء والغين وكلها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلا بالغث . [٢]

ومن أمثلتها عند شعراء المغرب قول ابن رشيق في ذم مجلس : [٣]

لك مجلس كملت بشارة لهونا فيه ولكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب فظل يزمر حولهفيه البعوض ويرقص البرغوث

ومن الخاء يقول الحصري :

من مجيري ومصرخيقد هوى كل أبلخ

أنا فرد بلا خليـ ـل ولا ابن ولا أخ

وله من الذال قوله : [٤]

نجا ابني من الدنيا ومن غمراتها وها أنا في الغرقى فيا رب أنقذ

أظن زماني كان بابني يهابني فأوحى إلى جلى رزاياه أن قذى

ومن الغين يقول ابن رشيق في الموز : [٥]

موز سريع أكله من قبل مضغ الماضغ

مأكلة لآكل ومشرب لسائغ

فالفم من لين به ملآن مثل فارغ

يخال وهو بالغ للحلق غير بالغ

---

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٩٧) .

(٢) المرشد – ج (١) – ص (٧٩) .

(٣) ديوان ابن رشيق – ص (٥٢) .

(٤) اقتراح القريح – ص (٣١٦) .

(٥) ديوان ابن رشيق – ص (١٠١) .

المبحث الرابع
الصـورة الفنـية

استطاعت بيئـة المغـرب العربـي أن تثيـر ملكـات الشـعراء وتـزودهم بالأخيلـة الرائعـة والصـور الجميلـة المبتكرة ، ولذلك فإن كثيرا من صـورهم الفنية غنيـة بعناصـر التخييل ، متميزة بقدر كبير من الطرافة والابتكار ، وتعتمد الصـورة الفنية عندهم اعتمـادا كبيرا علـى التشبيه والاستعارة والكناية.

فمن الصورة التي تتميز بالطرافة هذه الصورة التي رسمها ابن رشيق للشخص الذي لا يرجى منه نفع فرسم لنا هذه الصورة مستخدماً فيها التشبيه فقال:[١]

في النـاس من لا يرتجى نفعه   إلا إذا مـس بأضرار
كالعود لا يطمع في طيبه   إلا إذا أحرق بالنـار

فهذا شـخص لا يرجـى منـه نفـع إلا إذا أصيب بضـرر ، فهـو كـالعود لا يعطـي طيبـه حتى يحرق بالنار .

ويقول مستخدماً الاستعارة والتشبيه في وصف التفاح : [٢]

تفـاحـه شـامـيـة   من كف ظبي أكحل
ما خلقت مذ خلقت   تلك لغير القبل
كـأنمـا حمرتـها   حمرة خد خجل

يتحـدث عـن هـذه التفاحـة الشـامية التـي أخـذها مـن كـف حسـناء كالظبيـة فـي كحـل عينيها ، ثم يقول إن هذه التفاحة لم تخلق للأكل ولكنها للتقبيل واللثم . ثم يشبه حمرتها بخد محبوب احمر من الخجل .

ويرسم ابن رشيق صورة للزرافة التي أهديت للمعز بن باديس فيقول :[٣]

(١) ديوان ابن رشيق – ص (٨٣) .
(٢) نفسه – ص (١٣١) .
(٣) نفسه – ص (٤٩) .

ومجنونة أبدا لم تكن مذللة الظهر للراكب

قد اتصل الجيد من ظهرها بمثل السنام بلا غارب

ملمعة مثلما لمعت بحناء وشي يد الكاعب

كأن الجواري كنفنها تخلج من كل ما جانب

فقد شبه هذه الزرافة بالمجنونة والمجنونة النخلة المفرطة الطول ويقول إنها منعمة غير مذللة للركوب ، ثم يشبه نقطة اتصال جيد الزرافة بظهرها بسنام البعير ولكنه بغير غارب ، ثم يشبه جلد الزرافة الملمع بيد الحسناء وشيت بالحناء ، ثم يذكر أن هذه الحسناء قد أحاطت بها الجواري من كل اتجاه فهي تتمايل من كل جانب .

والإبداع في هذا التشبيه أنه غير مسبوق ولا يقال إنه مقلد فيه كمثل ما يمكن أن يقال في وصف الخيل والإبل أو ما ألفت العرب أن تقول فيه ومع ذلك قد بلغ غايته في تصوير خلقها ولونها وامتداد عنقها وارتفاع يدها على رجلها وتخطيط جلدها وفى كل ذلك كان يشبه فيوفق في التشبيه .

ويرسم ابن شرف هذه الصورة الجميلة عندما يصف الندى الذي يعلو الأغصان وقت الشروق ، فتبدو كأنها زبرجد قد أثمر الدر فيقول :[١]

كأنما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى نثرا

ولاحت الشمس عليها ضحىزبرجد قد أثمر الدرا

ويرسم ابن شرف صورة جميلة للقلم فيقول : [٢]

قلم قلم أظفار العدا فهو كالإصبع مقصوص الظفر

أشبه الحية حتى إنهكلما عمر في الأيدي قصر

فهي صورة طريفة للقلم الذى قلم قلم أظافر الأعداء فهو يشبهه بالإصبع ولكنه مقصوص الظفر ، ثم يشبهه بالحية كلما ازداد عمراً ازداد قصراً .

---

(١) ديوان ابن شرف – ص (٥٦) .

(٢) نفسه – ص (٥٧) .

ويقول القفصي البزار متغزلاً وراسماً هذه الصورة الجميلة : [١]

ولاحظنني يوم النوى فسبيننى بأعين غزلان نفرن حذارا
نواعم برقعن الوجوه صيانة نواكس من فرط الحياء خفارا
أعدن صباحي إذ تبرقعن حالكاً وصيرن ليلى إذ سفرن نهارا

ويقول كذلك مستخدماً الاستعارة كذلك : [٢]

خنت عهدي ولم أخنك العهودا يا غزالاً أذاب قلبي صدودا
أكل الشوق فيك جسمي وأوهت حسراتي عليك قلبي الجليدا
يخمد الدمع فيك نار اشتياقي وهى تأبى عليك إلا وقودا

ويرسم لنا الشاعر محمد بن إسماعيل بن إسحاق الكاتب هذه الصورة الرائعة عن الموج فقال : [٣]

انظر إلى البحر وأمواجه فقد علاها زبد متسق
تخالها العين إذا أقبلت خيلاً بدت في حلبة تستبق
حمراً ودهما فإذا ما دنت من شاطيء البحر علاها بلق

وقد استطاع محمد بن إسماعيل رسم هذه الصورة بخياله الرائع فد تخيل أمواج البحر ، وقد علاها الزبد المنسق خيلاً بدت في حلبة السباق ، منها ما هو أحمر ومنها ما هو أدهم وإذا ما دنت من الشاطيء علاها السواد والبياض .

وقد اعتمد الشعراء المغاربة في صورهم على عنصري التشخيص والتجسيم ، وذلك بإلباس المعاني صوراً حية وبث الروح والحركة في الأشياء الجامدة كما في قول أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن إبراهيم المعروف بالحصري واصفاً الياسمين قبل تفتحه : [٤]

---

(١) الأنموذج – ص (٢٥٩) .
(٢) نفسه –ص (٢٥٨-٢٥٩) .
(٣) نفسه – ص (٢٩١) .
(٤) البلاط الأدبي – ص (٧٦) .

خليلـي هبا وانفضا عنكما الكرى وقوما إلى روض ونشر عبيق

فقد راح رأس الياسمين منوراً كـأقراط در قمعت بعقيـق

يميل على ضعف الغصون كأنما له حالتـا ذي غشيـة ومفيـق

إذا الريح أدنته من الأرض خلته نسيم جنوب ضمخت بخلـوق

ونلاحظ أن كثيراً من الصور مستمدة من البيئـة ، وأن كثيراً من تشبيهاتهم هي تشـبيهات تقليديـة حيـث شـبهوا الوجـه بـالقمر ، والقامـات بالأغصـان ، والأسـنان بالـدر ، والريق بالخمر وغيرها مثل قول تميم بن المعز : (١)

ألمت بوجه كبدر الدجى تقنع بالمعجر الأزرق

كبدر السماء بدا طالعا تحف به زرقة المشرق

وله كذلك : (٢)

أبدين أقمار الوجوه طوالعا من فوق أغصان القدود الميل

ويسمن عن در الثغور فخلته بردا تحدر من سحاب هطل

وله أيضاً : (٣)

يا شبيه الغزال عينـا وجيدا وشبيه القضيب قدا وقامـة

أنت بدر الجمال فوق قضيب خدك الورد والرضاب مدامه

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب – ص (١٥٥) .

(٢) نفسه – ص (١٥٥) .

(٣) نفسه – ص (١٥٧) .

المبحث الخامس

لـزوم مـا لا يـلـزم

لزوم ما لا يلزم هو أن يأتي الشاعر بحرف يلتزم به قبل حرف الروي وهو ليس بلازم.[١]

وقد وجد هذا النوع من الالتزام عند شعراء المغرب العربي في القرن الخامس الهجري، كقول ابن رشيق وقد التزم حرف الألف في هذه الأبيات :

دونكها يا سيد الأحرار   وواحد العصر بل الأعصار

رسالة بينة الأعذار   باحت بما تخفي من الأسرار

أدل من فجر على نهار   وفضل ذاك السر في الإظهار

لطيفة المسلك في اختصار   خفيفة الروح على الأفكار

كأنها من جودة العيار   (قراضة من ذهب) الدينار

وله أيضا ملتزما الألف : [٢]

خذ ثناءً عليك غب الأيادي كثناء الربي على الأمطار

سقط الشكر وهو موجب نعما   ك سقوط الأنواء بلا ثمار

وله كذلك وقد التزم الباء : [٣]

ورب ساق لنا مليح لحظي على وجهه حبيس

بدر ولكنه قريب   ظبي ولكنه أنيس

إلا يكن قده قضيبا   فما لأعطافه تميس

ومن الالتزام ما وجد عند الشاعر يعلي بن إبراهيم بن عبد الخالق الاربسي عندما التزم الألف في قوله : [٤]

---

(١) ميزان الذهب – للسيد أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ – ص (١٤٠).

(٢) ديوان ابن رشيق – ص (٨٤) .

(٣)نفسه – ص (٨٧) .

(٤) الأنموذج – ص (٣٤٤) .

أتيتك زائراً فحجبت عنـي ولم يعرف مكانك بالحجاب
فلا تحسب باني ذو اغتنام لآكل عند مثلك أو شراب
فلي نفس إذا اللأواء هزت جوانبـها تقنـع بالتراب
ولولا أن في خلقي إتئاداً تركتك بعدها خلق الإهاب
ولكني رأيت الصبر أولي بمثلي فانصرفت إلي العتاب

أما الشاعر علي بن عبد الغني الحصري قد أكثر من الالتزام في شعره وقد إلتزم نـوعين الأول هو الالتزام المعروف إذ يلتزم حرفاً قبل حرف الـروي قبل كقولـه فـي هذه الأبيات وقد التزم الألف :

بأي خليقة من تراب وانت حقيقة وأنا تراب
يرانا من سقى الألبان شتى والهم كيف تحلب أو تراب

وله أيضا ملتزماً الواو :

قد حانت ساعة القنوت فحسبك التوب والقنوت
جاءتك أشراطها ومنها جور السلاطين والسنوت

أما النوع الثاني الذي التزمه الحصري القيرواني فهو التزام حرف واحد في بداية البيت وفي نهايته ، وقد التزم الحصري هذا النهج في ديوانه المسمى بالمعشرات ،وهي قصائد جاءت من عشرة أبيات تبدأ بحرف ،وتنتهي به وقد التزم الشاعر حروف الهجاء التسعة والعشرين بإدخال لام الألف في العدد ، وهذه القصائد كلها متحدة الموضوع .

وليس الحصري وحده الذي اختص بهذا النوع من الشعر بل هناك غيره كثيرون من الشعراء ممن التزم هذه الطريقة وسلك هذا المسلك وتردد موضوعه بين النسيب والزهديات وشعر المدائح النبوية . [١]

(١) ديوان المعشرات – ص (٢٠٥) .

ويرى محققاً ديوانه أن الحصري هو من ابتكر هذا النوع من الشعر أي التزامه حرفا واحدا في بداية البيت ونهايته وكل من جاء بعده مقلد ومتبع له لا مبتكر [١]

وقد التزم الحصري كل الحروف الهجائية في ديوانه هذا بدءاً الألف وختما بالياء .

يقول ملتزماً بالباء [٢] :

بكت رحمة للصب عين عدوه — فما لحبيب القلب لا يرحم الصبا

بخيل بان يحيا القتيل بلحظه — وان يرد الظمآن بارده العذبا

بعيد على أن الديار قريبة — فحتى متي بالبعد يمزج لي القربا

بنفسي حبيبا خانني فهويته — فزاد قلبي فازداد قلبي له حبا

بذلت له الود المصون وأدمعي — فلم يقتنع حتى وهبت له القلبا

بدا لي فقلت ارده قال ملكته — ولو لم تهبه لي تملكته غصبا

بعينين هاروتيتين كأنما — يجرد نحوي منهما صارما عضبا

براني هوى الظبي الغرير وقادني — ذليلا وكم راض الهوى جامحا صعبا

بللت ردائي بالدموع وإنما — يزداد بها الباكي على كربه كربا

بعثت رسولي الخيال الذي سرى — إليك بدمعي والنسيم الذي هبا

ويقول مستخدما حرف الدال وملتزما له : [٣]

ديارهم لا غيرتك يد البلى — ولا زال يسقيك الحيا ويجود

دنوت من القلب العميد على النوى — وكل له قلب عليك عميد

دعوناك مرضي لو شفيت مجيبة — ولم تسمعي ما نحن عنك بعيد

ديون علينا يقتضيها غريمها — فلا قضيت إلا وانت شهيد

---

(١) ديوان المعشرات – ص (٢٠٦) .

(٢) نفسه – ص (٢١٣) .

(٣) نفسه – ص (٢١٩) .

ويقول من قافية الصاد : [1]

صدفت وقد أودى الهوى بحشاشتي عشية زمت للرحيل قلاص

صددت عن الماء الذي كنت واردا وأقوت رسوم للصبا وعراص

صممت عن الحادي،عميت من البكا ذملت لبين ليس عنه مناص

(١) ديوان المعشرات – ص (٢٥٥) .

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي أعانني على إخراج هذا الدراسة بهذه الصورة ، وأرجو أن تكون إضافة حقيقية إلى دنيا الأدب . وبعد

إن القرن الخامس الهجري في المغرب العربي من القرون التي نهض فيها الشعر وتطور تطوراً ملحوظاً ، ساعد على ذلك عدد من الأسباب أهمها اهتمام الحكام بالشعر والشعراء فانعكس ذلك إيجاباً على حركة الشعر وتطوره ، فتعددت اتجاهاته وتطورت وازدهرت أغراضه ، وخاصة تلك الاتجاهات التي تعلقت بالحياة الاجتماعية ، أو التي تعلقت بالوجدان ، كما شهد هذا القرن نهضة في مجال الدراسات النقدية ، وذلك لوجود نقاد كبار أمثال ابن رشيق القيرواني وقبله عبد الكريم النهشلي وغيرهما. إذ لم يعد النقد قاصراً على المشرق بل امتد إلى المغرب كذلك ، فانعكس كل ذلك على الشعر ازدهاراً وتطوراً .

وبعد الإطلاع على أدب هذا القرن الخامس في المغرب العربي خلص الباحث إلى عدد من النتائج منها ما يلي :

١- إن أهم ما يميز هذا القرن هو وجود عدد من الدويلات التي قامت بمنطقة المغرب العربي ، فأدى ذلك إلى التنافس بينها حتى في مجال الأدب إذ عمل الحكام على ضم الشعراء إلى بلاطهم .

٢- تنوعت الفنون الشعرية واتجاهاتها وأغراضها بين الاجتماعي والديني والوجداني .

٣- إن اتجاهات الشعر في هذا القرن لم تكن متساوية في تناول الشعراء لها إذ أن بعض الاتجاهات كثر تناول الشعراء لها بينما قل تناول أخرى .

٤- لم يكن الشعر متساوياً في توزيعه على المناطق فهناك بعض المناطق كثر فيها الشعراء وقلوا في مناطق أخرى .

٥- كان لبلاط المعز بن باديس دور كبير في نهضة الشعر وتطوره وتنوع أغراضه ويرجع ذلك إلى اهتمام المعز بالشعر والشعراء .

٦- حافظ الشعراء المغاربة على طريقة القصيدة القديمة ، ولم يخرجوا عن ذلك إلا قليلاً .

٧- وكما حافظوا على بنية القصيدة حافظوا كذلك على أوزان وقوافي الشعر التقليدية ، وإن بدا أثر البيئة المغربية وأثر الغناء يظهر على بعض أشعارهم .

٨- اتسمت لغة الشعر بالسهولة والرقة ، وخاصة في شعر الغزل ، وذلك تمشياً مع التطور الذي حدث للذوق العربي .

٩- من الخصائص الأسلوبية الظاهرة على شعر القرن اقتباس الشعراء كثيراً من القرآن الكريم ، وتضمين أشعارهم شيئاً من أشعار غيرهم ، ومن الحكم والأمثال ومأثور الكلام ، كما تأثروا بالثقافة اللغوية والدينية وبالتاريخ وحوادثه

التوصيات

فـي خاتمـة هـذه الدراسـة وبعـد الإطـلاع علـى أدب القـرن الخـامس الهجـري فـي المغرب العربي يوصي الباحث بالأتي :

١. إن فترة القرن الخامس فترة طويلة ضمت عددا كبيراً من الشعراء ، تنوعت اتجاهاتهم الشعرية وعاشوا في عدد من مناطق المغرب العربي فمن ثم يرى الباحث أن تدرس الاتجاهات الشعرية في كل منطقة لوحدها ، فتدرس الاتجاهات الشعرية في المغرب الأدنى (تونس) ، ثم تفرد دراسة ثانية لدراسة الاتجاهات الشعرية في المغرب الأوسط ، وتخصص دراسة ثالثة للاتجاهات الشعرية بالمغرب الأقصى (المملكة المغربية) .

٢. إن كثيراً من الشعراء تناثرت أشعارهم في ثنايا الكتب الأدبية والتاريخية الكبرى ، فيوصي الباحث أن تجمع أشعارهم في مجموعات حسب اتجاهاتهم الشعرية .

٣. هناك عدد من الشعراء ليست لهم دواوين شعرية خاصة بهم إذ تفرقت أشعارهم وتبعثرت في عدد من المصادر فيوصي الباحث بجمع أشعارهم وإخراجها في دواوين .

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً : فهرس القوافي .

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع .

رابعاً : فهرس الموضوعات .

أولا : فهرس الآيات القرآنية

الرقم	اسم السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	البقرة	(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)	١٧٣	٦٦
٢	المائدة	(فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)	٣	٦٦
٣	الأعراف	(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ)	١٥٧	٧٩
٤	يوسف	(فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ)	٢٨	١٣٣
٥	ابراهيم	(لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ)	٧	ج
٦	النحل	(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ)	٥٣	١٦٣
٧	طه	(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)	١٨	١٦٢
٨	النمل	(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)	١٨	١٣٠
٩	ص	(فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)	٣	١٦٥
١٠	الشورى	(يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ)	٤٩	١٦٣
١١	الفتح	(وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)	٢٩	١٦٤
١٢	الحجرات	(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)	١٢	١٦٣
١٣	النازعات	(إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)	١٦	١٦٤
١٤	الإخلاص	(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)	١	١٦٥

ثانيا : فهرس القوافي

قافية الخاء

قافية الدال

قافية الميم

قافية النون

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم** .

٢- **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري** – د. محمد مصطفى هدارة – دار المعرفة الجامعية – بدون تاريخ .

٣- **اختيار الممتع في علم الشعر وعمله** – لأبي عبد الكريم النهشلي – تحقيق د. محمد شاكر القطان – ج (١+٢) – طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة – ط (٢) – ٢٠٠٦م.

٤- **الأدب العربي في الأندلس** – د. عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٥- **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** – الدولتان المرابطية والموحدية – ج (٢) – تأليف الشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري – تحقيق جعفر الناصري ، ومحمد الناصري – دار الكتاب – الدار البيضاء – ١٩٥٤م .

٦- **أسس النقد الأدبي** – د. أحمد بدوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – بدون تاريخ .

٧- **الأسلوب ، دارسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية** – أحمد الشايب – مكتبة النهضة – القاهرة – طبعة ١٩٦٦م .

٨- **أصول النغم في الشعر العربي** – د. صبري إبراهيم السيد – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٥م .

٩- **الأعلام** – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – بدون تاريخ .

١٠- **أعمال الأعلام** – للوزير لسان الدين بن الخطيب – تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي – الدار البيضاء – المغرب .

١١- **أمالي المرتضى** – للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة الحلبي – ط (١) – ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .

١٢- **أنموذج الزمان في شعراء القيروان** – جمعه وحققه ، محمد العروسي المطوي ، بشير البكوش – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

١٣- **البلاط الأدبي للمعز بن باديس** – د. عبده عبد العزيز قليقيلة – الناشر عمادة المكتبات جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية – بدون تاريخ .

١٤- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** – لابن عذارى المراكشي – تحقيق ج . س . كولان ، و إ. ليفي بروفنسال – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .

١٥- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** – لابن عذارى المراكشي – ج (٤) – كتب التعليقات – إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٧م .

١٦- **البيان والتبيين** – أبو عثمان بن بحر الجاحظ – تحقيق ، عبد السلام هارون – الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة – طبعة ١٩٨٥م .

١٧- **تاريخ الأدب العربي (٩)** – عصر الدول والإمارات – شوقي ضيف – دار المعارف – ط (١) – بدون تاريخ .

١٨- **تاريخ الأدب العربي (١٠)** – عصر الدول والإمارات – شوقي ضيف – دار المعارف – ط (١) – بدون تاريخ .

١٩- **تاريخ الأدب في المغرب العربي** – حنا الفاخوري – دار الجيل – بيروت – ط (١) – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٢٠- **تاريخ الإسلام** – السياسي والثقافي والديني والاجتماعي – ج(٤) – حسن إبراهيم حسن – دار الجيل – بيروت – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط (١٥) – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٢١- **تاريخ إفريقية والمغرب** – الرقيق القيرواني – تقديم وتعليق – د. محمد زينهم محمد عزب – دار الفرجاني للنشر والتوزيع – ط (١) – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٢٢- **تاريخ صقلية** – د. عزيز أحمد – نقله إلى العربية وقدم له د. أمين توفيق الطيبي – الدار العربية للكتاب – ١٣٨٩هـ – ١٩٨٠م

٢٣- **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين** – د. حمدي عبد المنعم محمد حسين – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٧م .

٢٤- **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي** – د. السيد عبد العزيز سالم – الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر – الإسكندرية – بدون تاريخ .

٢٥- **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس** – د. محمد إبراهيم الفيومي – دار الجيل – بيروت – ط (١) – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٢٦- **تاريخ الوراقة المغربية** – محمد المنوفي – جامعة محمد الخامس – طبع مؤسسة كونرد أدناور – المملكة المغربية – ١٩٩١م .

٢٧- **الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول وصداها في الأدب** – صالح آدم بيلو – المملكة العربية السعودية – مكة – ط (١) – ١٩٨٨م .

٢٨- **الجامع في تاريخ الأدب العربي** – حنا الفاخوري – دار الجيل – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .

٢٩- **جمهرة أشعار العرب** – تاليف ابن أبي زيد أبي الخطاب القرشي – دار صادر بيروت – ط (١)- ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .

٣٠- **أبو الحسن الحصري القيرواني** – تحقيق محمد المرزوقي ، والجيلاني الحاج يحيى – مطبعة المنار ومكتبتها – تونس – ١٩٦٣ م .

٣١- **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** – تأليف محمد بن محمد الأندلسي الوزير بن السراج – ج (١) – تحقيق محمد بن الحبيب الهيلة – الدار التونسية للنشر – ١٩٧٠م .

٣٢- **الحنين إلى الوطن في الأدب العربي** – د. محمد إبراهيم حور – دار القلم للنشر والتوزيع – الإصدارات العربية – دبي – ط (٢) – ١٤٠٩ – ١٩٨٩م .

٣٣- **خريدة القصر وجريدة العصر** – عماد الدين الأصبهاني الكاتب – قسم شعراء المغرب – نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي وآخرون – الدار التونسية للنشر – ١٩٦٦م .

٣٤- **دراسات في النقد الأدبي** – وليد قصاب – دار العلوم للطباعة والنشر- ط (٢) – ١٩٨٣م .

٣٥- **دولة بني حماد** – د. عبد الحليم عويس – دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط (٢) – ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٣٦- **ديوان ابن حمديس** – صححه وقدم له – إحسان عباس – دار صادر بيروت – بدون تاريخ .
٣٧- **ديوان ابن رشيق القيرواني** – شرح د. صلاح الدين الهواري ، وهدى عودة – دار الجيل – بيروت – ط (١) – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
٣٨- **ديوان ابن شرف** – أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني – تحقيق د. حسن ذكري حسن – نشر مكتبة الكليات الأزهرية – بدون تاريخ .
٣٩- **ديوان أبي تمام** – بشرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – دار المعارف – مصر – ١٩٦٤م .
٤٠- **ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح** – أبو الحسن الحصري القيرواني – نشر ضمن كتاب أبي الحسن الحصري القيرواني (عصره ، حياته ، رسائله ، ديوان المتفرقات ، يا ليل الصب ، ديوان المعشرات) – تحقيق محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى – تونس – مطبعة المنار ومكتبتها – ١٩٦٣م .
٤١- **ديوان جرير** – تحقيق د. يوسف عيد – دار صادر – بيروت – لبنان – ط (١) – بدون تاريخ .
٤٢- **ديوان حسان بن ثابت** – تحقيق د . سيد حنفي حسنين – دار المعارف – القاهرة – بدون تاريخ .
٤٣- **ديوان زهير بن أبي سلمى** – تقديم وشرح وتعليق د. محمد محمود – دار الفكر اللبناني – بيروت – طبعة ١٩٩٥م .
٤٤- **ديوان العرجي** – جمعه وحققه وشرحه د. سجيع جميل الجبيلي – دار صادر – بيروت – ط (١) – ١٩٩٨م .
٤٥- **ديوان عمرو بن كلثوم** – جمعه وحققه د. إميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بدون تاريخ .
٤٦- **ديوان عنترة بن شداد** – دار بيروت للطباعة والنشر – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

٤٧- **ديوان الفرزدق** – شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر الفاروق الطباع – شركة دار الأرقم للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
٤٨- **ديوان كعب بن زهير** – شرحه وضبط نصوصه وقدم له – د. عمر الفاروق الطباع – شركة الأرقم للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .
٤٩- **ديوان المتفرقات** – أبو الحسن الحصري القيرواني – نشر ضمن كتاب أبي الحسن الحصري القيرواني – تحقيق محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى – مطبعة المنار ومكتبتها – تونس – ١٩٦٣م .
٥٠- **ديوان المتنبي** – لأبي الطيب أحمد بن الحسين – الزهراء للإعلام العربي – بدون تاريخ .
٥١- **ديوان المعشرات** – أبو الحسن الحصري القيرواني – نشر ضمن كتاب أبي الحسن الحصري القيرواني – تحقيق محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى – مطبعة المنار ومكتبتها – تونس – ١٩٦٣م .
٥٢- **ديوان النابغة الذبياني** – المكتبة الثقافية – بدون تاريخ .
٥٣- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** – لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني – تحقيق سالم مصطفى البدري – المجلد الرابع – منشورات دار لكتاب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٥٤- **الرثاء** – شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ١٩٥٥م .
٥٥- **رحلة العبدري (المسماة بالرحلة المغربية)** – لأبي عبد الله محمد بن العبدري الحيحي – تحقيق و تقديم محمد الفاسي – طبع وزارة الدولة للشؤون الثقافية – الرباط – ١٩٦٨م .
٥٦- **ابن رشيق الناقد الشاعر** – عبد الرؤوف مخلوف – المؤسسة المصري للتأليف والنشر .
٥٧- **السيرة النبوية** – لابن هشام – تحقيق مصطفى السقا ، وآخرون – مطبعة الباجي الحلبي – ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .

٥٨- **الشعراء العرب – ج (٢)** – إعداد فواز الشعار – إشراف د. إميل يعقوب – دار الجيل – بيروت – ط (١)- ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٥٩- **شعر أبي فراس الحمداني** – تأليف ماجدولين وجيه بسيسو – ط (٢) – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .
٦٠- **الشعر والشعراء** – تصنيف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – طبعة ١٩٨٤م .
٦١- **الشعر والشعراء** – تصنيف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – حققه وضبط نصه ووضع حواشيه د. مفيد قميحة ، ومحمد أمين الجناوي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٦٢- **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى** – تقديم وشرح وتعليق د. محمد محمود – دار الفكر اللبناني – بيروت – طبعة ١٩٩٥م .
٦٣- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** – لابن هشام الأنصاري – أعده محمد إبراهيم سليم – دار الطلائع .
٦٤- **الشوقيات – ج (٢)** – أحمد شوقي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط (١١) – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٦٥- **صفة بلاد المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)** – للشريف الإدريسي – طبع ليدن – ١٨٦٣م.
٦٦- **الصناعتين** – أبو هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي ، وأبو الفضل إبراهيم – الناشر عيسى الحلبي – طبعة ١٩٥٢م .
٦٧- **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** – تأليف محمد عبد الله عنان – القسم الأول – عصر المرابطين وبداية الموحدين – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ط (١) – ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م .
٦٨- **العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده** – أبو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .

٦٩- **علم العروض والقافية** – راجي الأسمر- دار الجيل – بيروت – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٧٠- **في تاريخ المغرب والأندلس** – أحمد مختار العبادي – بيروت – ١٩٧٨م.

٧١- **فتح العرب للمغرب** – د. حسين مؤنس – القاهرة – ١٩٤٧م .

٧٢- **في النقد الأدبي** – د. شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة .

٧٣- **فوات الوفيات** – تأليف محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق – د .إحسان عباس – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .

٧٤- **قادة فتح المغرب العربي** – اللواء ركن محمود شيت خطاب – ج (١+٢) – دار لفكر – ط (٧) – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٧٥- **القاموس المحيط** – الفيروز أبادي – دار الجيل – بيروت – بدون تاريخ.

٧٦- **قضايا النقد الأدبي** – د. محمد ربيع – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط (١) – ١٩٩٠م .

٧٧- **قضايا النقد الحديث** – محمد زكي العشماوي – دار العلوم – بدون تاريخ.

٧٨- **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية** – د. محمد محمد زيتون – دار المنار – القاهرة – ط (٥) – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٧٩- **الكامل في التاريخ – ج (٨)** – لابن الأثير – الناشر دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان – مراجعة نخبة من العلماء – ط (٣) – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

٨٠- **المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة** – د. عبد اللطيف عبد الرحمن الزاوي – مكتبة النهضة – بغداد – ١٩٧٤م .

٨١- **مجمع الأمثال** – للميداني – تحقيق محمد علي قاسم – مكتبة دار المعارف – بيروت – لبنان – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٩م .

٨٢- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** – ضياء الدين ين الأثير – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – الناشر مصطفى البابي الحلبي – مصر – طبعة ١٩٣٩م .

٨٣- **المديح** – بقلم سامي الدهان – دار المعارف – القاهرة – ط (٢) – بدون تاريخ .

٨٤- **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** – عبد الله الطيب – دار جامعة الخرطوم للنشر – ط (٤) – ١٩٩٣م .

٨٥- **المطرب في أشعار أهل المغرب** – ابن دحية – حققه مصطفى عوض الكريم – مطبعة مصر – الخرطوم – ط (١) – ١٩٥٤م .

٨٦- **معجم أدباء الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث** – عادل نويهض – مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر – بيروت – لبنان – ط (٢) – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

٨٧- **معجم الأدباء ، إرشاد الأريب في معرفة الأديب** – تأليف ياقوت الحموي – تحقيق د. إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ١٩٩٣م .

٨٨- **معجم الأدباء – ج (١٨)** – ياقوت الحموي – مطبوعات دار المأمون – مصر – ١٩٣٦م .

٨٩- **معجم تهذيب اللغة** – لأبي منصور الهروي الأزهري – تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي – المطبعة المصرية – القاهرة – ١٩٧٠م .

٩٠- **المعلقات وأخبار شعرائها** – اعتنى بجمعها أحمد بن الأمين الشنقيطي – دار الكتب – بيروت – ط (٣) – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٩١- **مقدمة ابن خلدون** – عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون – دار الشعب – القاهرة – بدون تاريخ .

٩٢- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** – لأبي عبد الله البكري – نشر دي سلان .

٩٣- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** – لأبي الحسن حازم القرطاجني – تحقيق محمد بن الحبيب الخوجة – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٨٦م .

٩٤- **موسوعة المغرب العربي** – د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي – ج (١) – مكتبة مدبولي – القاهرة – ط (١) – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٩٥- **موسيقى الشعر** – إبراهيم أنيس – دار القلم – بيروت – ط (٤) – ١٩٧٠م .

٩٦- **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** – تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار – تحقيق محمد شمام – الناشر المكتبة العتيقة – بدون تاريخ .

٩٧- **ميزان الذهب** – السيد أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٩٨- **النبوغ المغربي في الأدب العربي** – عبد الله كنون – ج (١) – بدون تاريخ .

٩٩- **النثر في العصر الجاهلي** – د. هاشم صالح مناع – دار الفكر العربي – بيروت – ط (١١) – ١٩٩٣م .

١٠٠- **النقد الأدبي** – أحمد أمين – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٦٧م .

١٠١- **النقد الأدبي الحديث** – د. محمد غنيمي هلال – نهضة مصر للطباعة والنشر – ط (٦) – يونيو ٢٠٠٥م .

١٠٢- **نقد الشعر** – قدامة بن جعفر – تحقيق كما مصطفى – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٦٣م .

١٠٣- **نور الطرف ونور الظرف (كتاب النورين)** – لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – تحقيق ودراسة لينة عبد القدوس صالح – مؤسسة الرسالة – ط (١) – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

١٠٤- **الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى – ج (١)** – محمد تاويت – دار الثقافة – الدار البيضاء – ط (٢) – ١٩٩٨م .

١٠٥- **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية** – تأليف حسن حسني عبد الوهاب – الناشر مكتبة المنار – تونس – ١٩٦٤م .

١٠٦- **وفيات الأعيان**- ج(٦) – لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان- تحقيق احسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ ٠

رابعاً : فهرس الموضوعات